

# اختراق الجسد

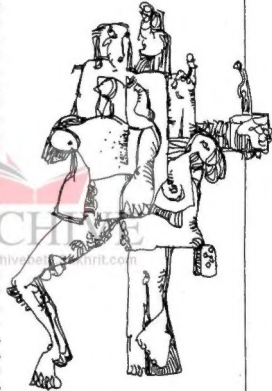
أو الذين تخدعهم نشوة ربح مزعوم، أن الخاسر الأكبر هو الأمة؛ فكل أنقى يقع على أعضاء جسد واحد، ينتقل بشكل أو بآخر إلى الأعضاء الأخرى. كان قد بقي لنا، قبل أزمة الخليج، رغم التشرذم والحروب الأهلية، بعض من تماسك؛ فماذا بقي من اليوم؟ الاسم. اسم بلا معنى. إن النصر الدونيكشوي الذي حققته (الدول المتحدة الأمريكية) وتوابعها (دول الغرب بالدرجة الأولى) ألقنا نحن العرب أيضاً بها: فهذا يطلب حاجتها، وذلك يستجدي تقديدها، وثالث يطلب رضاها... ورابع يروج أن ترفع عنه غضبها. فليس صحيحاً أن أزمة الخليج حركت تاريخاً كان موقوفاً<sup>(١)</sup>. لكن الأصح هو أن (الدول المتحدة الأمريكية) حسمت بنصرها ولصالحها، صراعاً بيننا وبين الغرب بدأ مع حملة نابليون بونابارت على مصر (١٧٩٧ - ١٨٠١).

وكان ما يزال على ما هو عليه حتى بداية الحرب؛ تتبدل معطياته وتتجابه يتبدل مراكز القوى الدولية وتوزنها، وريثه واحد، هورهان كل بصيصار: السيطرة على ثروات المنطقة المستعمرة، البشرية منها والطبيعية وتنتظها لحساب المستعمر.

كانت أزمة الخليج، في شكلها الأول، تمهيداً للحرب؛ والحرب تمهيداً للسلم (العربي - الإسرائيلي طبعاً) والسلم تمهيداً لإقرار النظام الحالي الجديد، في هذه اللحظة من العالم، الذي هو نظام الهيمنة الأمريكية على العالم. ولهذا بدأ واضحاً منذ بداية الأزمة، أن النتائج ستجاوز الأسباب، فالذريعة الأولى كانت تحرير الكويت والدفاع عن الشرعية الدولية وعن الديمقراطية (ويعرف أن دولة الكويت ديمقراطية جداً). ولكن عندما بدأت تغطي أرض الخليج وبحرها وسياهاها الجيوش الأحسن تدريباً (وقد بلغ عددها ما ينيف عن النصف مليون) والأساطيل الحربية الأحداث، والطائرات الأسرع، وكلها مزودة بالأسلحة المسقطة، بدأ واضحاً أن الخلاف أبعد مدى بكثير من صراع علي أو عري. واليوم من بعد أحد ليشك بأن أهداف الحرب المفسرة والمعدلة متعددة. قد يكون أهمها:

تدمير العراق لأسلحة وشماعاً ونظماً، إنهاء حلم الأمة العربية الواحدة بإحداث شرخ فيها يمزقها في الصميم،

الاستيلاء المباشر على بترول الخليج، خنق كل نية بالتمرد في العالم المتخلف على سلطة أميركا المتحدة، وإحداث التفتت العربية برمتها في نظام للهيمنة، أطلقوا عليه تيمناً اسم (النظام العالمي الجديد). ولهذا عطلت أميركا المتحدة كافة أنواع التسويات التي اقترحت من أجل حل سلمي<sup>(٢)</sup> آتت الوقت، جعلت من مجلس الأمن واحداً من أجهزتها، وصوّرت الرئيس العراقي على



دلس محاول الأرض أن تنشق فتبتمني  
فلاحاول أن أنشق لأبتغ الأرض، أنا  
الآن<sup>(٣)</sup>.

■ لقد شكلت حرب الخليج اختراقاً للجسد العربي على درجة من الفرة والعمق والسرعة بحيث أنا، رغم كل ما قلنا وكبتنا وأعلننا...

نثرنا وولولنا... لم ندرك مقعها البعيد ولا القريب؛ شأنها شأن طعنة يسدها لاعب ماهر يختبره المسون إلى صدر خصمه؛ فلا يشعر هذا بالألم إلا بعد أن يبرد الجرح. وسوف يضي زمن طويل قبل أن يبرد جرح الخليج. وعندها نذكر كنا؛ سواء فينا الذين خسروا

هذا قسم أول من مقال اختراق  
الجسد العربي عليه قسم ثانٍ  
وأخير في العدد القادم.

# العربي بين المرواحة أو الانتقال إلى عالم الغد

أنه هولاكو نهاية هذا القرن، يعد العدة التي تنكته من أن يقضي على الديموقراطية والخصارة... وبعد أن كان ما كان، يحق لنا أن نتساءل ما إذا كان هولاكو هذا عربياً أم أميركياً.

ويبدو أن الرئيس العراقي صدق الأسطورة وصار يقدم ذاته على أنه الحصن الذي لا يغير للعروة والأسلام. وما هو العراق جيد ذاته، بين عشية وضحاها، وقد دُسر جيشاً وجعاعة وبسني حضارة اقتصادية. ويترجمه الوجود القومي العربي. والأكثر إيلاماً على النفس، هو أن الوجودات القطرية المقتة، يتأني كل منها: الآخر هو المسؤول. أنا بريء من دم هذا الصديق. في الأساطير الشعبية أن الناس يفتنون يوم الدين كل شئ فيهم. فلا ألام تتعرف إلى ابنها، ولا الابن إلى أبيه، وكل يقول نفسي، نفسي. أما في جهنم، فتقول الأسطورة، إن النفس تلحن الجسد وأجسد بلعن النفس. والرجوع الأخير، الحكم الذي لا يرد حكمه في هذه الشهور هو (الدول المتحدة الأمريكية) التي تزعم على البين وعلى اليسار شهادة حسن ساروك؛ وما تزال حتى الآن في بداية النظام الجديد. وقد بدأت الحلقة الثالثة من حلقات المسلسل الذي هو مؤثر السلام. وفيه أيضاً حلقات وتشدد (الدول المتحدة الأمريكية) في مؤثر السلام على حضورها الفعال في كل حلقة، أساسية كانت أم فرعية. فهي تعين للمؤثرين مكان لقائهم، والمشكلات التي سيتداولون بشأنها، وتفسر قرارات هيئة الأمم. وإذا لم يتفقوا، عادوا إليها... ولم لا تفرض الحل كما فرضت كل ما سبقه؟

إن مما يستعري الانتباه حقاً، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية إلى أبداً طرأ ما شاء الله، هو تناقص أثر الرأي العام في العمل السياسي، وبخاصة في البلدان المتخلفة حيث الإعلام الأجنبي والحمل الأجنبي أكثر من المحلي. وهو الذي يبرسي إلى الشعب بالموقف الذي عليه أن يتخذ من قضية ما، وكان من فضائل الكثرة - إذا جاز لنا الكلام على قضية ما - أنها كشفت عن جوانب هامة من حقيقة الشعب العربي، في حين أن القيادات ظلت أنها عقدرته، حيثته وبعاملته طوع إرادتها. وسوف أتى على ذكر بعض من جوانب هذه الحقيقة، الذي يعني الآن هو أن الشعب العربي تجاوز في كل أقطاره، منذ بعيد، بداية الأزمة، الأيديولوجيات، الشعرات... وأوامر القيادات وتوجيهها، ليبر بشكل واضح وصريح مما يريد وما لا يريد: إنه شعب عربي واحد، لا يرضى بدلاً عن الاستقلال والحرة. فهو يرفض كل تسوية مع الأجنبي أو بين الأقطار. ولقد استخدم يومها في الإفصاح عن إرادته أنواع التعبير الشأحة كلها: تظاهر حيث أتمكن التظاهر، متف حيث سمحوا له بالخلف، ورفض،

غنى... وعندما وجد ذاته مغلوباً على أمره، اخترع أساطيره، خرافاته، غلّى لوعامه كي لا يتهار أو كي يتمكن من مزوالة أفعاله. وما هو اليوم كعادته، يبرس الحفرة، يزرع الأرض، يبذل، يتاجر... وعندما شركوه، عذبوه، أهانوه، قتلوه... سكت مسلماً. أمره لم يده الأمر. يخطئ من يعتقد أن الشعب العربي كان مع النظام العراقي بوصف كذلك. إنه، منذ أيام الملك والعلمانيين وغيرهم، يرى في كل نظام حكمي عدواً له. ولكنه في انتظاره الممتد على قرون، فتح عينه حيث ظن أن ثمة طريق أمل.

أجل. إن الشعب العربي المغلوب على أمره لم يسلم. الحاكم يطيع. ولم لا؟ فمتدنا نتع الصاعقة على قوم يتفرون، كل منهم حفاظاً على حياته. ونبدأ العاصفة، فيستعيد كل منهم أنفاسه ويطلب بحة من الغنائم. إذا سمحت. والحسائر إلى جهنم!... كان عليه أن يعرف حدوده فلا يمدّ ساليه أبعد من سباطه وحده الشك بقى له بعض من حرية الاختيار. إنه يرى، يعرف، يحلل، يقرر. ويستطيع أن يقيم بينه وبين الأحداث المتخلفة مسألة تنحى من التعبير البطيحي بما يعتقد أنه الحقيقة. ولكن ما لنا وللحقيقة. الله وحده يعرفها. في أوقات الخطر عليك بحساب الرب والحسرة. في الساعات العصبية، السير في ركاب الحاكم هو أسلم الطرق. وينبغي أن الربح أفضل من الحسرة. وما هي الأكثرية الساحقة من المثقفين يتبارى في التعبير عن اخلاصها لم يده الحل والربط.

فئة المترصين كانت قلة قليلة. وأقل منها فئة عصمها ريك، فكان لها من الجراءة ما مكّنها أن تنفج بجانب الشعب وتقول حقيقته. هل حقاً أن خلفية موقف الفئة الأولى قطرية؟ وإن السلطة - القطرية طبعاً - هي خلفية الرأي العام؟ هل حقاً أن الخلاف بين الفئة الأولى والثالثة هو على ما إذا كان العمل القومي يجب أن يكون اليوم قطرياً أم قوماً؟ هذا ولا ذاك. فلفظ بدون مواربة وبساعة إن المواقف القطرية انتهت في حجب. فنحن العرب نعرف كلنا. وفي أدنى الحدود أكثرنا السلطة... ولما كان موقع أسعدنا الاجتماعي، أنا تعيش وتندقم كلاً، أو تنعقر كلاً، كما هي عليه الحال اليوم. إن الفئة الثالثة هي التي يمكن أن تشتت التواء الصلبة لعمل وحدهي متبج. فانتقال الوجود القومي من شكله الضمر في الوجدان الشعبي، إلى الشعور الجمعي حيث أخذ شكلاً عند العالم - قل إن صياغة مفهوم الأمة - كانت من عمل مثقفين، بدانيهم في النصف الثاني من القرن التاسع عشر (إبراهيم اليازبي ويطرس البستاني)

هذا يطلب  
حمائيتها،  
وذلك  
يستجدي  
نقودها، وثالث  
يطلب  
رضاهها..





مروءاً بنسب العاصوري إلى ساطع الحضري وركي الأرسوزي وغيرهم وغيرهم؛ فإذا كان مفهوم الأمة العربية الواحدة قد سقط، إذا كان لم يبق منه، هو والقاصم التي وكتبته، ومنها مفاهيم التقدم والاشتراكية، الديمقراطية وسلطة الشعب وغيرها، سوى أشكال فارغة، أحدثت فيها حرب الخليج شرخاً قاتلاً، فلأن المرحلة التاريخية التي تيمس عليها اليوم الثورة العلمية - التقنية، قد تجاوزت، مع المفاهيم المذكورة وغيرها- إرث القرن التاسع عشر في العديد من جوانبه. أفلا يمكن لتفكير آخر أن يعيدوا النظر في الجهاز الفكري الذي عشنا عليه منذ يُعبد الحرب العالمية الثانية إلى أيامنا، وقد توقع اليوم وصار هيكلاً علمياً يعيق تقدمنا؟

ولم لا؟ وبقول علم، فإن عبقثنا الأول كانت ثقافية. وأقصده بمفهوم الثقافة معناه الأعم والأصح، ألا وهو تكوين الإنسان. فنحن اليوم أبناء عصرومة من المفكرين والأدباء، بدأت مع الطهطاوي وعلي مبارك، واستمرت مع محمد عبده وجرجي زيدان. . . وأتت إلى شبك إرسال وطه حسين حيث توقفت. فنحن اليوم بحاجة إلى عينة ثانية، أي إلى تكوين إنسان يوسع استيعابه ماضينا القريب من منطلق القرن الواحد والعشرين الذي نرّى السير نحوه.

تبدل اليوم ومنذ أواسط هذا القرن معطيات الثقافة وانماهايات، بنى المجتمع وعماير، وروى الإنسان لذاته وعلمه، بحيث يبدو أحياناً للشعبيين في العالم المتقدم، وكأن إرث القرن التاسع عشر صار من الماضي البعيد. لمقابل فإن الكليات التي تولدت علينا، نحن العرب، في نصف القرن الثالث وقله، وأقصاهم ألم الكليات التي هي النتيجة والحروب الأهلية - قد أفتقدنا الكثير من قوتها على الإنفاع، بلهاج ذاتنا وعالمنا. محاضراتنا قلن غير مستغر؛ ونحن نتراجع باستمرار بين الماضي والمستقبل؛ نتقدم خطوات ونخالف فترتد إلى الوراء. وحده يستعجل الانتقال، وانتقالاً ثرائياً، الانتعاش الذي أضررت عليه، أفتقد الانتقال إلى عالم الهند.

ولكنه ليس بالأمر السهل. إذ إن في شخصيتنا، السردية والجبائية، ترسبات من عصر الاستعمار وقبلة، تبدو في سهولة استسلامنا للعقل الاستطوري وأحياناً للعقل السحري. ثمة ترسبات أخرى هي من بقايا البداوة؛ أبرز تجلياتها العشائية وما يلزم عنها من زعامات فردية واقليلية، وعلاقات شخصية؛ في حين أن المرحلة التاريخية التي صرنا إليها، تقوم على العقل الريائي، وما يلزم عنه وله من تنظيم دقيق حركة وتبركات الإنسان، بلغ أقطاباً حاداً صار يحرم معه الإنسان شمة الشر.

ولكن هذا الانتقال ليس سهلاً. فما إمكاناته؟ مشكلاته وإشكالاته؟ عوائقه؟ ما العالم الذي يتكون اليوم وكوننا معه؟ ما موقعتنا منه؟ . . . الانتقال هذا ثقافي. فما مسؤولية النخف العربي عنه؟ هل يوسع أن يبارسه؟ وإذا لم يبارسه؟ . . .

ليس غرضي الإجابة على هذه الأسئلة. ولو شئت لما استطعت. إنها من شأن عمل فكري ميداني جامعي، يستخدم وسائل للبحث والتعبير كلها، تمتد على سنوات وربما على أجيال. إن كلاً من هذه الأسئلة يستثير من المشكلات، ما يطرح أسئلة أخرى غير محدودة العدد. غرضي هو التمهيد لعمل ثقافي ممكن، وحده إذا استمر.

وحده المتقصف  
بقي له بعض  
من حرية  
الاختيار

يوسعه انتشالنا من الورطة التي أزلناها إليها.

ولكنه قبل الشروع في البحث، علّ أن أعوذ مرة أخرى إلى جذور الشرح الذي هو التعبير الصارخ عن عيشنا، والذي تنطلق منه مقالات وتساؤلات المثقفين العرب على اختلاف مذاهبهم، أقصد حرب الخليج.

ما هي؟ حرب كلفة.

من المسؤول عنها؟ أنا.

ما لثمني من نتائجها حتى الآن؟

إن حرب الخليج (وطبعاً الأزمة التي مهدت لها، ومؤثر السلام الذي سببها، إن صدقوا، وإن يصدّقوا) هي واحدة من نكبات الثلاث الكبرى في التاريخ المعاصر، جلدورها كلها في النكبة - الأم التي هي الدولة القطرية، كما قلت للثر: نكبة ١٩٤٨ - نكبة ١٩٦٧. وأدهاها نكبة ١٩٩١ لأنها جعلت من النجزة، في نظرهم، وأقننا الأيدي.

### ... الحرب الكلفة

كل حرب هي كلفة من حيث المبدأ، إذ الغرض منها هو تدمير الخصم في أبعاد وجوده الأساسية، العسكرية منها والاقتصادية، السياسية والعمرانية والثقافية وغيرها. إلا أن الحرب قد تصعب فعلاً كلفة إلا بعد أن حطت الحضارة التكنولوجية الجريئة ما حطت من اتجاهات تنموية هائلة، أكثرها فتكاً الإعلام.

لست الحرب الكلفة الخصال النووية والهيدروجينية. فهذه إذا أصبحت لا سمح الله، تحولت النكبة التي تصغر فيها إلى صحراء فلاة لا روع فيها ولا ضرع.

ما الحرب الكلفة إذا؟

تجربتنا هذه الفسكس التي تروى كتب علم النفس الكلاسيكية؟ تقول هذه الكتب عن حشرة السفكس إنها تؤثر ذرع يهولها على جسد حي عاجز عن الحركة، بحيث تتدنّى البيوض على يهولها باللمح المتعرج، وهي تعتمد لتحقيق هذا الغرض إلى حشرة أخرى أضعف منها بضع مئة ونحواً في مقدتها ومفصلاتها العصبية، وما تزال حتى تشل فيها كل قدرة على التحرك.

وتلك هي الحلقة التي استندت بنجاح باهر لأول مرة، في حرب الخليج. فقد تسقوا في العراق الجسور الرئيسة، هدموا البيوت على رؤوس أصحابها، ضربوا معامل تكرير البترول، وأيضاً معامل إعداد الخليب المعقم للأطفال، عطلوا مولدات الكهرباء الكبرى، تسقوا الطائرات والأسلحة الرئيسة في غاباتها. . . صبرا هم هذا المعهم على رؤوس مقاتلي الجبهة، طوال شهر ليلاً نهاراً، بحيث شلوا في الجندى إرادة الحياة نفسها. أضف الإعلام الذي ضاعف مراراً نثرته وتعليقاته وأوقفت بينها، لينشر في العالم جراً من الرعب والحقد، صار معه الرأي العام قاتماً بعذالة القضية التي تخاربت من أجلها الدول المتحدة الأمريكية وحلفاؤها. وبهذا جعلوا الوسائل الإنسانية التي استخدمت، مشروعة. كأن الإعلام يهودياً، فقد أفضح الجبال للارواء اللبنانية كي تمرّ عن ذاتها بحرية كاملة. إلا أنه أفرق الكل في مناخ من الكراهية حيث يتسج للمفعول الذي يبرهونه. هنا أيضاً تجاوزت النتائج الأسباب، وعندما لم يبق بين العسكريين - ولا المدنيين



طبعاً - من يرغب في القتال، توجهوا نحو بغداد. وراى السكس الأميركي أنه حقق غرضه ففكر وعمل.  
هل انتهت الحرب؟  
كلا.

فالشعب العربي لم يستسلم، والأجنبي يعرف بالتجربة الممتدة على مشنات، أن في كيان العربي بقية باقية من عجيبة أمراء الصحراء ترفض الخنوع، أية كانت الكنويات، وأيا كان الجيش الذي هو عليه. إنها الحرب أبعدت جري آخر له مسارات:

الأول: عدواني. فالشعب الذي عبر عن موقفه الوجودي التحرري قبل الحرب وإنشاءها، رفض الاستسلام بعدها. هذا الشعب يجب أن يعاقب ويؤذي. ويختار هنا المعتدي من شعبنا الحلقة الأضعف التي كان قد اقتنعا وسائل دفاعها من الأصل، وكلف فريقاً من هذه المهمة الشنية - مسألة داخلية فلنا - ووقف الفرقاء العرب الآخر موقف الحياه، شامته شأن جحا (ظلاماً أن المسألة ليست في ذاتي، فهي لا تختفي) ولم تسلم الخلفيات الأقل ضعفاً من عملية التآليب هذه. والمقصود بالتآليب هو الإنسانيته، التهجيب، التشريد، التجميع... والقتل.

المسار الثاني: سلمى خالص. لقد استهدفت حرب الخليج التمويهية الشعب العربي عبر العراق، والشعوب المتخلفة عبر الشعب العربي. وفي هذا القليل، حرب عرض عضلات. الحرب الحقيقية التي نشأ عنها، نحن العرب، بدأت مع مؤتمر السلام. إنها أعظم حرب واجهناها منذ خمسة عشر قرناً وتيف. إذ القصد منها تقنين الشعب العربي بشكل منهجي، كي يتحول إلى قطع صغيرة. يتخارون منها القطع الأصمعة، ويهدمون القطع الأخرى بالرشية أو بالتهديد، كي يتمكنوا من وضع القطع المختارة على المسرح لا بآذاننا. الفاعل المسألة سلمية تماماً. أفرج علة أكثر سلمية من المفاوضات؟ ولكن قولوا لي على أي شيء نفاوض؟ على أرض؟ أرض من؟ أرضك أرضي أرض أجدادنا وأولادنا؟ فالمسائل المطروح علينا في المفاوضات شائن، مهين. وهو: ما المساحة من أرضكم التي تقبلون بالتنازل عنها؟ الجواب الطبيعي والمنطقي هو ولا تستيتر. ومع ذلك ستفاوض لتتخذ ما يمكن اتخاذه.

قولوا لي بركم: ليس هذا موقفنا منذ عام ١٩١٨، عندما بدأوا في مؤتمرات السلام بتوقيع اتفاقية سايكس - بيكو على أرض الواقع؟ يومها قبلنا بالذاتية لم تكن طرفاً فيها. وتوالت تعديلات الاتفاقية - فيها. وتقبل كل مرة بالتشديد المطروح لتتخذ ما يمكن اتخاذه. قالوا يومها: غدا وطالب. الواقع أننا أعطينا من لحمنا وهما، ولم نأخذ سوى وعد كاسو بقتضيسها قبل التوقيع عليها. كانت لعبة الأجنبي "وما تزال مكشوفة، وكما مع ذلك تصرف كل مرة وكأننا لا نراها. وما تزال الأمور اليوم على ما كانت عليه في السابق. فقد أعلن ترشل: حيث تكشف بترأ بترأيا سائهي دولة. ونسجم ونسكت. وعندما يكتشف خلافنا الأبار ويشترش الدول نقر: زادت أصواتنا في هيئة الأمم المتحدة.

ويعلم بريجنسكي مستشار الأمن القومي للرئيس كارتر: سئلب بعد الآن لعبة الظانفية. فلا نتخذ من إعلانه أي موقف. روي لعب بعضهما مع هذه الورقة. وما هي اليوم الظانفية تنخر الجسد العربي المنعب. تزيد كل يوم ضعفاً عن اليوم السابق. من كان يفكر

في العشرينات من هذا القرن أن السوريين سيقبلون بكل دولة يقتطعها الاستعمار من جسد سوريا الفبعية، وعلى حساب الأمة العربية الواحدة التي كانت فكرتها ما تزال يومها حية فعالة؟ وتصبح بعدها هذه الدوليات غاية بذاتها. وهكذا كنا - وما تزال - نتراجع خطوة إلى الوراء. ونسب لأفئدة مواقع دفاعية بانتظار التراجع الذي سيلي.

على فلسطين سامونا ونسامو اليوم ونسامو إلى ما شاء الله. ويتزايد بسرعة عدد سكان الوطن العربي فتفتح أبوابنا للمجتمع الاستهلاكي، نكدس الأسلحة فتتعدد مشكلاتنا فنصير بحاجة متزايدة إلى رؤوس الأموال... ونسامو العدو على مساعداته وقروضه. ولأنكم هو الحمار مع الشيطان، الإنسان في دوماً مغلوب، كما جاء في كتابات التصوفة.

في رحلة التفتت هذه، أتيت (نحن) القسومة بعد فترات متعاقبة من الصعود والهبوط لحساب الد (نحن) القطرية، وصار من الممكن لواحد من أركان مجلس التعاون الخليجي أن يعلن: أثبتت حرب الخليج أن الأمة العربية أسيرة.

بل، يا سيدي، هذا ثابت قبل حرب الخليج وبعدها. ولكن لا حيلة لي في الأمر. فأنا من شعب يؤمن بالأساطير مع سامط الحصري، وزكي الأرسوزي، وكسطين زريق، وغيرهم وغيرهم. والأسطورة هنا، كما في لسان الأفلاطون والأغريق القدماء، تقول: وجودي، وجودك، وجودنا كلنا، لا وجود لنا سواء، شعباً واحداً، أمة واحدة، صارت في الحسبات من هذا القرن قوة يجب لها حساب بين القوى العالمية. يومها، ووقت في وجه عملية التفتت وجعلتها تنحسر قليلاً. أو من: أفقد الآية ففقدنا الإبراهيمية في السنوات العشر الأخيرة بوجه خاص؟ قدا، أنت، كل نبسبة موقعه من مركز القرار السياسي، إذ استبدلنا عن قصد أم عن غير قصد، موقفنا القومي بموقع قذري. لقد فطدت الأمة العربية منذ قرون وحدتها السياسية أولاً، ومن ثم وحدتها الاقتصادية. إلا أنها احتفظت بوحدتها الثقافية - الشعبية طوال قرون الانحصار وقبلها وبعدها. وكانت هذه الوحدة فعالة. الذي حدث في السنوات الأخيرة - وقبلها - هو أن السياسة الدولية والاقتصادية، عزلت الشعب العربي، حيته وزورت إرادة الأمة... فأجبرها بذلك على العودة إلى حيث كانت قبل النهضة. أقصد إلى وحدتها الاقتصادية وبقيت مع ذلك ذكراها، ذكرى الحسبات في غيائها وعقلها، نحن أبناء تلك المرحلة. وهذه الذكرى هي التي عادت بكل قوتها مع بداية أزمة الخليج وأثارت حربها.

وبعدت كل مرة نكتب، أن تشير به (أنا) الجماعية، تارة إلى الأمة وطوراً إلى القطر، غير آبهين بالتناقض الذي يسببه الغلاف. خطبة ضد المطلق. فقد لاحظنا، طوال الأزمة، أن بعض المثقفين يطلقون كل منهم من موقع قذري، لطالب مع ذلك الدول الغنية أي البيروقراطية. يتوزع دخلها كله أو بعضه، على الدول العربية الفقيرة. ولا أدري باسم من يطالبون. ألم تكن قد هللنا لقيام هذه الدول واكتساب سيادة كل منها على أرضها وثرواتها التي صارت ملكها - لا ملك الأمة العربية - تصرف بها كيفما شئت!

ويطع الأدهي عندما يتحدث زعيم سياسي قذري فيستخدم (نا) الجماعة أو (نحن)، لكانه القم على شؤون الأمة كلها. ويرد خصمه عليه مستخدماً طريقة التعبير منها. بهذا الشكل تصغي حساباتنا

«ظلاماً أن  
المسألة ليست  
في ذاتي فهي  
لا تختفي»!





## الغرض نقل الهزيمة من لا شعور الشعب الأميركي إلى لا شعور الشعب العربي

الخاصة على حساب أمة كنا قد صفتها بما قبل . في هذا الالتباس  
الصمم يصيب أركان السياسة العربية ما أصاب (جحا) عندما ضايفه  
الزلازل فقال لهم : تعالوا معي إلى بيتي لكنا حيث أعنت لنا وليمه  
فاخرة أحفاداً بزواج ولي العهد . فبركضون ويكررون فرحتهم  
بالروليمة . ويصدق (جحا) كلامه ليسال الأولاد : أما تزال المسافة  
طويلة بيننا وبين قصر الملك؟ ...

قالوا عندما وقعت الواقعة : عد الاستعمار<sup>(٦)</sup>  
قلنا : أو توارى يوماً الاستعمار كي يعود اليوم ؟ فعتما شرك ديارنا  
استولى عليها وصنع فيه قول الشاعر العربي :

يا حبيبا لو زرتنا لوجدتنا  
الاستعمار يا سيدي ، هو الاستعمار ليس لكل حالة لوسها ، فهو  
قديم جديد ، جديد قديم . إلا أنه يظن أننا نسيناه ، فيشدد على  
حضوره كي يذكرنا به . وأخرى اصطفاه لذاته . ادعى الأزياء  
وأثرسها . هو النظام العالمي الجديد الذي هو أعل من الأمريالية ،  
إذا سمع الرقيق الذين . شكله هرمي تراثي . إنه نظام من التبعيات  
للمتبادلة ، بعد نسبية أينشتاين إلى العالم الاستمالي . فالاستقلال نسبي ،  
الحرية نسبية ، وكذلك حقوق الإنسان ، وأيضا الحق في الثقافة  
والطعام . ... وأيضا وأيضا الحق في مدونة أمنة وحسن السيادة على  
الأرض . ... ومخلقة كل ذلك الطبع الأمريكي ، حيث والحظ المستقيم  
هو أقرب الطرق بين نظمتين . وتفسره : إذا كنا بحاجة إلى يتول  
العرب فلسنعمل عليه . وحل الحقوقيين أن يبدوا الفبريات القانونية .  
ثم تكلف لجنة من الساسة التخصصيين للاخراج والديكور . والباقي  
من شأن وزارتي الدفاع والإعلام .

وإذا كانت الأمور على هذا الشكل ، فليكن حق بتكلمون على  
وجرمية الغرب للزوجة<sup>(٧)</sup> " كل هذا كان سرك الغرب في حرب  
الخليج غير معلون ؟ هل كان في هذه الحرب اعتداء على مبادئ ، أقرها  
الغرب ولم يتخذها ، ومنها مبدأ تنظيم الجياعات في دول قوية أو لمبدأ  
حقوق الإنسان وحسن كل دولة بالاستقلال وحسن كل مواطن بالحرية  
والسواة والأمان؟ ... لا أظن . المسألة فيها نظر . للاطلاع قبل كل  
كلام من جهة ، أن المبادئ العقلية والتنظيمية التي سلمت بصحتها  
بالزمن ، تستند بالأصل إلى معايير مضرة أو صريحة ، منها تستند  
مير استخدامهما . ونلاحظ من وجه آخر ، أن أكبر نصر حققته  
البورجوازية منذ القرن الثالث ، هو أنها أضعت القيم الأخلاقية  
والإنسانية والدينية التي عاشت عليها البشرية طوال قرون ، لقيمة  
واحدة هي عندها معيار المعايير ، أقصد (الصلحة) ، وفرضت هذا  
المعيار على العالم كله ، وهو والعدول من طرفها في فهم الشؤون الإنسانية  
وفي معالجتها . وصلحة الغرب اليوم (والدول للتحدة الأميركية قبل  
الغرب) هي رفاق مواطنهم . ولما كان البترول العربي من مستنزمت  
رفاههم ، فالاستيلاء عليه بالقوة مشروعة ، مشروع جدد ومعتقد  
جداً<sup>(٨)</sup> . ويستزولون أقصي العقوبة ، ورد أنزلوها ويستزولوا بالذي فقد  
يده إلى نقطة واحدة من هذا البترول . وستكون عقوبتهم مشروعة  
جداً ، يفسن مشروعتها مجلس الأمن الذي جعلوه لهذا الغرض .

قالوا : ومن هم أهل الحل والربط في مجلس الأمن ؟  
قلنا : أعداء الثلاثة بعد سقوط الاتحاد السوفياتي ، فكل  
تدرد على إرادتهم تدر على الشرعية الدولية .  
قالوا : والدولة العربية ؟

قلنا : هي الدولة الواحدة والمحموس من الدول المتحدة الأميركية .  
فللعابري ليست مزوجة ، كما ادعينا يوماً ثم أسقطنا دعوانا لا أدري  
لماذا .

يتسلم عبدالله ساعف<sup>(٩)</sup> ونسائل كلنا ، نحن الذين نستمع إلى  
الإذاعات الأجنبية ، عن السب الذي يجعل أمريكا للتحدة تشدد على  
استنصاره العظيم في حرب الخليج ، اليوم كما من سنة وديا لسنة  
أخرى أو أكثر ؟ ألا تكفيها الاستفالات العديدة والمزوجة التي دشتت  
بها هذا النصر المؤزري في ديارها وفي ديارنا حيث مكثوها من ذلك ؟  
الغرض ، يا سيدي ، هو نقل الهزيمة من لا شعور الشعب  
الأميركي (هزيمة الفيتنام) إلى لا شعور الشعب العربي كي نسلم  
بسيادته علينا ما شاء الله ، ونسلم أيضا بالذلول الفطرية التي  
تستमित في الحفاظ عليها وفي فتحها .

قلنا الشعب العربي لن يسلم .  
ولكن ما موقف السياسي ؟ إنه يتصرف اليوم تصرف المهزوم .

وغداً؟ وبعد ؟  
وما موقف المثقف الذي عليه أن يتألم لهزيمة ثلاثة يوماً تافتنا  
- وتفتنا معها - إلى الموقع الذي يحق للشعب العربي أن يحتله بين الأمم  
المتقدمة ، وهذا تكون قد تجاوزنا ، مرة وكل مرة ، عصور الانحطاط  
وعصور الفزائم ؟

## جحا يهاجرك

أصبح جحا يقول راض نجيب الرئيس<sup>(١٠)</sup> ، إن أكبر خسارة منينا  
بما بعد ضياع الأحاسيس في حرب الخليج ؟ ولكن عندما تركنا  
الاستمالي عدداً إلى القواعد التي انطلقنا منها وخطفنا بعدنا حضارة  
مختلفة سارت الحضارة الأولى التي انبثقت منها الحضارة الحديثة . أما  
اليوم فهم يمتدحون ديارنا بتلاهيون تاريخنا ، يبهون ثرواتنا ، يمدسون  
مقدساتنا . . . وكل ما أشادته بهضتنا يمدونه ويسخرون منه . . .

وبعضهم يصفق ،  
البعض الآخر يعترض عن قصصه ،  
غيرهم يعطلون حناهم ،  
وغيرهم ويفرهم يمتدحون بهم في شؤوننا الداخلية .

ولكننا نطلب إليهم إعادة حقوقنا المقتضية ، بعضها على الأقل .  
وأملنا الكثير اليوم معانق بمؤثر الخليج<sup>(١١)</sup> ، الذي لا ندري أهو للسلام  
أم للاستسلام . فالخلة الأولى من هذا المؤثر التي كان أخرجها لخرجها  
إلى حد جعل منيع إذاعة (إسرائيل) يفتح جائزة الأوسكار لخرجها  
جيس بيكر وزير خارجية الدول للتحدة الأميركية . كما تدك هذه  
الخليقة على أن للسلسل سيكون طويلاً ، حافلاً بالقابلات ولا يشتر  
بأقل خير .

قل إن الحرب التي يشنونها علينا منذ زمن طويل ، هي حرب  
إيذنة<sup>(١٢)</sup> أبداً إنها حرب السكس الأميركي كما قلت لتسني تحتفظ  
بالهزم لتستغلها كل نشاء . وعلمنا من هذا الحركة وفي العمارك  
الأخرى ؟ لأننا نواجههم فرقا متصارعة على البقاء .  
بادري بالكلام المرحوم أبو سلمى قبيل رحيله بحوالي سنة ، وقال  
والدموع في عينيه : عندما غادرتا ديارنا ، كان هدفنا تحرير أرضنا وإقامة



دولة جديدة عربية عليها. أما اليوم فقد صرنا نقنع بضع كيلومترات من أرض كلها لنا، نقيم عليها دولة ما إن شاء الله.

قلت: يا ليت أن زكي الأرسوزي وساطع الحصري وغيرهما من بشرتنا بالأمة الواحدة، يسمعون التصريحات التي تصدر عن زعمائنا وشكيدائهم الفارغة من كل محتوى. عندما توفي زكي الأرسوزي ١٩٦٨، كتبت كلمة في صحيفة البعث المنشقة عنواها: صوت صابر في الصحراء.

لما مضى بعد كل وفاة زكي ربع قرن، وما هو الكلام يتكشف عن حقيقة. كما زكي ينحس من يتخفف عنه الأحداث. فيمد نكسة حزيران (١٩٦٧) حدثي بكلام يدل على أنه كان يتوقع مثل هذا المآل، ومع ذلك لم يغير حرفاً واحداً من فلسفته ومن سلوكه. فالأمة التي صارت الدهر قروناً لا بد وأن تبتل اليوم. وسيعتد جيل تحرر من عقدة الأجنبي، كما كان فاجر يعتقد أن إنساناً تحرر من الخوف هو الذي سينتد الشربة!

قلت: أحب كلام زكي مع الريح؟ أتبدع مع الجبل الذي ربه؟ لم أنه يعبر عن حقيقة سوف تستهيا أجيال مقبلة؟ أعيد عبارة ينشده التي ذكرتها عندما ودعت الأرسوزي:

أنا لا أكتب هذا الجبل، يا بريق حكمتي ألفاً عويمي.

إن في كل كلمة نطقت بها، يا معلم، إدانة لنا كلها. والأدانة كما الأزمة والحرب، محنة وامتحان. ولكن ألا نسمح لنا أن نشك؟ فالشك بعد أساسي من أبعاد الأيمان، وقد يتكشف شكنا من أمور لم تكن مطروحة في أيامك، قد تجد مفهوم الأمة التي عشت وميت من أجلها، ويجعل من مستوى القرن الواحد والعشرين.

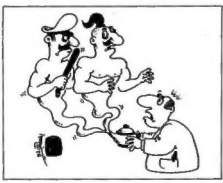
إن واحداً من الأسلحة الكثيرة التي تطرحها علينا حرب الخليج هو: أصاب الفكر القومي، ومعه الفكر الاشتراكي، ويراى المنكوب الديموقراطي، ما أصاب هذه المعاني العظيمة من ومن جعلها تستحيل شعارات ترفعت من مجتاهيها، ترد يدانها ويستخدما الحاكم لأغراضه الخاصة فلا تقنع أحداً. قد تستير الجماهير عندما يخلصها زعيم من مستوى جمال عبد الناصر. إلا أن استأثرت الجماهير كلها أنية، تسقط في الفراغ، ساقطة بنقض الاجتياح ويذهب كل فرد الى عمله. من المسؤول عن هذا التزوي الذي هو واحد من أسباب أزمة الخليج التي ضاعفت واستضافت شعور المثقفين ولولي الأمر بأن زمن القومية والاشتراكية قد دل، وأن عليهم أن يعملوا بالخيز وشيء من حرية الرأي؟ أهو هذه الفئة من السياسيين أم تلك الفئة من المثقفين؟ أهو الأيديولوجيات التقدمية والسلفية؟ أم المؤسسات الحكومية والاجتماعية التي ضاعفت أعدادها وصرنا أسرها، كما دودة الفز تصنع الشرقة وتحتق فيها؟ كنا مسؤول عن انبهار أهدافنا الكبرى، عن تضخم مؤسساتنا وعيالاتها، وعن كل ما تعانى، كل واحد من موقعه وبنسبة قدرته على التأثير. المسؤول ليس السياسي بالدرجة الأولى، إذا أردنا التخصيص. إنها الذي حول معاني الأمة والاشتراكية والحرية الى مفاهيم ويحمل من هذه المفاهيم الأيديولوجيا تستخدم لفهم الواقع وتطويرة، ثم وقف عند هذا الحد، وكأن مهمته انتهت وراح يطلب أجبر عمله، في حين كان السواقيع يتطور ويتعقد بمعزل عن الأيديولوجيا، بحيث صارت هذه الأخيرة عالماً نظرياً قائماً بذاته لا علاقة له بالواقع الذي تجملت من أجله. بل إن المسؤول هو الخلف. فالحاكم وجد الأيديولوجيا جاهزة فبنتها، ربا عن قناعة

وربا دون قناعة ما. الهام بالنسبة للحاكم هو أنه وجد في الأيديولوجيا السوء المعلى والأخلاقي لسلكه، وما يجد من يردعه فيمضي في طريقه حتى نهايتها. فالسؤال الذي يفرض ذاته علينا هو: لم لم يتمكن المثقف من تجاوز الصياغات التبريرية التي لم تكن بالأصل في نظره إلا نقطة انطلاق لعمل طويل الأمد بيقم علاقة ديالكتيكية بين الواقع والنظرية؟ لم عجز المثقف عن استمداد مقاييسه لتحليل واقع ما يزال يتنظر، وتتغير كلنا معرفته؟ فالعقوة العلمية هي اليوم أكثر من أي يوم مضى، الطريق الى التقدم.

أبكون أنا استعصنا عن العطل بالعواطف، وجعلنا من العواطف سترأ نخفي وراءه انتهازية صارت متأصلة فينا؟

أبكون أن الأحزاب الأيديولوجية تعجلت النتائج فلم تترث، أقله حتى تكون أطرها القيادية، هذه الأطر التي جعلت بالأصل للدراسة لا للاسترخاء على مقاعد الحكم؟ الأدهى هو أن هذه الأحزاب ومثقفها استعاضت عن الشعب والثورة الشعبية، عن الدراسة الجادة والمعرفة العلمية، بالانقلاب، بتلقها دفعة واحدة من صفوف الشعب إلى مراكز القيادة، حيث يحل كل فرد ما غلبه عليه أهواؤه، ناسباً أو متناسباً الشعب الذي ابتنى منه. وتسلر الأعداء، تتعقد، تبدل الأيديولوجيات، يتخاطب بعضها ببعض الآخر، ومثقفنا ومعه السياسي في دعول عن كل ما يجري من تبدلات في مجتمع تحركه الثورة العلمية التقنية بالتحولات. وعلازم يتدون عظيم بكل هذه الأمور، طالما أن أهدافهم الخاصة قد تحققت.

السكان في تزايد مستمر ومعهم الحاجات من كل الأنواع؛ للمدينة تصفيح من المدايس بكل درجتها، الصراع على الأفكار يتعقد. فلحاكم أمزج في وسط حضم من القوى يتحسس ضغطها. ولكن ليست لديه الأطر المثقفة ولا دوايل البحث العلمي التي تمكته من معرفتها. وقد يكون أجياليت العهد بالحكم لم يترس بعد بمستزماره والقوى هذه متحولات تتحول بذاتها وفي علاقتها ببعضها. فمن جهة الأجنبي وضغطه المدرس. ومن جهة أخرى الشعب الذي أظفئه الحرب والأيديولوجيات المتصارعة؛ فهو يطلب بحقوقه يريدها في الآن. أضف الجيش والمثقفين، رجال الأعمال والحرفيين والفلاحين... ولا يمكن للحاكم إلا أن يستجيب في أقصر زمن ممكن لكل مشكلة تطرحها قوى أنفسها التحولات الاجتماعية وضوابطها. فما العمل؟ لقد سدت طرق التفاعم والحوار، ولم يبق أمام الحاكم سوى



المسلسل  
سيكون طويلاً  
حافلاً  
بالمفاجآت

بكثير من  
الساذجة راح  
المثقفون  
يسبحون عن  
الصراع  
الطبقي في  
تراثنا

استخدام العنف بكل أشكاله، لإعادة ما يمكن إعادته من الاستقرار إلى مجتمع في طريقه إلى الانقراض. وما هو الحاكم يرجمل.. الاشتراكية كما يرجمل العنف، يرجمل الديمقراطية كما يرجمل البيروقراطية، يرجمل الثقافة والأعلام، السياسة العامة والسياسة المالية... وقد يجد ذاته مضطراً لإرتحال الحزب والسلام... وكلها بالنتيجة سياسة تسويات مؤقتة. أما الحلول الجذرية، فالجمل غير مسمى. أما المشكلة القوية، فقد غفلناها، تناسيناها ونسيناها.

من المسؤول عن هذا التزوي الذي هو واحد من أسباب أزمة الخليج، التي ضاعفت واستضافت في المستقبل القريب شعور الناس بالإحباط؟ فمن القوية والاشتراكية والحرية قد ولى إلى غير رجعة. وما عليهم إلا أن يخلصوا بالخيز ومستنزومات الحياة الأساسية. فلت من هو المسؤول؟ أهو السياسي أم المثقف؟ وجمل الأحوال أم الإداري؟ أم المؤسسات الحكومية والاجتماعية التي ارتجلناها وصرنا أسرارها كما يدور القفز ضمن الشرفة ونحتش فيها؟ كنا مسؤولون عن انهيار أهدافنا الكبرى، عن عطلاة مؤسساتنا وعن كل أبراشنا، كل من موقعه ونسبة قدرته على التأثير.

المسؤول ليس السياسي بالدرجة الأولى، إذا أردنا التخصص. وإنما الذي حوّل معاني الأمة الكبرى - الوحدة والحرية والاشتراكية - إلى مفاهيم وجعل من هذه المفاهيم أيديولوجية، وجعل من الأيديولوجية شعارات موحدة عن استخدامها لفهم الواقع وتطويره، أقصد: المثقف. فالحكماء يجد الأيديولوجية جاذبة فينبأها، ربما عن قناعة، ولكن بالدرجة الأولى لأنها تعطيهم يسر مفوعات عقلية وأخلاقية لسوكة أيًا كان نوع هذه السوكة. وبعد الحكم الطريق شاقة إلى تحقيق الأيديولوجية، فينتهي السوكة الذي يحوّل إلى يسوكة، وهو يعلن بكل الأصوات أنه تقدمي وتقدمي، شعب اشتراكي لا يرضى عن الحرية بدلاً.

السؤال الذي يفرضه علينا هنا هو: لماذا يتصمك المثقف من تجاوز الشاكيدات التي شكلت الصياغة الأولى لمفاهيم أيديولوجية. إن طريقة المفهوم الأساسية في التحليل. فلم يعد المثقف عن استخدام مفاهيمه لتحليل واقع جعلت من أجله، بحيث تفهم وتفهم الحاكم ما يمكن من الدقة هذا الواقع، وتبين كلنا الطريق إلى تطويره وجعله أحسن وأكبر مما هو عليه؟ لأن الأحزاب الأيديولوجية (ذات البرامج عمدة المأمالي) تمجلت النتائج، فلم ترتب حتى تكون أطرها في العقيدة، وتستوضح أفكارها، وتدرس واقعها وترسخ جلورها في صفوف الشعب؟ قل: صائر هامشياً.

على الأرجح.

#### الخطأ أصح

أخلص من كل ما تقدم إلى هذه النتيجة وهي: أنني أرى القوى - الأطراف المتصارعة - المتنازعة على أرض الوطن العربي من أجل حل الإشكالات العربية، إلى ثلاث:

١. الشعب الذي، كل مرة يصطدم في مأزق، ويعبر عن وجهة نظره بوضوح بما يعتقد أنه جدير هذه الإشكالات وهو النتيجة والنتيجة. ويسير مع الذي يعتقد أنه ينتمي الحظ الوحدوي التحرري، لكن الشعب ليس هو الذي يبحث عن الطرق المؤدية إلى الهدف. فهذا

البحث هو من شأن المثقف الذي يدرس الواقع، ومن شأن السياسي الذي يسعى الطاقات اللازمة لتجاوز الإشكالات وتحقيق الأهداف. وينبغي أن الفرق يهذب بين وضع القوى الثلاث، هذه من حيث علاقتها بتابعها وتقاربا التي يقال عن نظام الحكم فيها إنه يساري تقدمي، وبين الأقطار التي يقال عن نظام حكمها إنه سلفي رجعي. فحكومات الأقطار العربية كلها، ومن دون استثناء، تتعلق عملياً بالشعب، تحب كل منها مصالحها القطرية وتقوم بتسويات مع الأجني حفاظاً على مصالحها القطرية والشخصية، والحصول على مكاسب إضافية إذا أمكن. فالأمة العربية الواحدة حاضرة بحضور قوي في الشعارات والخطب، غالبة كلياً عن الواقع المعاش أو عن الحلول المقترحة. فالإشكالات عينا تظهر بوضوح وبشكل مقارفات جذرية بالوقوف منها، على الخصوص في الأقطار التقدمية. وذلك لأسباب كثيرة تتجمع كلها في واحد منها: وهو أن الحكم والمثقف كليهما من منبت شعبي، غالبة في العموم، تتصلقي في حزب واحد أو في أحزاب متقاربة أيديولوجياً، من أجل ثورة شعبية تنفي على الإقطاعية والبيروقراطية وتقيم في القطر حكماً شعبياً، اشتراكياً، ديمقراطياً...

يحقق ديكتاتورية البروليتاريا التي صارت ديكتاتورية الشعب والمجاهير الشعبية (حيث الشعب غالب قسماً). وتتخلى الثورة، يقولون إنهم تحققت، فإذا بالحكام يقرب من شاه من المثقفين. وهم قلة - بعضهم في جيش، والباقيون - ورامهم جانباً، وهذا من حقه، فالقوة التي هي حدث استثنائي، أعطت لذاتها سلطات استثنائية لتحل مشكلات استثنائية، ومع مرور الزمن صائر الاستثنائي هو الوضع الطبيعي. وكما كان كذلك يشكك بطبيعي (قل: صائر الاستثنائي طبيعياً. وقال: نحن الذين جعلناه كذلك). أما المثقف، فجعل من الغرض حقيقة عن فتاة أو عن غير فتاة، سيان، فجها يصدق ذاته بسهولة. ولكنه صائر قضية للفتاة في كل طرف فيها. إلا ما لا يمكن للمثقف أن يصدده هو سؤال يؤرث: لماذا لم تستأ أي طرفاً في المكاسب مع أني كنت طرفاً أساسياً في اللعبة؟! وما هي العلاقة بين المثقف والحاكم تستحيل بسهولة حلداً واحتضاراً متبادلين.

وتستأدل الحاكم وهو غارق في المشكلات - والحجرات: الثقافة؟ وعلام الثقافة؟ إنها ترف في عيط جائع. تكفي الأفكار القديمة والثورية التي جعلها منها أمراً واقعاً. وهكذا انتقل المثقف من موقع الفعل والمبادرة إلى موقع الانفعال والتلقي. يطلب رضا الحاكم عسى أن يحصل على فضلات المجتمع الاستهلاكي. قل: صائر هامشياً.

كان المثقف العربي يعرف أن المفاهيم التي صاغها أو كان شاهداً على صياغتها ليست أكثر من أهداف كبرى، وأن من الضروري معرفة ما يقابلها في الواقع بحيث تصبح لكل منها قيمة إجرائية. إلا أن هذا الطلب المعقول والواقعي تحول في ذهنه إلى آخر أوصى به الشيوعيون، وضماً فرضوه على كل المتقدمين، وهو أن الحركة السياسية الراديكالية يجب أن تنطلق من فلسفة كاملة تحيى على الأسئلة المطروحة في مرحلة تاريخية معينة. المطلب الأخير هذا أدخل المتقدمين في دوامة لم يتمكنوا من الخروج منها إلا عندما ترجم إلى العربية مقال ستالين الشهير (المادية الجدلية والمادية التاريخية) الذي جعل من المتقدمين شيوخين يعانون مختلفة. كان ذلك عام ١٩٤٣ إثر الاتفاق الرباعي وتشترشل، وزولت، ستالين، ديغول الذي مكر السوفيات من نشر أنبيائهم

الحزبية في الوطن العربي؛ أدبيات لبث حاجة أساسية لدى المثقف العربي. إذ مكنته من أن يحيط بمشكلات معقدة كانت تتركه، ويحد بواسطتها موقعه من هذا العالم. والأمر الحاسم في هذه الكتابات أنها علمية. فالأول علم: علمية؛ وصفتها. والذي يسير على هادي العلم يجد طريقه عاجلاً أم آجلاً. قلت: إن الكتابات السبائية - المبسطة - قدمت للمثقف العربي مفتاحاً يفتح كل الأبواب. ومع أنها لم تفتح باباً واحداً حتى الآن، فيجب أن نتحس.

وهكذا تحقق اللقاء بين الثورة والأيدولوجيا الثورية والواقع الثوري. وراح الكثيرون، وبكثير من السذاجة يحنون عن الثورة والديكتاتورية والصراع الطبقي والديمقراطية الشعبية في تراثنا. كما نشأت بين المثقفين العرب طفة كبيرة طليعية - طليعية جداً - مستعنة لا ينامك بالرجعية والعمالة إذا ألفت عليهم سؤالاً فيه يوراد شك في ما يركدون.

لم يتمه المثقف العربي إلى أنه استبدل ديناً - صار عتيقاً في نظره - بدين آخر له يقين العلم وثبوته. ولا أعرف بالنامسة عالماً له من الوثوق بنظريته، بل للمعتنن بالأيديولوجيا.

العريب العجيب أن المثقف العربي لم يسائل ذاته عن علاقة أيديولوجيته بالواقع الذي يعيشه. فالواقع يجب أن يصير مثل الأيدولوجيا. يرى عن ييكساو أنه صنع صورة لسيدة رأينا عند اكتفائها، فصاحت: هذه ليست مثلي. فأجابها الفنان: ستصيرين مثلي.

لقد كانت الماركسية - اللينينية عند بداية دعواها الوطن العربي من الأبواب العريضة، عامل تقدم لفكرنا. إذ حرصت على مراعاة مفاهيمه ونفذت له مجالات جديدة وواسعة للمطالعة وللمناقشة كانت في حينها متعبة حقاً. إلا أن غياب الفكر النقدي لدى المثقف العربي جعل منها إطاراً ضيقاً خضع للتبعية الفكر العربية (التي طاراً تقيده برهوتها، لكان مفاهيمها وأدبها من الأزل وإلى الأبد. على أية حال فإن الأيدولوجيا الشيوعية والمناقشات الكثيرة حولها والشرح، أثبتت المثقف الواقع الذي تجملت من أجله الأيدولوجيا الماركسية - اللينينية.

هذا العقل الجامد، واجه المثقف العربي، في أزمة الخليج، عقلاً منهجياً شريع الحركة بعيد النظر باستمرار في أطره المغلقة؛ كما واجه إعلامنا بالكلبيشات العتيقة، إعلاماً مروته وقدرته على التلاعب بالشرطيات والموافق والعواطف، فجعلك تشكك في عضائدك الأرسخ. أما السياسي الذي ألق الأثرالاح والجراسة الجاهلية، فقد واجه أيضاً متعده غلظت لفزعها منذ أكثر من عشر سنوات ("أخف المرض الأكبر الذي أصيب إلى أمراضنا الكثيرة، أقصد العطش القاتل إلى الترف. فالجميع الاستهلاكي الذي انتشر بسرعة خاطفة في طول الوطن العربي وعرضه (حصان طروادة القرن الواحد والعشرين)، خلق لدى الفقير والعري، حاجات ولطف غرائز غفلت لدى القوم لابس الأعلاني الذي هو أساس في سلوكنا، كما هدم نظام القيم العربية الموروثة. وجعلنا نبدل ما لدينا من ثروات طبيعية وبشرية، وما يجنيه أبنائنا بقرع بقرع، لجعلهم، للحصول على عار وولداً جنسية نافعة، عرضاً عن ترفوتهم ورويو أبلوانا الطاعة في مشروعات صناعية وزراعية متعبة، شائناً في ذلك شأن الحشاش يعرف أن الحشيش يستندد فزات عقله وجسده، ويقضي مع ذلك عليه بنهم

متزايد، لأنه صار من مكوثات عصبته.

تلك كانت حالنا عندما فاجأتنا الغزو الأكبر. فلا عجب إذا كنا واجهناه - ونواجهه - بعقل مهزوم عن عند الذين ادعوا أنهم مستصرون؛ تشهد عليهم ردود فعلهم البائسة، وتصريحاتهم المتناقضة بعضها مع البعض الآخر؛ لكننا نبحث في خضم بهمر هائج عن قارب للنجاة فلا نجد. أما الذين يأمرون اليوم ويكبرون لا اعتقادهم أنهم انتصروا، فحالمهم حال الذي يحول عقدة النفس إلى عقدة نفوق. لقد قبل من حرب الخليج إباحة حرب صغارية وإن المهزوم فيها هو التاريخ العربي. قلت: هل هزم حقاً ماضٍ عمره خمسة عشر قرناً، كان طيلة قرون يغيي، بعلمه عالماً غارقاً في الجهل؟ أرفض أن أسدد. فيأخذ عن المسفل؟



لقد كشفت حرب الخليج والأزمة التي سبقتها وما تزال مستمرة، عن مجموعة من الحقائق كانت في السابق مضمرة، نتحسها ونغفل أن لا نلتوها:

أولاهم، التعاقد بين الحاكم والحكوم، بين الراعي والرعية، بين السلطة والشعب، إلى حد قد يصيرهم انقساماً، فالخلف وعدم الثقة متبادلان بين الطرفين كليهما. هذا التعاقد مزمن يرى إلى عهد المايكلى وإلى ما سببه ورافقه وغنى به من حروب أهلية صار معها الخوف من الحاكم متحكماً شرطاً لدى الشعب. فالسلطة في النظرة التقليدية عقداً، أي أن الحاكم قوة فاعلة تدير أموال الناس وتجعل منهم ولوداً لحزبها. صحيح أن الدين في الحروب العائلية وما سببها وفق بها من حركات ثورية ومقاومة للاحتلال، كانتشار الأيدولوجيات، والانتفاضات، والثورات، من أجل الحكم شعبي... كل هذا أيقظ الشعب، شبه إلى وجوده، دوره، قوته... وإلى حقوقه... وأيضاً إلى الطريق التي تعيد إليه مكانته المسلوقة. هذه الطريق هي: المدرسة والثقافة، الحركات الثورية والأحزاب التقدمية والنضال المستمر. ها هو الشعب يسلك هذه الطريق. وما هم أبناء يتسلمون السلطة في الأقطار المدعوة تقدمية، أو تشرعها بها السلطات في الأقطار المدعوة رجعية... وتبقى الأمور على ما هي عليه؛ فلمن عان السباسبين والمثقفون الشعب؟ فاجأتنا حرب الخليج وقد بلغ التعاقد بين الحاكم والحكوم حداً قالياً بلغه نحن في عهود الاستعمار؟

الحقيقة الثانية هي أيضاً تبادل إلى حين الانقسام، ولكن بين قول الحاكم وعمله؛ وأيضاً بين أقوال العديد من المثقفين وكتاباتهم وبين سلوكهم. هل تسبنا في التسعينات لغة الحماسيات؟

لا أظن. فلا أعرف مرحلة من مراحل تاريخنا كثر فيها الكلام على العرب والأمة العربية، على الديمقراطية وإرادة الشعب... تتكاثر اليوم وقيل عامين. وسعدنا كلمة (استراتيجية) صار الكلام عليها مبركاً، كما صار معناه شكلياً بعد انهيار الامبراطورية السوفياتية. إن الذي يتبدل فعلاً وشكل جلدي هو المجتمع العربي، ويتبدل معه موقع مفاهيم الحماسيات وما موقعها في تونسنا، حكماً وشعباً ومثقفين. إذ أدركتنا الثورة العلمية - التقنية لا يأتينا نحن نهجها، بل يأتيناها، آلات وسلمة. وإذا بنا نعيش في مجتمع يختلف في حقيقته ومظاهره عن مجتمع الحماسيات، ومن ظواهر هذا الاختلاف: التفاوت الهائل بين

صواريخ  
بعيدة المدى  
أفضل من  
مكتنابات العالم  
ودارسيه!

- (١) مسيح القاسم، نحن الآن  
ويشعة تاريخية... مجلة النافذ،  
العدد ١٠، كانون الأول،  
السنين ١٩٩٩، ص ٨٠.
- (٢) محمد بركات، "وقع الحصار  
العدد ١٢٢، آذار/مارس ١٩٩١، ص ١١  
١٨٠. وقد كتب هذا النص قبل أن  
تقع حرب الخليج على ما يبدو، ثم  
بعضها راجع لكتابت موقعه،  
راجع: "رويسون الأمازيغي في  
الجزيرة التونسية"، مجلة النافذ،  
العدد ١٦٠، حزيران/يونيو ١٩٩١،  
ص ١٠٨.



(٢) إدراجهم منه، أي عام سيكون: لظنون العرب والحقاق المولى الحسين، مجلة الثقافة، حزيران/يونيو ١٩٩١، ص ٧٤.

(٣) راجع مجلة الوحدة، السنة السادسة، العدد ٧٧-٧٨، شباط/فبراير ١٩٩١، أزمة الخليج، على أساسها، ومضاميتها، على الخصوص مقالة عبدالله بن قزوين، والتفكير العربي وأزمة الخليج، ومقالة كمال عبدالمطيف، على هامش قراءة لتفكير العرب لأزمة الخليج.

(٤) د. فاضل هندا، عسوة السبابة، مجلة الوحدة، العدد ٧٧، شباط/فبراير ١٩٩١.

(٥) راضى نجيب المرنى، «الخليج العربي»، عسوة الاستعمار، مجلة الثقافة، العدد ٢٤، نيسان/أبريل ١٩٩١.

(٦) ص ٩٠، حيث أورد نشره عدد ١٠ كان قد نشر عام ١٩٩١ في مجلة التفكير، الصادرة في باريس.

(٧) جورج طرابرسيتي، مجلة الثقافة، العدد ٢٢، آذار/مارس ١٩٩١، ص ٢٢.

(٨) راجع مقال راضى نجيب المرنى المذكور سابقاً، حيث يشير طرابرسيتي غربي خطه العرب التي وضعت خطوطها الكبرى عام ١٩٩١.

(٩) مجلة الوحدة، العدد المذكور بعنوان «بين الرهان على الانتصار والهزيمة».

(١٠) مجلة الثقافة، «الخليج العربي»، عسوة الاستعمار، العدد ٢٤، نيسان/أبريل ١٩٩١، ص ٩٠.

(١١) لثابت ذهب السراين، على الخصوص لورا سيغفريد، وأبرزها: غرب الخليج.

(١٢) الكتيب فصل من فصول تاريخ الحزب الشيوعي، الذي وضع وإشراف ستالين.

(١٣) راجع مقال راضى نجيب المرنى، «الخليج العربي»، عسوة الاستعمار، مجلة الثقافة، العدد ٢٤، نيسان/أبريل ١٩٩١.

(١٤) راضى نجيب المرنى، «الخليج العربي»، عسوة الاستعمار، مجلة الثقافة، العدد ٢٤، نيسان/أبريل ١٩٩١، ص ٩٠.

(١٥) أنسى الحاج، «مخاطر تمتد»، نفس الجليل، كم أنت أنه أهدأ العظماء، مجلة الثقافة، العدد ٢٤، نيسان/أبريل ١٩٩١، ص ١٢.

(١٦) مقال المذكور، مجلة الوحدة، العدد ٧٧، من السنة السادسة.

هو شعرنا اليوم من شعر تلك الأيام الواحدة القريبة البعيدة عنا؟ قل لي: علام تأخر فكرنا عن المستوى الذي بلغه مع طه حسين ولطفي السيد ويلهما مع محمد عبده وشلي الشميل وغيرهم؟ قل لي: ما هي العاصم البحرية التي جعلت من مفاهيم الحسيات شعارات صارت عسكتنا الوحيدة في مواجهة الزحف الثقافي الذي سبق الزحف العسكري؟

إن العراق عندك يا شاعر - وعندنا - هو نازك الملائكة وبدر شاكر السياب، البائي وسجبار، سعدني يوسف وسركون... فمن أو ما الذي أغرس هؤلاء وغيرهم في العراق وفي الأقطار العربية الأخرى عندما عصفت رياح الكارثة وتبارى أدباء الغرب ومفكره في مناقشات وضعت كلها في خدمة الغزو؟ من أو ما الذي جعل العدد الأكبر من القطفين العرب يشكعون على أبواب الأرياء من الحكام ورجال الأهل... هذا طلباً للرزق، وذلك لمنصب وثالث سعي وراء ترف ليس منا ولا لنا.

يبدأ وجود الجماعات والأمم عندما تمى كل منها ذاتها وكونها هوية متباينة. ويأخذ هذا الوعي شكلاً إيجابياً عندما تنقل كل مستوى التعبير اللين. ولكنهم هو الإشكال العربي: نحن أمة أوجدنا وبغضها في الوجود - لساناً وتراثاً وثقافتها - فليذا أصبحت الأمة العربية بقصور ثقافي هو - بالنسبة إلينا على الخصوص - كالقصور الخرابي، بلاشي في الموجد طاقته فيلاشي؟ أم الوضع النظم لكل من يشذ عن اللسان الرسمي كما يقول كثيرون. أم سقوط الشروع الحصري كما يقول ميشيل كيلو<sup>(١)</sup>؟ أم الأيديولوجيا السبائية التي شكت حركة فكر العدد الأكبر من لتفكير اليساريين؟ أم عدوى التجسيم الاستهلاكي التي هي كالأبازي تُغذد الإنسان مناعة الفكره والروية؟ أم المزلقة القطرية التي تجعل القطف مصداً بقصر في البصر؟ أم مقالة الانتهازية؟ إن تضارب الأسباب هذه كلها (نسب متفاوتة على كل لطف طبعم) هو الذي حكم على الحركة الثقافية بالشلل، على الخصوص في مجالين متكاملين منها تستمد الثقافة ديناميكتها ومنعاهما، أقصد الشعر والفكر. والشلل توقف، وكل توقف تراجع يتسارع يتسارع حضارة متسارعة أصلاً.

الغني والفقير، سوق الترف المعمة، تربية تخلف في نفوس الشباب ازدواجية في الشخصية صارت كأنها طبيعة فيهم، هي ازدواجية القول والعمل الذي انتقلت من الحاكم إلى المحكوم. أضف ترسم القطرية وتشوه عبادر اقلية تد تلعب أحياناً درجة الكونفيدرالية. ويدل على ما يتم في مؤتمر السلام من مفاوضات أن للقطعة على عية تبدلات أخرى كثيرة بعد أكثر جلدية عما تقدم. أضف أيضاً التبدل في نظرة الناس بعضهم إلى البعض الآخر. كل هذا وغيره جعل من مفاهيم الحسيات كليات جوفاء. ولا أعتقد أن شاباً في العشرينات من عمره اليوم، تكونه الظواهر التي ذكرت أكثر بكثير من تكونه المدرسة، يمكن أن يرى ما كنا نراه في الحسيات، عندما كنا نتحدث عن السلطة الشعبية أو عن الحرية والرأي العام... وما شاكل من مفاهيم كانت ثورية في تلك الأيام.

الحقيقة الثالثة هي أيضاً تأخر والانفصام هذه المرة بين الثقافة والمصالح، وربما بين تاريخ الثقافة وتاريخ المصالح. يبدو أن الدول المتقدمة أو المصنعة، وإن كانت ما تزال كل منها حريصة على نشر لغتها وثقافتها، فإن ساستها صاروا يرون في الثقافة تابعاً للمنتجات التكنولوجية التي تشتريها منهم بأكثر الأثمان ارتفاعاً. وتابعاً أيضاً لحركة رؤوس الأموال التي توقف هنا وهناك في البلاد المتخلفة أو التي تعطل على شكل قروض. ولهذا فإن رسول الأمم المتقدمة البنا، ما بعد الأدبي أو للفكر المدرسة أو للكتاب، بل صار الحيرير رجل الأعمال كابر للمولين والشركات متعددة الجنسيات. وإن صفة من الظواهر الغائبة أو الصلوبيخ البعيدة المدى، تراع إلى دولة متخلفة، لأفضل كثيراً في نظر الدول المصنعة من سيكات العالم وتاريخه!

هذا الغرب ليس غرباً... يقول أنسى الحاج، غربنا هو سرفاتس وشكسبير، لور شاربلي شابلن، وألبو ونايخ، فوكير وفولتير... صحيح أيضاً ديكرات وكنات، وباسكال وطرقيس وبجل... ولكن عندما نركب الطريق التي تمكنا من أن تكون تراثاً يرضع في المستقبل شعراءنا ومفكرينا بين الأعلام الذين يذكروهم أنسى الحاج. لقد شئت مجلة (شعر) في أرواس الحسيات درياً للشعر اعتقدنا كنا في السبائية أنه بداية موفقة لتجاوز التخلف. والتخلف هو لولا في الفعل يتبدى أول ما يتبدى في الأداة التعبيرية. قل لي، يا شاعر، أين

## صبر حديثاً

## السلسلة الروائية



**البلدة الأخرى**  
إبراهيم عبد المجيد



**سرايا بنت الغول**  
أميل حبيبي



**آخر الملائكة**  
فاضل الزراوي



56 KNIGHTSBRIDGE  
London SW1X 7NJ  
Tel: 01-245 1905  
Fax: 01-235 9305

دخلت رصاصة في وجهها، تنهدت ورشقتي بالدم

٥

الطغاة الهواة  
يقتلون الشاعر في الشارع  
والطغاة الطغاة  
يقتلون الشاعر في الشارع

١

دُفتر الصادات  
دُفتر الواردات  
نشافة حبر خشبية  
مصنفات  
غبار خزين  
إمضاء فوق طابع  
أشياء لا تفتن لها الحرب  
أشياء لا يفتن لها الشاعر  
قُوضت دولاً عاتية

٧

من يرتدي بيجامتي  
ويطوي أكمامها  
إذا لم تحبني؟

٨

في مطلع كل فجر، ثمة، بين العشب، خطي  
ينبوع  
يفر من منبعه، لمناخات الغدير  
وفي مطلع كل فجر، ثمة، بيتنا، قتلة مزدانون  
بالأوسمة

يسلّلون إلى الزنزانة كي يصطفون  
أيها الينبوع: حرّرت أمواجاً كانت ساكنة  
أيها الملح: كن عاتياً  
أيها القتلة: أقبل إن أكون موضع اصطفاء. □

# أغنيات لعيون ساهرة

١

استيقظت الشمس في منتصف الليل  
تساءلت، نظرت في ساعة يدها  
ثم غطت في نوم عميق

١

«ج» صبية هادئة لا تحيد التدخين  
شربت معي مئتي فنجان من القهوة  
قبلتني ألف قبلة  
وقالت لي ٣٧١٩ أحبك  
وماتت برصاصة

٢

«خزامي» طفلة ناعمة تحبني أكثر من الشوكولا  
أهدتها «ج» موجة النهر  
أهدتها الشجرة قلم رصاص  
أهداها العاهل عصفوراً وقصصاً ذهبياً وخاتم خطبة  
ويوم ذهبت إلى المدرسة  
رسمت العصفور على الشجرة  
والقصص فوق الموجة  
والخاتم في رقبة العاهل

٤

التي طالما أحببتها حلم مصاع على «وجه العسل»  
وأنا وكثير غلبة  
نفثت الدخان في وجهها، حنقت ورشقتي بالماء

فرحان ريفان

شاعر من سوريا



# نجيب الرئيس

(١٨٩٨ - ١٩٥٢)



■ نجيب الرئيس (١٨٩٨ - ١٩٥٢)  
صاحب والفقيه المشقة أديب  
وصالح ومناضل عايش حقبة النضال  
الوطني القومي في سورية ولبنان والعراق  
والسجون، واشتهر بوطنية وكتاباته التي  
ما حرلت الصحافة العربية أجراً منها  
حتى الآن، فكانت له شخصيته في  
والنفس، لسطح حكومة إثر حكمته في  
أيام الانتداب الفرنسي وبعده العهد  
الاستقلال، وعرف بسبعها السجون  
والقائ سترات طرأاً



نظم هذه الأعمال الكاملة، مجموع  
كتاباته في السياسة والاقتصاد والأدب بين ١٩٢١ و١٩٥٢، في عشرة مؤلفات تتناول  
هذه المواضيع والشخصيات التي شغلت قلوبن الرئيس منذ مطلع القرن حتى  
متصله، عبر روع قرن من عصر جريته والفقيه، التي عاشت ثلاثين سنة  
ومفالات نجيب الرئيس في «العربية» (١٩٢٨ - ١٩٥٢) ثروة تاريخ العمل  
الوطني والسياسي في سورية ولبنان خلال نصف قرن، كما قروي في الوقت نفسه  
أحداث الحركة الاستقلالية القومية في الوطن العربي، المعتمدين أصل إخراج الرئيس  
الانتداب الأجنبي مبادئاً واقتصادياً وثقافياً، والسامية للأصول إلى وحدة عربية  
حقيقية، إنها الكتابة العميقة الجريئة التي تتيح للقارئ المعاصر فرصة اكتشاف كتاب  
كبير □

# تحقيق مخطوطة (ورق الشام)

■ هذا العمل العظيم المتواضع الذي  
استطاعنا انجازه بعد جهد جاهد جهيد، هو  
أول تحقيق علمي - لا فخر - لمخطوطة وورق  
الشام الممتاز على سائر الماركات بالنسبة  
لنظافته ونقاوته والذي يمتطي لتدنيته عشاق  
العربية ويمدحون النضال العربي من محيط



البحري إلى الخليج البشري.  
وقد ترويضنا في هذا التحقيق الدقة والموضوعية والأمانة العلمية طبقاً  
لنضال التحقيق المنهجي التي أرسى دعائمها كل من المرحوم (محمد  
عيسى الجليلي عبد الحميد) في تحقيقه لكتاب ابن هشام، والمرحوم  
(عبد السلام محمد هرون) في تحقيقه لكتاب سيبويه، والرفيق (رئيس  
قسم الوثائق) في تحقيقه مع المتهنئين المائلين أمام غايات الجامعة  
العربية منذ الثورة العربية الكبرى بقيادة (الجنرال النسي) الذي حرّر  
مسطحات المحلة من جيش الاحتلال العثماني قبل بعد بغفر الشؤوم.  
ونحن إذ نقوم بهذا العمل الهام إذ يكون - بلا شك - قد أسدب  
خدمة عظيمة - والأجر على الله - للأمة العربية الغالية غلاء الأسماء،  
إذ أسهمت في إحياء شيء من موات التراث العربي. وعن هذا فحقوق  
الطبع والنشر محفوظة لأنّ (مَنْ أحيا أرضاً مواتاً فهي له) كما يقول  
التراث نفسه، وقد أحيا أعددهم أرضاً مواتاً فصارت له طبقاً للتراث  
العربي. وبعد حين من الدهر أخذوا منه بعضها وهو وافس طبقاً  
لقانون الإصلاح الرعاي، ثم مات هذا القانون عندما نال أشواش  
الإقليم الشبالي استقلالهم الجديد عن (الوحدة العربية) وأصبحوا  
(عضواً) منفرداً به، ثم تغيّر في الصور وجاء يوم البحث والنشر مصدر  
القانون من جديد وصادروا كل أرضه (شيراً شيراً)، فراجع وزارة  
الإصلاح شاكياً ووجد على بابها شعاراً يقول: سنحرر أرضنا (شيراً  
شيراً)، وسألهم أن يعيدوا لحياله أشباراً من أرضه المقتضية، فقالوا له:  
أنت متعزّز... ولكن فرائد الثورة العربية لا يمكن العودة عنها لأنها  
قطعية، ألا ترى أننا كنا وما نزال وسنبقي نرفض سياسة كبتهم  
(شيراً شيراً)؟؟ فقال لهم: لكن الرّاسخين في العلم يقولون إن في  
القرآن ناسحاً ومنسوعاً، فقالوا له: العلم رجعي وإن رقاً قد حنّوه  
وراهم وتقدموا (شيراً شيراً)، وقد أنهت في إحدى مدارك الثورة عقاراً  
له: إن ابك استشهد دفاعاً عن أرضه (شيراً شيراً)، شكرهم على

- (١) يا غلام السجين، القلم: ١٩٢٠ - ١٩٢٤
- (٢) سورية: الاستقلال (١٩٢٨ - ١٩٣٦)
- (٣) سورية: الانتداب (١٩٣٦ - ١٩٤٦)
- (٤) سورية: الجلاء (١٩٤٦ - ١٩٥١)
- (٥) سورية: الدولة (١٩٣٤ - ١٩٥١)
- (٦) إسكندر فنة: اللواء الضائع (١٩٣٦ - ١٩٤٧)
- (٧) لبنان: وطن للتألفات (١٩٢٨ - ١٩٥١)
- (٨) فلسطين: الصفقة الخامسة (١٩٣١ - ١٩٥١)
- (٩) أهل السياسة وأهل القلم: رأي في ٦٠ شخصية (١٩٢٩ - ١٩٥١)
- (١٠) نجيب الرئيس: القلم للنبي (١٨٩٨ - ١٩٥٢)



BIAD EL-BAYTES  
BOOKS  
بوتات

يصدر قريباً

# خطاب تاريخي

عبدالحاميد الخلف إبراهيم

العاصمية) ونحن هنا - كما أسلفنا القول - نقوم بتحقيقها التحقيق المتأخر بزيارة مسجلة لأول مرة في التاريخ وعن الحاسد تيل بالعمى ويقال - والمهنة على الرزوي فلا تصفق كل ما نسمع ولا نسمع كل ما يقال - إن هذه الصفحة التراثية قد طبعت في بغداد أيضاً لكن المصارع الدولي العربي للأمة العراقية الحاضرة المتلافة بالقادسية وأم الماتوك ولوره ابرح ومعهكة الزاب يمنع التأكد من ذلك وليخسا عاشون...

ثم إن استجاشنا للاجماع العربي في قطع العلاقات المقطوعة أصلاً مع تلك الأمة العنصرية المعادية وهذا غير متأكد إن كانت هذه الطمعة خطيرة أم عادية؟ ولا فكري ما هي الصفقات التجارية أو الانسانية التي عقدت شابها مع الأعداء الكثرين في مجلس الأمن الذي يسهو أعضاؤه غير الدائمين - والدوام لله - في سبيل توطيد النظام العالمي الجديد الذي يركد دعائم الأنظمة انبثت الفاسدة ويحرم على الشعوب المتخلفة المناهضة أن تدخل في مناقصة أو منافسة لاستدراج عروش أو استعمار مجرور من (الماء الثقيل) الذي يقطع الأمعاء ويشوي الوجوه كالبهائم وفي هذا حفاظ مشكور على (المصريين) و(المصريين) العربية التي يتغوطها النطف وتتغوطه فوق الأصول التراثية هذه (العمّة).

والحق أنه لولا التصحيف والتحريف والسهو الذي حلت به الطبعان التجاريان للمخطوطة، لما تكلفتنا عبء هذا البناء وسلك سبيل الباحثين والعلماء في تحقيق المخطوطة العماء. ولما احتل أن

تكون مخطوطة بغداد علمية لا تجارية فلم لا يمنع مواصلة هذا العمل السهيب. فقد سبق لإحدى من بابشينا - هو الأستاذ مصطفى الحفري - أن حقق أحاديث الزعفراني عام (١٩٦٩) ونشرها في حلة تحت عنوان (الأحاديث النحوية) فلم يحل عمله هذا دون قيام الدكتوروة ببيجة باقر الحسني بتحقيق المخطوطة نفسها ونشرها في بغداد عام (١٩٧٣) تحت عنوان (المعالجة بالأسئلة النحوية) ريباً لأن الأمة العربية تحت الألفاظ، فإنما لا تستطع استيراداً أو تبادلها مع الآخرين فانها تقدم نصيبها وسأقوم أنا لاحقاً بتفسير بعض أعمار المعجم العربي نلتية للنهم العربي في هذا المجال.

ثم إن إقبال الناس على الطبعات التجارية المخطوطة إقبالاً جيئرياً،



خلاف مطبوعة بيروت

هذا التكريم (شراً شراً) وقرر أن يشهد من الماصلين شيئاً من أرمه (شراً شراً).

وعلى كل حال فإن ورق الشام - ورق تراثي رفيع عريق يمتد من أصايق التاريخ، حيث للمجد والحسب إلى ألقاق المربع حيث رواد القضاء العرب الذين ولدوا منهم في صحراء (بغداد) فصار سلاطناً أسيرياً. وولد آخر في صحراء (سبيروا) فأصبح فارساً روسياً. وسيلدون. وويلدون كبا يقول (عمود درويش - عضو المجلس النيابي) على حد تعبير (تاجي علي) بطل فيلم (نور الشريف).

وكانت مخطوطة ورق الشام قد صدرت في طبعين تجاريتين في كل من بيروت (عاصمة الصحافة العربية) وعكا (عناية الصحافة



للمختوم على قلوبهم، أما الماعزون يراطن الأمور فيعلمون علم البقير،  
أن مدمن سواد عين الأمة... إذا سَحَبَ نفساً من محتويات وورق  
الشام، يستقي وينسج تبسط (التشعل الشكرين) فيس السوية  
والعبر ويصير رب الحوزين والسبير، ويشطع في عالم آخر ويتخيل  
أن الأمة العربية توحدت وأن إسرائيل تيمثرت وفلسطين تحررت كما  
تحرز جنوب لبنان ويشعل المغرب ويغرب الأردن وشرق الإمارات  
وجنوب شرق العراق ويصوب السودان وجنوب اليمن ويصوب دولة  
أخرى (جائزة ألف ليرة لمن يعرف اسمها). ولن يعود هذا الجنس من  
شطحة إلا إذا اغتسل من الجنبية فوجد أن كل جنوب على حاله  
والغنايات على حالها والديموقراطية الشعبية على حالها والشعب الفادح  
على حاله والحال من بعضه.

ثالثاً - في مطبوعة عثان شُطِبَ القفل الفاضح متلبساً بنفس ياء  
المضارة ضحاً عاثاً هكذا (شُغِي) في قول الشاعر.

جرموا تحسروا إنه يُغَيِّى العليل (كذا)!!

وعدا الصم لكلام لا يجوز شرعاً إلا إذا كان للماصي من العمل رباعياً  
(أشغى) بدلاً من الشلاحي (شغى) وهذا الشلاحي له معنى آخر  
سوى شفاء الغليل أو العليل، جاء في (لسان العرب): (شغى) أشغى  
على الخمل إذا أشرف عليه، وفي الحديث: فأشغوا على المرح إلى  
أشرفوا، وأشغوا على الموت. (البحر) كذلك قال من مطبوع الأرفضي  
المصري المولود في تونس الخضراء التي كانت تسمى سابقاً (أفريقية)،  
وهو مناصحاً هذا التطور إلى مصر شبه أهل مصر (الأفريقي)  
وعنهما أنسب حجة (ألم الدنيا) لغوي (المصري)، فأما كاجلمة  
العربية التي عالجها من مصر فاصبحت عربية. وكذا بهم  
التونسي قد هاجر لمصر نفسها وظلّ تونسياً مع أن جواره لشعراي هاجر  
إلى بلاد المشارة فأصبح الحاكم بأمر الله في البليان. وهاجر بنو حلال  
إلى الأفريقية وقتئذ لم نكنهم (هجرناك) لم نهاجر. وهاجر فريد  
الأطروش إلى القاهرة وشغى باليهج المصرية (يا هاجري). أما (هاجر)  
فهو أم العرب المستعربة. وهاجرت العرب العاربة بعد غروب سدّ  
مارس وهاجر أهل الشام إلى بلاد المهجر وهاجر طاركسون حاشين إلى  
فلسطين من كل مع عميق زراعتهم وشيدوا وأرواحاً أرواحاً،  
وما زالت دائرة الهجرة والحوارات مفتوحة على الأخرى وهجرت الطيور  
أعشاشها، وهجرت حبيتي فيكتك (كان في وثني أن أضحك لكي  
بكيت).

ثالثاً - تجرّت مطبوعة بيروت وعثان من الغيط بنقص كاسير إذ  
حلبنا معاً من النصوص الكاملة للقصاص الدارة التي تزيت بها  
خلفونتنا الشَّهْه، وهي قصائد مصداً كبيرة التفع فيها ما يبيع القاصد  
وشُغِف السمع. وبني من الطرح والبيع يمكن أن تكون القصائد  
شجية لا تغفل مصروهاً من المملكات والقبليات والأصمعيات  
والوحيثيات والمسانيمت والروميات والعراقيات وبقية آيات الشعر  
العربي الكبير فمن ذلك قول الشاعر (الورقشاني):

يَا اِخْرُ الثَّيْلُ هَكَذَا مِنْ قَالٍ وَقِيلَ  
أَمَةُ الْعَرَبِ أَقَاتَتْ وَهَذِهِ الصَّغْبُ الْوَيْلِ  
وَأَسْتَغْنَتْ ثُمَّ قَاتَتْ مِنْ مَقْلَعَاتِ الْقَيْلِ

واضرامهم عن الطبقات العلمية الثمينة خوفاً من الأرقام الثمينة على  
أغلفتها... يمحلتا تحاول معالجة إدبارهم هذا بتقديم طبيعة مخلو من  
الغلط وتأسخد بعين الاعتبار مستوى الدخول القومي وتظهر بين  
الأحرار إلى مستوى الدخول الوطني وتشمل بين الاحترار مستوى  
الدخول القومي الذي يتحدو باسم القضية إلى الحضيض وتتحدر  
الفتيل معه إلى الأحمى... وهناك بعض داهم يتهدد لسان العربي  
الطويل فغالية الأغلاط العائقة بهذا اللسان الدلّتي مصدرها

الإعراض عن التراث الأصليل  
والولوج في اثم الحداثة التي ترتع  
وتتخر وتبول وتبدد أمناً بالويل  
والشور وعظائم الأمور إذا لم يتداولك  
الغباري أنفسهم لا يفتاح الأمياري  
الكبير. وهذا (الأمياري الكبير) كتاب  
في تزييط وسدنة (١٩٥٨) أعده مؤلفه  
(محمد أحمد عبدالمولى) إلى الزعيم

الوحيدوي المالحد: بطرس بطرس غالي باشا (أي والله) ولكن لا  
صعب فإن (المعجم المقهور لالفاظ القرآن) أهدني إلى مولانا الفاروق  
العظيم.

ولكني تبرهن على صحة ما قلناه أنفاً بشير في ما يلي إلى بعض ما  
وقع من مثرات في مطبوعتي: وورق الشام التجاريين:

أولاً - في مطبوعة بيروت ورد تصحيح بسيط أدى إلى انقلاب خطيب  
في معنى بيت من الشعر في إحدى القصائد المصداً الواردة في وورق  
الشام، وهذا التصحيح الخطير يجرؤفظة سبلة لا يظفر بهجراً ويغنى  
الدبوس ولها أبعثها الشفيدة، فإن الفرق تخرير جداً بين (العليل)  
و(الغليل) ولا معنى لقول الشاعر

وبه حطر زغبي إنه يشغى العليل!  
فإنه لا يشغى (ولا حاشية) بل أنه - يا فيه من حروف الغلة - يمحى  
الصحيح شيئاً فكيف بالعليل؟؟ وحكومات الدخان نفسها تكتب  
عليه بالمصري القصيح: (غسلأ يصحكتك تنصحك بالامتاع عنه)  
والأصح أن تكون المبالاة: (يشغى الغليل) بالعين المعجمة لا بالعين  
المهملة، ولا يمحى أي يغولي عربي أو حتى ربيع مظف أن عبارة  
(شغاه الغليل) عبارة صمدة على أفواه الأدياء العرب، إذ يستعملونها  
بكرة عنواناً لكتب قوية ودينية وأدبية هامة منها كتاب (شغاه الغليل  
في البحث عن الذات في إسرائيل) تأليف أنور باشا الفحيات، وكتاب  
(شغاه غليل الرفاق في تدمير أسلحة العراق) تأليف حنر الباطن،  
وكتاب (شغاه غليل الحماض في فتح الأندلس للسلام) تأليف  
موسى بن شامير وطارق بن منريد، وكتاب (شغاه غليل الألام في  
صناعة الأوتار) تأليف الباتام تأليف حلف الأطلسي، وكتاب (شغاه غليل  
عرب الدول العظمى في محاصرة الجماهيرية المنظمى) تأليف بطرس  
البيد السباع من مجلس الأمن، وترجو أن يبقى الكتاب الأخير  
مخطوطاً... وهذا غيض من (غيط) وغيض من يفيض فإذا فُتس يخرج  
الدجاج العربي في مطافرة للاستكثار والتتديد ثم للاستكفاف  
والتنطيط  
أما كيف يشغى وورق الشام الغليل فأمر لا يباري فيه إلا الجملية



من لامية الورقشامى - مطبوعة بيروت



ثم قالت بلسان  
ورق الشام الذبي  
عليه طعم شهيد  
وبه عطر زكي  
عربي ليس لي عنة يذبل  
لعل له لوق جبل  
إنه يشفي الغليل

أيها الأعراب هبوا  
هبة الغوم السكاري  
عابروا حذر المنايا  
واكسرو الكاس برقي  
زفط السدر خيول السروم  
فاصرقوا نحن السعيد السوسلي  
لنا حبيبي لا تلتني  
نحن من ماء مهدي  
هبة الشعب الأصيل  
في دجى الليل الطويل  
واشربوا نخب الغليل  
واحدوا بشر العليل  
كرا والسجيل  
نغبت شمس الأصيل  
والبدا ماء نجيل



علاء مطبوعة عمان

المصنوعات الوطنية الشامية القصيدة كاملة تقريباً، وواصلت الليل بالنهار  
لكنها على مخطوطة تقريباً في خمسة ثرائس السبق تقريباً، ووحدة  
أمتنا من صديق هرب في خليج فارس إلى مصيف جبل طارق في مؤتمر  
سلام نغريباً. ورايت في ما يراه الشام بعد أن سكنت شهوراً من  
الكلام المباح أن من الظلم القراح أن نرحم الفراء العرب من هذا  
القص الأبي السمين - بالسين المهمة - فليس بالحجر وحده يمأ  
الإنسان، إذ لا بد له من بعض اللحم والفواكه والخضراوات وشيء  
من الشير العامودي - بالالف العامودية - والشعر الحديس - بالسين  
المهمة - والشعر المشور والشعر المشور والشعر المشور الذي  
تحرر بعد العهد العثماني من السجع والجناس والطباق والمقابلة وسائر  
معنوعات عبد الله بن المعتز، وصار فيه نقحات فلسفية ونقحات  
حاسية من الفكر المناضل والعلاقة الجدلية بين الشكل والمضمون  
والبطيخة المعاملة وديمقراطية البروليتاريا وتحالف قوى شعب الله  
المختار لاستشارة حبة الكادحين ونخوة الصراع الطبقي والدخول في  
عهد الثورة الشواء التي فجرها عطوفة الشرف مكهايون وواصلها  
سعاة نوري السعيد، حيث بُت خلال هذا العهد الشامع جلسة  
الاستلام والتسليم الأولى (بين الظلام الشامي من جهة والأنوار  
الأوروبية من جهة أخرى - بفتح الهمة - ثم جلسة الاستلام والتسليم  
الثانية (بين الصليبيين، ووعده بلفور المعلوم) ثم جلسة الاستلام  
والتسليم الثالثة وصولاً إلى الرابعة . ثم السابعة . . . فالتاسعة . . .  
المصر الثوري والازدهار الوطني والاستقرار السياسي والمباحثات  
التعددية الجنسية في أئمة العامرة بالأفراح دامت أئمتكم والفضيلة باله  
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . . (تصديق حاذق) □

وهذه اللمة الورقشامية طويلة قد تبيّن عن رواية بعض عورتها  
التي ستخشد حياه الجامعات الأخاديمية والجامعة العربية (مؤيد  
الحفر) . وهو ما نخشى عراقي . . . وإلحق أني فكرت أن أقصر تخليفي  
على هذه القصائد الطويلة الفلاسدة أسوة بما فعل الدكتورون العراقيان  
يحيى الجبوري وحاتم الطلمن، إذ اكتفيا بتحقيق قصائد مجهولة من  
مخطوطة (متن الطالب من أشعار العرب) ونشرا هذا التحقيق  
الناقص في مقال واحد مؤيد في العدد الثالث من المجلد الثاني من  
مجلة (المورد) العراقية في عريف (١٩٧٩) الأخر  
ولكي لا نؤلا بطن الغالي بطرس الأكرنا غرنا قرارات المجلس  
فأت البند السابع وهدتنا صفحات تجارة مع الأشقاء الأقبية في  
العراق المحاصر في شعب أبي طالب . . . تبيين لحضرته أن اللجنة  
للمذكورة دخلت بلادنا سهراً أيام الوحدة الاتحادية بين اليمين المشيبي  
واليسار الصالح عندما قال الشاعر النسي:

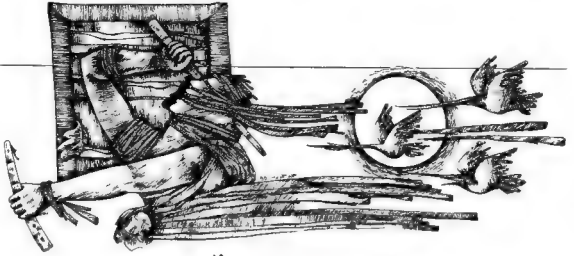
واسكب على السخل في يمنك من بردي  
واجلس إلى الشام من بعدد غالية

وعلى كل حال، فإمّا انفصلا كما انفصل حسن عن إبراهيم  
والخضر عن موسى وكما انفصل الأقليم الشمالي البطل عن الأقليم  
الجنوبي المحتل في ثورة الثمن والعشرين المبهدة، وأخذ كل حاله  
فأصدر الدكتور الجبوري - حاله في كتاب مستقل وصعتر في دولياً  
عوانه - (قصائد جاهلية مائة) وأصدر الدكتور الطلمن مائة في كتاب



من لامية الورقشامية  
مطبوعة عمان

انصالي مجيد عوانه (قصائد مائة) والفرق بينهما في جدو (جاهلية) .  
وبعد التناقل البالغ والتفكير العريض والمشاورات الشديدة مع  
وزراء الخارجية والتشويين الدائمين الضيف قروث بالإجماع دعم



# ... حيث من يفرق هو الذي ينجو

أنسى الحاج

■ أم، ومعتوقة كملزاه.  
عذراء، وعاشقة كروجة محبوسة.

■ أنكره نفسك هو أيضاً، مراث، شكل من أشكال  
الرجسية

■ اكتسرت عبادة لذاته إلى حد بات المساكين يحنون بها من  
فواجهم!

■ انتزع المرأة من الوجود الجبالي - المعنوي - وغولها كانتا  
سليماً هو انتقام منها ذبزه الفرع اليراقطي للمعلل الذكري.

■ يُستحسن ألا نضع دائماً على الغلاوة اسم البراءة

■ نمة دائماً واحد تقتديبه ضحالة واحد آخر.

■ كلما غمّس تحطيط في عظة ضد الفساد أو الخطيئة رأيت،  
في نرات صوته وعلى قسبات وجهه وحركات يديه وذراعيه،  
أبرز صورة لشهوة القتل.

■ لا، تقليد الحقيقة لا يترجم غزير الأمانة. السر الذي  
اتمتت عليه أقدس من الحقيقة

■ أفرأهم: المستعجلة الخفيفة، وتلك الهادئة القدرية. الأولى  
سفحة بطيشها والثانية فتاة بعمقها  
والطيش عميق، والعنق فراغ.

■ المفارقة في المرأة أنها هي الطبيعة، وبواسطتها يخرق الرجل  
الطبيعة.

■ حتى محرم لموازاة صغيحي حيال كل شيء آخر.

■ غلوساً جلدوري في مسافات الذاكرة، عائداً إلى الهواء على  
ظلال الخيال، أغدو عيناً للآخر حين اختل بنفسي أكثر مما  
أكون وأنا أمله.

■ ما عدا حالة واحدة هي الرغبة: هنا المسافة لا تحتاج إلى  
الغاب. فالأدوار يجعل المحاضر حلياً والحلم حاضراً، وهذان  
الحق يجرّد المجسّد ويحدّد الجرد  
ما دامت الرغبة.

■ أستطيع أن أمتحن جمالي أكثر عندما تغرين سواي. بقذلك  
ضمير المتعة.

■ من معاني الوهم، في الفانوس، الطريق الواسع.



بعد التقطاع عنها استمر  
زهراء الصام، يهود أنسى  
الحاج إلى كتبة - عقوقم.



تَطْهَرُ الْأَرْضُ الَّتِي لَمْ يَطْهَرَهَا وَلَنْ يَطْهَرَهَا غَيْرُ هَيَاءِ الْأَحْلَامِ،  
المياه المخبئة وسدها، حيث من يَنُفِّرُ هو الذي يَنْجُو.

عندما صار يُقال، كلما قُتل سياسي أو ذو عقيدة، إن دم  
الشهيد لن يذهب هباءً، فيما ماتت قضية سقاها دم الشهداء،  
الخ... صار دم الشهيد يذهب هباءً وقضيته غوت أسرع  
مينة.

كان الاستشهاد يُحيي القضية يوم لم يكن قول ذلك قد  
أصبح نسخاً عن أصل.

- أعتقد أن الله يَشْرُقُ حياته الأبدية من ولادة الناس  
حين يقعون في الحب؟..  
- الجواب لن يكون أكثر إقناعاً من السؤال.

يحتاج العالم الثالث، كي يصبح فيه الإنسان قيمة مقدسة،  
إلى تعزلات أساسية كثيرة، لعل في طليعتها تحوّل الدين إلى  
علاقة فردية، ذاتية وداعية، بين الإنسان والله، ومنعه من أن  
يصل وحده من غير ما يشرعان ما يتم تحييده للإبادة أو الانتحار  
من غير ذلك سيظلّ الدين في العالم الثالث سداً  
للانفعال وموقفاً للقصف وسكناً للذبح ومعلية للدم  
المأرجح والنسب الداعلي.

سوف يظلّ تَبَاوُجُ المجاملة ما بين واثقي الحصومات أتخذ  
عزاه، قتل أو كثير من العائق، حتى يشعر حبل لاحق بأنه  
بعد هذا شيء، يغير شيئاً عن آخر ولا يصعب مسافة حيوية،  
أو حلالاً، بين اثنين. فاني حياة للسكر ستكون هذه؟  
يوئذ أكبر: العنق أهم سيمادون لا الخلفات وحدها بل  
الصدق. فالصدق يولد الاختلاف والاختلاف يولد الحيوية.  
الآن، خشية المعارك، فضلاً عن شناعة الذكريات الدموية  
معنوية وجسدية، تُفَرِّقُ المسافات ما بين دين ودين، مذهب  
ومذهب، حزب وحزب، عرق وعرق، رجل وامرأة  
غداً استعلاء المعارك، الحقيقة البغيضة المحزنة.

لماذا تهرب؟ أخوف أن أقبض على المخفي منك؟ وإذا، ما  
المتع؟ أخوف أن لا يبقى فيك شيء بعد؟  
ليكن القبض ولكنك الآن. غوت مع انكشاف خفاك  
صحيح، ولكن حياتك الجديدة سيكون خفاها أكبر.  
لأنك هذا السر، ولا شيء سواء منها أظهرت.

أندخل النعمة وروح إنسان ملعون لكي تفسده؟

الجحيم «أعمق» من الجنة. □

الذات، هذه الودعة، لا يسعها، في بعض الصائين  
بضربة القبر. سوى أن تضيق.  
سوى أن تهتز.  
سوى أن تُلْزَى بدون أدنى رفق، لأني، إلا لكي تسلم.

وهل تعرف، أنت، نسلة أجل، أنها النافق؟

الحظ كالطير وأنت كالشجر. يحط عليك إذا اجتنبته،  
ويعود فيحط إذا لم تهمله.

وتجب لذلك أن تكون، كالشجرة، طيباً للأكل ومضيقاً  
للأبواء، وأن تكون غير واعٍ لصفتك هاتين، فلا تهمله.

نفدنا الذكريات للدلالة على جحود الدهر،  
عديم الذكريات لا يضيخ.

أدبٌ لا مروءة امرأة بلا حظية.

تصدح الموسيقى، في نهاية هذا المقطع من عصة المقربة،  
هائجة فرح اللحن يطرهها أكثر مما هو نعم لحن  
هذا هو أروع تلحين: عندما يمشق اللحن صوت مؤنثته  
حتى ليغدو تلحينه للصوت خصائص بكل الجوانب، كما  
يسع العقل والقلب، واعلاء للصوت على اللحن أيها  
اللحن يندمعا واللحن عبقرياً.  
العبقري ليس متواضعاً فحسب بل هو معطاء حتى السماء.

نستطيع أن نكتب عن هذا الكتاب إلى ما لا نهاية، فهو  
مثلون يجذب، وتائه يتسع لكل الاسقاطات

ليس كل اشراق مكبراً لأصحابه، كم من اشراق لي لم تسلم  
ضوءها إلا على بعضي.

لا أحسد أحداً أكثر من شخص ليس مضطراً إلى إخفاء  
حقيقة رأيه. وأكثر ما أشق هو على كاتب مضطراً إلى إحصاء  
حقيقة رأيه. وأكثر ما أحقر هذا الكاتب حين يكون أنا.

حيث تزداد المروءة قد تزداد قوة الحقن ولكنه خلق بلا كثير  
من الحقيقة.

وحيث يزداد الصفاء تزداد لا قوة الحقيقة فحسب بل قوة  
استرجاع الوردوس.

وحيث تزداد قوة الحلم هناك يكون الطوفان الجفيد، تهطل  
أطواره من نوم الحلم ومن يفتقه بانتصاع البساطة المحجول،

## ثمة دائماً واحد تقتديه ضحاكة واحد آخر



## لأنك هذا السر، ولا شيء سواه، مهما أظهرته





# ساحة الكاتاستروف



حنان الشيخ

كانت المرأة التي اعتدت على المغرب معها من مكان إلى آخر متعمدة نظري إلى غير مصطفة ما يحدث لي. علميرة الأولى منذ أن التقينا معاً قبل سنوات تعلم أن مصالحتنا لن تتوقف، ومع ذلك فهي ترائي الآن أحد فرقه. «هل سمعت شيئاً؟»  
أكثر ما على الأثنين أن تتنادوا من جديد على اللامبالاة إزاء السمع، إذ نشأ معاً في أشد الحساسية لأية جلبة، ولا أقصد صبح روجيت، أو سباحتها لصرخة، لفرامل سيارة تتوقف فجأة، أو حتى لصحبة تنمت من الحارج بل كما تنتصص إذا ما الهواه مال بالسائرة الخفية، وإذا صدر عنها أو عني نفس واحد لم يكن في الحسبان.  
كما ما أن يلقى بالسكون مرة أخرى حتى نعاود التقاط شعور الحياة الذي تركناه معلقاً في الهواء وعلى أطراف أسفل كل منا. ممحي به غير أي شيء، إن جرّ الحرف والسرقة هذا كان يؤكل كل جزء من الجسم إلى دغليز فأردق أو أن يروى سرعة، بينما يلحق الحقل بهذا الظما متعشاً لما يراه من تدفق المشاهد عليه. مشاهد لا مثل لها في غرابتها  
كما تتبادل هذه الصور بعد أن يمد بنا كل شيء عدا حفاق القلب وحفاق أسفل كل ما والذي كان يحتاج إلى مدّة أطول حتى يعود ساكناً ويعود جزءاً عادياً كاليد أو كحصىة الشمر. فتردد المرأة لها رأت نفسها تراقق فوق شلال، وأقول لها اني رأيت نفسي رجل مبرك أرمي بطاية وانتظر أخرى. خمس بأنها رأت اغصان شجر التودلح دخلها، وأقول لها اني كنت ألتصق فقه من قشر وأعود أغلقها ثم أعود فتحها.

حتى الآن لا أعرف إذا كانت هذه الصور تأتينا لأننا كنا ملاعين من روجيت والتي لا أعرف حتى الآن كيف كانت غرور مكاب، كانت تخبيبي بكل بساطة. وبكل ما لم كل مرة كانت تساهي. وقهرتي هو الذي يقوذي اليك، فانظر اليها بخولاً أن أكتشف إذا هي سبة أم طهنة؟ إن أكن أصدق أن الفهر لا يتو عند التعاريج لا يحمي في الرديان ولا ينعص بأشول أشجار الكاتاستروف بل يصل إلى ذاتها مصوتها شاملاً. صالماً، باكي، يمو كالقطعة، يمو كالكلب، يعرّزه وكلها لأرباب الصافق ولسباري ولسيارة المرأة ولسيارة التي كنت أستاذها. كنت نحوم في صوب دي جذور نجيبه بمسك بأرج، المكان يروى ويرى السريز، فأجلدني أصمت بقصتي وكل حق مصصاً على عدم التوبة، بل أعاد مكان لا يصل إليه سوى من يترك حافاً سحريراً. ومع ذلك كنت أصغي بشعبي العل والبريد فأنطلي المرأة كغرس خروفت ميا سبي طويلاً. عموه كانت المرأة تحرم بأن شعوي ها هي لعبة يبي وبين روجيت وبأها قد وقت بين مكي أسس وأستاذها، وبأني تركت الأشارات والذلات لروجيت عن قصد، ولا كيف أصغر مياحي المعليم للحفظات تعد أن نفضطها، بينما ناعواها الشبهة بوقت ما؟ كانت نحوم أفاعي يدهك من غير نتيجة. إذا وأنا أسترجم أبتدئي مع روجيت كنت أريد من فأكدني بأنني لا أكن أربك لها أي أدبه سوى أن عشي لجسد هذه المرأة لم يكن يتدخل في حبي لها، وكنت أقسم لها بأنني لم أنزل قط يد المرأة، بل لم أحتجم بين فراغي في سكون، أو أمر راصمي فوق شفتيها، وبأن حديثي معها لم يكن ليتمتع بسرة اللحم ولونه، الشجيرات والمسام والشو. وكأنت زوجتي سند أدبيها أمام زوجي لها يخشي نشد شعرها، تصمعي حتى تصمعي إلى قلبي تنهز، ولربما فخر واستوى في كفها. كم خلخلت عبادات أطباء التجميل حتى طاقن كذبتها استدارة كأس الرابندي. وراحتني حتى لم تعد لها أي طية في بطنها. كم زلذت قصصان نوم تكاد تكون رهيبة من معومة حفرها. كم حاولت أن تنيء وبها وبين أسفل علاقة لا شأن لي بها. لكه كان ذاتاً يتحول إلى عقل، رافصاً مداعبتها له. تاركاً الكلام للسانتي حتى يجاورها بكل عاطفة مزحاً. طلوفاً عنه الوحدة، مفرراً بهاها قد أصبحت كشمسي.

تحاول المرأة أن تستميلني الآن بحركات لم أعتمد عليها من قبل لكنها تقطر شوهة، بينما كنت أستاذها لذا أتيت إلى هنا ونحرم لم بعد يتوجب علينا الاختاء؟ لذا نعمل ساحة هذا الفندق اسم La Place de la Catastrophe وما هي الكارثة التي حدثت حتى دعيت بها؟ نعم إن هذا الاسم لم يكن يطابق بيوتنا الصغيرة المشاككة بأعصاب الأشجار والعمرشات للزونة. والمسيل المشووع على شرفاتها. والجسر الصغير الذي كان يمتد وأصلاً البيوت بيمهها.  
أفصص عيني وأحس نفسي حتى أصل إلى آخر الحسر وأنا أذكرها نملس المرأة وما يحدث لي وأنا أحتنها، ومع ذلك فإن لا أمضي أشعر بأن هناك أحداً ما خلف ظهري. يبي وبين المرأة. يعيدي عه دنيا للتشيتين في ظهري، أتلفت حولي أجد أن ناعوا يعمّ الفرفة. أطحن نفسي بأني وأهم وأنا هذه هي المرة الأولى بعد. . . لكني أصعب صوت وكل غيظ، صوت أوان حامت ألتفت مرة أخرى ففلق، لكن ما أن أرى العمل على الطاولات ساكنة حتى أعاد. وأصمم على العودة إلى المرأة من جديد، والتي لم تزل تلف قفصها حول ظهري. لكن الركل يرداد، الهواء يعلو، سوق سبارتي يرقق. أبهص مدعوراً لا بد أن الصاحب كله يأتي من الهرم الذي أصبح بيت روجيت الجديد بعد أن أصرّت أن لا تدع بعد موتها، بل أن تتحول إلى رعد وهي تشدقها ألا أتركها وحيدة قط. وكنت وعدتها بذلك مهذاً، باكي أمام أرواح مرضها العظيم التي كانت ترحر في جسمها، بأنني لم أتركها لحظة، وبأنني سوف أضعها معي كيهما مشيت وألبيا خللت. أرى الهرم يترك الغاولة، فأحلو من وجود إحدى التقديم دخله، اسم الهواء والصراخ فأناكد أن جذور الصوت موحودة. عندما أجدي أخيراً، وجهي بين يدي أرقى من عيبتها موحودتان أيضاً. □



# حقيقة الحقيقة

علي حرب

الحقبة الأولى، أيضاً، من معالجة المضغلات الدينية وحل الإنشكالات النظرية التي أثيرت في وجه العقل الإسلامي بعد عصر عسحات وانسجحات، أي بعد الإطلاع على العقائد والفلسفات والعلوم والشاعج التي وجدها العرب والمسلمون لدى الغير؛ ولا بد، كذلك، من وضع معيار للعلم، أي وضع السليات العقلية التي تصح بموجبها البرهنة على المسائل، ونجني في الدالمة عن الرأي والمعتدا؛ ولا بد، أخيراً، من الضلع في المسائل التي لا يُقطع فيها في أصول الفقه الذي حدّ علياً ظناً فرعياً. وعده القضايا، تشكل، جميعها،

موضوعاً لعلم أصول الدين، أو علم الكلام بحسب التسمية التي غلبت عليه، وقد حدّ علياً عقلياً قطعياً عرضه تأسيس العقيدة والتشريع لها، والدفاع عنها وتثبيتها بالأدلة العقلية والأقسية المنطقية. فلم يكن إذن شمة مناص من الإجهاد، إن في الفروع والعمليات، وإن في الأصول والمنطريات. حتى صار الإجهاد أصلاً للتشريع، وآلة للتشريع، ومنهجاً للتحقيق، وسبيلاً للتطور والتجديد

وإذا كان الإجهاد قد افتتح في الدائرة الشيعية، فإنه قد نأ وأزهر، وأثر العديد من المذاهب الفقهية والدارس الكلامية، وأنتج غير تسق علمي ومقال منهجي، مما لا مجال لتفصيله هنا والكلام عليه. غير أنه قد توقف بعد أن أُنش وأثر، وسُغت أبوابه بعد انحصار بالمذاهب الأربعة للصروقة في ميدان الفقه، وبعد أن تفرزت أصول العقائد وشكلت طرقها وأحصيت قواعدها بصورة نهائية على يد المتأخرين من علماء الكلام. تغلب عندئذ التقليد على الرأي والإجهاد، وكان ذلك علامة على أن العقل قد نجا نوره، وأنه كفّ عن الإنتاج ليقتصر

■ من المبررات التي تُلقب بنظر الخامل لمسايرات الإجهاد في الإسلام. إن الإجهاد مفتوح نظرياً، ولكنه معدن عميداً، على طائفة، في حين أنه معلق نظرياً، ولكنه مرسوم عميداً، لدى طائفة أخرى. وقد افتتح الإجهاد، أول ما افتتح، لدى أهل السنة،

كما هو مُجمّع عليه؛ فهم أول من مارسه، ونظر له وصّف فيه. ولقد شكّل الإجهاد عمومياً أصلاً من أصول التشريع، كما شكّل أساساً لشاء العقائد وتقرير قواعدها

لغني مجال التشريع كان الإجهاد جواباً على الحاجة الملحة إلى الحكم على الوقائع التي لا تُصّ حروباً عليها. ذلك أنه، لما كانت النصوص متناهية، في حين أن الوقائع لا تناسي، وتوجب الإجهاد، أي إعمال الفكر واستعمال الرأي والفهم، لضبط الوقائع والتشريع لها من جهة، أو للتلفظ في كيفية الاستنباط من الأصل وإلحاق الفرع به وقياس عليه.

ولكن الممارسة الإجهادية لم تقتصر على استنباط الأحكام أو على النظر في طرق الأدلة وقواعد القياس، أي على الفقه وأصوله، بل اتسعت لتشمل البحث في أصول الديانة وقواعد العقيدة. ذلك أنه، بعد انتهاء زمن النبوة وانقطاع الوحي الموحى، يبعد الأمر إلى العقل لكي يهض بدوره، ويأرس نشاطه ويبدع إلهاده؛ فيبحث ويعمل، ويعمل ويتفكر، ويعمل ويدافع، ويثبت ويفعل. وكان ذلك جواباً على أوضاع وسجيات ومشكلات مختلفة: أولاً، كان لا بد من النظر فيما اختلف فيه بعد بروز الانقسام ونشوء الأحزاب، واحتدام النزاع على



نشاطه على النقل والجمع والشرح أو شرح الشرح.

أما لدى الشيعة، فالأمر على العكس، إذ الاجتهاد معلق تقريبا، ومن حيث المبدأ. لأن الأصل عندهم هو تقليد الإمام المعصوم في النظر وفي العمل. والإمامة هي، في معتقدهم، منصب إلهي أريد له أن يكون استمرازا للمسالمة والدعوة، وأمر قد نُصّ عليه وتلزم به.

وهذا، فإن مهم التشرع والتفسير تطاط بالإمام وحده. إليه يعود الحكم والري في أي مسألة شرعية أو اعتقادية فهو المرجع. وليس للأولاد فيه أن يقول قولاً أو يصنع عملًا. وهو إذ يتكلم ويحكم، لا يله أن يقول قولاً يثأر أو يثبأ أو يثبم، وليس حكمه اعتقادي ولا استيعالي. لأنه لا يفتقر من عنده إلى بغيره، بل يصدر في ذلك من لده استيعالاً. ما يحتاجه الجأ. وهو إذ يصحح أو يستأثر، أو يعضأ موضوعاً يزول بحدوثه الشيء ويظهر الإمام للتظن. فكما أن الشيء في استأثر، كذلك الاعتقاد هو استأثر، أي تمنع غيره بغير صاحب الأمر.

وهكذا، كان السَّيِّدُ بُولُكُون، في الجبدي، بالاجتهاد وحرصه على فهم أصول مندرسه وراثة شيازه، ثم انقلبو بعد ذلك وأخذوا يباهي في التلوين ج. على الشجة عارضوا الاجتهاد والراي، في السدي وفي السوي. في الحوادث الأمامية قبله، فكتبوا نقلا عن إخباري. ثم يعرفوا نمية الاجتهاد ولا ذاقوا ثماره. ثم انقلبو بعد ذلك، وأخذوا به، وانحروا به، وارثوه، وادعوا عنه، بل شاعروا به في الغير، وتبدت ثمرة ذلك في طهر عتمة السدي والاجتهاد وأرباب النظر في مختلف فروع الفقه الإسلامية. لا شك أن هؤلاء الفقهاء والمفكرين في الفقه الشيعي اختلفوا فيما بينهم، بل هي تتجلى في كثير من الأحوال، وذلك حسب العصر، وحسب الموضوعات والمسائل، وبحسب نمية النظر والاجتهاد، فغلب على حال أو في الدائرة الشيعية. وهذا حرص حقيقة اجتهادات النماذج على مدحهم بمدى به يتأصلون منادى حكامهم ويتبينون عنهم، فتمسكه وحماهه، فإنهم في الكثير من مقولاتهم يفضون على الفرق الأخرى كالشعرية والمعتزلة ويتفقون معهم في بعض آرائهم وأقوالهم، بل يطعن ما عدا عتبة الإمامة التي هي أصل الخلاف وموضع الجراح.

ومها يكن، فالرافق لا تستأذ بالكلية، بل يستعصى أحدها الآخر  
أو يتم مقامه. ففي البداية كل فرقة تتحدث بين فتح وغلق، بين النظر  
والانقباد، بين العقل والنقل، بين الرأي والنصي. ولا مجال للتفاضل  
وتبادل التهم. هذا فضلاً عن أن باب الاجتهاد قد فتح عند مصرعته  
لجميع الجميع، ابتداء من عصر النهضة والإصلاح. والكل يتنادى به  
ويدعون إلى عمارته. ولستنا نرى بعدة تقسيم نتائجها وتوابعها.

علمًا إنا لا ننفي، بذلك، وجود الاختلافات بين الفريقين. إذ  
الافتقار قائم ومزائل أمام الحاجة وتتجدد بصورة دورية، فكم  
مستحقون في المجتمع موجوده وأساسه، على في وقائمه وترامحه  
من هو أرقن فعلاً، أم يبقون والاختلاف لكل قوة إلهتها  
والذي يبرها على غيرها كله كونه راجعه؛ ولكل طريقته ومصلحه  
ببها ينجل على أكثر من صعيد، وفي غير مجال، فهناك  
اختلاف إيديولوجي عثماني، ينجل في تاسيس الدولة إلى الإسلام  
الذي يحدود الدولة والولاية، الشريعة يرون أن الولاية  
التي يحدود الدولة والولاية، الشريعة يرون أن الولاية

استمرار للنسوة، وأنها لا تكون بالإجماع والاختيار، بل بالنسب  
والتمتعين، وحين أن النسوة بذلك يعطون، بل يمتد بهن  
خدمة وضلالة، والاختصاص في الإلحاق في مسائل الأصولية هاهنا  
والاختلاف في التشريعات، كالاختلاف في أحكام الميراث والزوج  
والطلاق، والاختلاف التشريعي ينشأ إلى أدق التفاصيل  
واختلافات، كما يتجلى ذلك في الميراثات العبادية، كذلك نمة  
اختلاف بين الفريقين ذو طابع علمي استلزموا، كالاختلاف في  
معايير الإثبات، أي في طبيعة الدليل وأهميته، وفي منزلة  
القياس وحجية وسلطته، فالتسوية كما هو معروف، يأخذون بالقياس  
مؤقتة أصلاً، وحين أن النسوة يرغبون الأعداء به، ولعل،  
بمعنى أدق، أن الفريقين يتفانان في مفهومهما للقياس وطريقة  
استعماله، إذ النسوة يأخذون الدليل العقلي، كما يصرحون  
بذلك، ولعل عقلاً إلى وهو شكل الفقي

ولكن، وبالرغم من ذلك، فإن نظرة جديدة مختملة إلى النصوص  
تكتشف عن اتفاق الفريزيين، فيما وراء الإختلافات العقائدية والعقوبة  
للمعرفة. وإخالف فإن العريش يشتركان في آلية التفكير، وفي طريقة  
إنتاج المعارف التي أنتجوها فكلاهما يضع سلطة النص، ويطلق  
منه الأساس ويقيس عليه. وكلاهما يجارس التفكير على مثال سيب،  
يقيس العائب على الشاهد

والأهم من ذلك كله أن الفرقين المختلفين في الفقه والمعادن، ولي  
الكثير من المبادئ، يتفقان في أساس زعمهما للنص القرآني وفي منطق  
حقلتهما/مناهجهما، وذلك لأن كل فرقة، فيها هي تقرأ النص وتستعيد  
معناها، إما بعيداً عن إظهار الحاصل، أو بين فقهها ومفاهيمها ويحصل  
منها، أصلاً يتنافى مع الأصل الحاصل، وأحياناً في إرجاعها لمقصودها  
على النص القرآني. كيف لا، ونحن نجد أن كل فريق قد نصب نفسه  
حارساً أبدياً للشرعية والعقيدة، وبالتالي للتحقيق وسدده من دون  
سواه؛ وأن كل ناطق عاقل أتقوا لفتح النص المقام والنص والكتابة حقيقة  
الشيء، وكثرة حتى يبرهنها الطريق المنطق من الضلال،  
والموصل إلى ذي العزة والحلال. ومن شاء أنه يبذل مصروفه  
رسالة النص الأول، ويقيم أفراده مقام القول الحق، ويتعامل مع  
الحقائق التي يفرعها وكتابتها حقيقة الحقيقة. ولا غرابة في القول  
بالتكلام الذي يزعم التأسيس للحقيقة التي تقدم على الكلام الإلهي.  
النص الذي يبين ما لا حقيقة ويوضح الحقيقة بوضع معايير  
القول حقيقة الحقيقة. والعبارة التي تجدد أدلة استلزام الأحكام من  
النص يفتنوا حاشياً على النص ورجحاً له. والفرق الذي يشرع للأصل  
ينظر له. بصير هو الأصل الذي يعتمد عليه، أو الطريق الذي  
يتقن به. والنتيجة التي يشرح للنص النصوص عليه يصحح  
معنى من أن النص يشرح للنص المشرع الذي هو الله

هذا ما تظهره قراءة حرة للتصويح في الآيات، نرى إلى ما يستتبعه القول ويحتمل - النقص - والحق أن القول الذي يذهب بأنه لا يفعل سوى أن يشرح أو يفسر قولاً آخر، إنما يجب ما يعرضه بالذات، أي يكون الشرح يختلف عن المشرح أولاً، ويكونه أولى منه ثانياً. لأنه إذا كان القول لا يبين إلا بواسطة قول آخر، عد الشرح، لأن الشرح بعد





# الفنانات التائبات

محمد فتحى رشوان ..



■ جيبا تنقلني «الرقائبة» وتنشر الصباحات  
المادية للبطل، يصبح كل شيء عكسا، ولأن  
الاجتماعات تقسو ظواهرها التي تسمى من  
حركتها سلبيا وإيجابيا، فال ظاهرة مثل  
الفنانات اللواتي اعتزلن الفن وارتدين  
الحجاب، والتي تبدو للوهلة الأولى يمحزل

عن ما يحدث على الساحة الثقافية والاجتماعية، تصبح - عندما ننظر -  
النظر من أكثر الظواهر تعبيراً عن الانهيار الذي يتجلى على امتدادها،  
دون أن يسفر عن نفسه بشكل واضح، ان تنبع العزة التاريخية التي  
أفترت هذه الظاهرة، وتوعية المتناكبات اللواتي قمن بالاعتزال وارتداء  
الحجاب، وتوعية الص الذي كن يقدمته، قد بلقي لنا ضوءاً على هذه  
الظاهرة.

ان الموجة التي انتشرت فيها بعد اسم «التوبة» والموجة الى الله قد  
بدأت في أواخر السبعينات، عندما أصبح الله الدين في قمة امتداده  
دولياً وعربياً.

دولياً حيث استطاع رجال الدين في ايران الاستيلاء على السلطة  
لتحول ايران الى دولة دينية أول ما عمله اخلاق المسافر ودور السينما  
ولتحريم على النساء الخروج بدون حجاب أو الظهور في الأماكن  
العامة وحيدات، واعتبار التمثيل بالسلب للنساء عملاً محرماً يمثل  
خروجاً على الدين.

- وعربياً حيث أصبح المساندات في ذلك الوقت الفرصة الذهبية

كتب من مصر

للجماعات الاسلامية لتعبر عن نفسها وبصوت عالٍ من خلال المراتل  
والمجلات والمطبوعات التي غمرت السوق المصرية، وقد كانت أكثر  
هذه المجلات شراسة، هو المجموع على جو الانفتاح النسبي الذي  
يسود العلاقات الاجتماعية في مصر، وبدأت الجماعات المصرية تشهد  
- ولأول مرة - حلة غوشائية لفصل الطالبات عن الطلبة في فاعات  
الدرس بحجة حرمة الاختلاط، وبدأت شوارع القاهرة تشهد - هي  
الأخرى - ظاهرة الحجاب التي كانت قد اختفت منذ مدة طويلة،  
واضحت السلطة من خلال رموزها الدينية المختلفة: (عبدالحليم  
عصود، محمد متولي الشعراوي، جلال كشك) في تدعيم هذه  
الظاهرة، انطلاقاً من الرغبة في واد التيار اليساري الذي كان يتناقل  
في ذلك الوقت دعاءاً عن خنائه الأخيرة، وبلغ الأمر حد أن الجماعات  
الاسلامية في جنوب مصر، كانت تقوم بضرب الفتيات اللواتي يخرجن  
في شوارع عبر عجهليات، أما في القاهرة فقد شهدت عدة دور عرض  
سينمائية المحرم عليها وتوزيع إعلاناتها بحجة منعها من اللذات  
الاسلامية، ولم تسلم الجامعات من الاعتداء، حيث استخدم  
الاصوليون الطلوي والسلاسل في المحرم عمل الاتصالات الثقافية  
التي تقمها الجامعة، والتي تتضمن أفلاماً كانوا يرونها متأنية وخارجة  
عن الاسلام لاشترك نساء غير محشبات فيها، ومن ناحية أخرى واجه  
الوضع الاقتصادي منذ منتصف السبعينات تحولاً خطيراً أدى الى انهيار  
قطاعات متعددة من الاقتصاد القومي، واضطر عدد كبير من المصانع  
الصغيرة الى إغلاق أبوابه بعد إفراق السوق المصرية بطوفان من السلع  
الاستهلاكية الرديئة الجيدة، الرخيصة الثمن، القادمة من تايوان  
وهونغ كونج، وكوريا الجنوبية، مما أدى الى فقدان المصانع الوطنية  
لمستهلكها التقليدي، ومن جانب آخر أدت موجة ارتفاع الأسعار  
الزمنية، الى نشي ظواهر عديدة لم تشهدها مصر بهذه الكيفية.

فعل مستوى الاجرام ارتفعت نسبة حواشي الاعتداء، وعلى رأسها  
السرقة بالاكراه في الأماكن العامة، وشهدت شوارع القاهرة  
وسا زالت، ظاهرة عطف حجاب النساء، أو العصود الى إحدى  
الركبات العامة، واشتهر الطلوي وتبديد الركاب لإخراج قودهم،  
والجدير بالملاحظة أن نوعية هذه الجرائم، كانت تدل على أن مرتكبيها  
ليسوا عتاة إجرام، بل هم أقرب الى السذاجة وقلة الخبرة أكثر من أي  
شيء آخر، ففي كثير من الأحيان يقع اللص بعد مطاردة قصيرة،  
بسبب تكتيك المارة عليه، ومساطة الوسيلة التي يستخدمها في

السرقة، وغالباً ما كان يتحصن أن اللص عاطل عن العمل، أو أنه في وضع اجتماعي وإسائي مزور، فلم يجد وسيلة غير هذه للحصول على حبره.

أما جرائم الاختصاب فقد تصاعدت إلى الحد الذي جعل منها موضوعاً يومياً في الجرائد المحلية، فقد أدنى عدم قدرة الغالبية العظمى من الشباب المصري على تحمل نفقات الزواج، وعدم وجود وسيلة أخرى لتفريغ الكبت والحزن الجنسي إلى لجوء بعض هؤلاء الشباب إلى الاعتداء الجسدي كوسيلة أسيئة وانتحارية لاشباع عيرة طبيعية عجز المجتمع عن توفير المنافذ الشرعية لها، ورغم شدة العقوبة التي كانت توقع بالفاعلين، والتي وصلت إلى حد الأشغال الشاقة للأبد، إلا أن هذه الجرائم أخذت في الانتشار والتزايد غير عابئة بتهديدات رجال الدين ولا هتيراً أئمة المساجد الذين طالبوا بخطيئهم بإعدام مرتكبي الاختصاب.

أما الشباب الذين لم يستطيعوا ارتكاب السرقة أو ارتكاب الاختصاب، فقد هاجروا بأعداد ضخمة من مصر، مبدعين وراء الأمل في الحصول على ثمن شقة تأجير، أو معاش يحميهم من السقوط.

وفي ظل هذا الجرم من الإحباط، وهذا للمخ لتفقد لأبسط حدود الأمان، كان طبعياً أن نجد الدعوة للعودة إلى الله والالتزام بما يحدده الدين، أداتاً صاغية، خاصة وأن الغالبية العظمى من المصريين - إما أميون، أو مفتقرون إلى أدنى حدود الثقافة رغم تعليمهم، وبالتالي أصبح الجو مهيئاً لتيارات الدينية لاضلال ما تراه مناسباً، فلم يعد في الساحة الخلقوة، إلا الصيحات بقطع يد السارق، ورجم الزاني والزانية، وأبس المحجاب، والزام المرأة ينها بصور عفانها - وحفظ كتلة اللحم هذه من الظهور على أحد غريب، والحديث عن الآخرة التي تعوضك عن كل مآسي الحياة الدنيا. اتخذ المألم والمبته، وأصبح حديثاً حديداً عن الوهم، عن الحزن والمعاناة والنواب والعقاب.

ومن الطبيعي أن تواجه المرأة في هذا الجو لعباً بالمنوعات والمهرسمات ضيقاً مضاعفاً، حيث يمثل الحس في المجتمعات المتحللة أثراً، وفي المعتد الذي يحيط، مان المرأة محسدا الذي يصعب معصداً هذا الاتم، تصبح هي الأخرى كذا يجب إحاطته بكل أنواع المنوعات، والالتباه بها حتى لا تصعب فتنة تهدد السلام الاجتماعي القائم على أساس ديني. ومن هنا انصبت التهمة على الفئات اللواتي يظهرون في الأفلام السينمائية، لأن جسد المرأة عورة، كذلك على الفئات اللواتي يبينن لأن صوت المرأة عورة. وفي الوقت الذي تضامنت فيه هذه الحملة للمسعور، لم تقم أجهزة الإعلام الرسمي سوى بالقضاء مزيد من الزيت على النار عن طريق تدعيم الحملة والتعرض على الإعلام التي تتميز بقدر من الجرأة الجنسية أو الاجتماعية.

وكان طبعياً أيضاً أن يصبح العنق والجعل ثيرة المرأة، هذا الطابور الطويل من العائات المصرية في الاعتزال وارتداء الحجاب وهن في قبة مصحجن الهي، وقد بدأت هذه الظاهرة بأحدى العائات المصرية التي اشتهرت بجهاها القماص، والذي استخدمته أكثر من

مرة للزواج بثرأمة النقط العرب، بالإضافة إلى الريجات المتعددة من هتائين مصريين، ومنذ ذلك الحين ازداد ما عُرف باسم العائات التائبات حتى بلغ أكثر من عشرين غائة ليس يباهن فنان واحد، وهذا يشير أكثر من علامة استهتاهم أن هذه الظاهرة تتميز بأبعاد رئيسية يمكن إحاطها في التالي:

١ - أن أولئك الفئات يتفقون - كما وضع في أحاديثهن الصحافية - إلى أبسط درجات الفهم للدور التي وعده الاجتماعي والتفاني، مع اعتقار لمخروط لأي قدر من الأسس النفسية التي تحجبهم من السقوط في مستنقع الديماغوجية الدينية.

٢ - أن ظاهرة الاعتزال انحصرت على الفئات فقط، رغم اشتراك الفئات من الرجال في نفس البوعية من الأدوار وهذا يؤكد الوضعية المتخلفة للمرأة في العالم الثالث.

٣ - أن الأفلام المصرية بشكل عام لا يوجد فيها ما يتسم بأنه مخرج حاد عن الأداب العامة بسبب وجود رقابة صارمة تقطع ما تراه بشكل أدنى حساسية للتيار الديني، وبالتالي فإن اعتزال أولئك العائات، له بعده الاجتماعي أكثر من بعده الديني.

٤ - أن اختلاف الطرق الذي اتخذته كل منهن بعد الاعتزال يؤكد أن الاعتزال كان له أسبابه الخاصة لدى كل منهن، واستطاع التيار الديني أن يجتري الظاهرة - بطريقة انتهازية - لحسنه، فمقداهن اعتزلت وكوت مع تزويج شركة استثنائية تدر عليها أرباحاً هائلة، والأخرى كوت ثيرة ضخمة من التمثل والدناء، وعندما بدأ عالمها في الذبول، انسحبت بكاء متعللة بتوهم عودتها إلى حظيرة الدين، والثالثة - وفي رأيي - على زلزال شهدها، وأدركت أنها لن تستطيع عز إلهائها كما هو عطارس، أعقلت ثوبها وترتها وحجت إلى بيت الله.

٥ - ساهمت الحظ الشهيرة للشخص جلال كشك بشيئتها المعروفة في كل مصر في الحملة على الفئات المصرية، ولا نزال نذكر الحملة التي تعرض فيها للفئات لم كلهم عجباً على أعينها العاطفية، والفئات شاذية على أدوارها في السينما. وهكذا سقط بعضهم وعامة أولئك اللواتي لم يمتلكن البراد التمسى السلام لمواجهة مثل هذه الحملات، التي تشمر فيها أن المجتمع بكل فئاته ضحك، وإن الله والدين أيضاً ضحك.

٦ - أن القوى الديمقراطية والمالية التي كانت تستطيع أن تقف بجذارة وجرم في مواجهة هذه الحملات عن طريق ردعها إلى أسبابها الحقيقية، وتفسير وتحليل منطلقاتها. كانت قد حُصنت وتقلص دورها، مما جعل الخطاب الديني بكل تناقضاته، هو الخطاب الوحيد للسع في الساحة.

والسؤال الذي يشاور إلى المنح هو.

ما الذي يزيد الجماعات الإسلامية؟

هل هو إلقاء دور المرأة كمتملة ومزودة لم إلهاد دورها عاماً في المجتمع بكل مستويات؟

هل سترى ذلك البيع الذي يذبح فيه الرجال أدوار النساء كما كان يحدث في بدايات هذا القرن؟

إن المستقبل مظلم.. مظلم جداً. □

## ظاهرة الاعتزال اقتصرت على الفئات دون الفنانيين



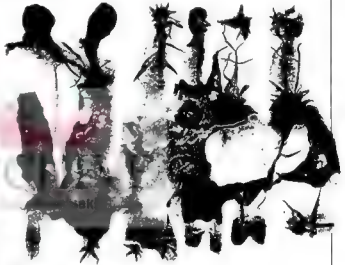
# في خدمة العسكر:

الديموقراطية  
التي يشر بها  
الصادق النيهوم

فسرت ذلك بالحروب الصليبية والاجتياح المسلمي، وقلت إن من أسطر نتائج هذا الحدث تراجع طبقة المثقفين والتجار ونولي العسكر مقاليد الأمور في العالم الإسلامي تحت مبرر أولوية الدفاع عن الوجود، ولوع حساب الحضارة والمذنبين أو التقدم. وهكذا تجرد المجتمع، وتحوّل المثقف من دور الفكر المحاور المألوف للمجتمع، إلى نديم أو طيه السلطان الذي يهر ويحفل وينظر لحكم العسكر ثم حكمتهما! وتنام التراجع ولا يباله، وحتى عندما جاءت الحقبة العثمانية التي رفعت راية مسددين حل أسوار قسبا، ورغم المستوى الثقافي الرفيع الذي كان لأهل سلاطينهم إلا أنهم يحكم بالروح العسكرية التي كانت تسيطر على العالم الإسلامي كله وألوا الخطر عليهم من ظهور قيادة مدنية تركية لاشت أسيارهم كانت القدرة على إقامة المجتمع التجاري الفلتح، وليسر في أعمال البحار لراحة تجار غرب أوروبا في العالم الجديد، ثم سخط الثورة الصناعية. لكن سلاطين آل عثمان استمروا في الاتجاه نفسه الذي بدأه الأيوبيون، عندما فرضوا العسكر على الرعية ولم تكن الانتكاسات التي اعتصموا عليها وسلطوها على المجتمع المدني إلا حافيك الدولة العثمانية الذين حرموا بسيفهم وإحلاصهم، ومدوا حدودها في جميع أنحاء المعمورة أو الثلاث قارات المعروفة وقتها. وفي الوقت نفسه قضوا على فرصتها في دخول العصر الحديث، ثم كانوا أعجز عن أن يخلقوا حضارة وأقوى من أن يرضوا على قبيحا!

ومن دلالات التاريخ أنه كما كانت الحروب الصليبية هي التي دفعت طبقة العسكر إلى الصدارة في المجتمع الإسلامي وما ترتب على ذلك من ضياع فرصة في العصر الرسالي - الصناعي، فإن الحرب نفسها أحدثت العكس تماماً في أوروبا إذ خلصت المجتمع المدني من العسكر (وضع عسكر المسلمين فرسان أوروبا، فحرموا علومهم التاريخي!) واستعاضوا ملوك أوروبا من ثم بالثقل والتاجر في بناء الأوطان الموحدة والمجتمع المدني، ثم حضارة العصر الصناعي أو التنظيم الرسالي الذي استخدم العسكر لبناء الامبراطورية وامتداده العسكر

سيطرة العسكر منذ القرن الثاني عشر إلى اليوم هي لعنة العالم الإسلامي، والسبب الأول لتخلفه، فالنظام الصناعي الذي يحلم به هذا العالم أو للعصر الذي يبعده التيهوم من دون الله لا ينجز إلا بتجمع يحكمه المديون وتحتار فيه الصالح بالسلطان، وليس برأسه. وهي قضية تؤول فيها المبررات. فلننظر حديثنا هذه المرة على العلاقة بين المثقف الذي أصبح رعية والعسكري الذي



■ عندما فرغت من كتاب الصادق النيهوم وهو يقع في ما يزيد عن ثلاثمائة وخمسين صفحة، وجدني أكتب على ظهره عبارة السيد السبح مع تعديل بسيط: مارنا! مارنا! لماذا التعب والقلق والهموم والمطرب واحدا! ومتعباً من كليات المؤلف على طريقة من

محمد جلال كشك

ملك أدبنا يا إسرائيل قوله.  
«الصفة الغالبة على الإعلام العربي، أنه إعلام مسخر علناً لحكمة هدفين سياسيين أوطنا أن يتجاهل أخطاء الحكومة، والثاني أن يمجّد متجزأها الإدارية...» (ص ٩٥)

كنت أفضل أو اكتفيت هذا التعليل والكتاب هو كذلك بالضبط، مجرد محاولة لتبرير وتجميل متجزأت السلطة في بلد لا أكثر ولا أقل. أما إذا كان لا بد من الإسهاب، فأقول:

في كتابي: «طريق المسلمين إلى الثورة الصناعية» (١٩٦٩) فسرت نكسة الحضارة الإسلامية ومعجزها عن النجاز الثورة الصناعية، وقد كانت منها قاب قوسين أو أدنى في منتصف القرن الحادي عشر.

صالحى وكتب من مصر على  
والسلطان له عدة مؤلفات

# مهلكك سر!

حاجية وتاريخية لا يستطيعون معارضة الإسلام من أسامه، ولا حتى في حدود ما فعله أتاتورك ومن ثم فهم يدعون إلى التمسك بحجور الإسلام، ويتكرون للمقتبص طرح صيغة أو تفسير للإسلام لا تعهد سلطنتهم ولا دورهم في إطار التسامح به عالياً. وهذا ما قام به النبهوم بجهد شباب عليه بدون شك. وبالنسبة لواقع البهوم الخاص فإن النظام هناك اختار صيغة اللجان الشعبية التي يجارسون وصفها بالديموقراطية المباشرة التي كانت تطبق في بلدانية

حاضرة المدن في اليونان القديمة، ويطبقها البعض على نظام الحكم في سوريا

وفي اللجان الشعبية تجتمع الجماهير كل الجماهير، وتوصت على جميع القرارات من توزيع الخبز إلى إعلان دمشق والأكراد بالانفصال كروثيا! الغالبية العظمى من المثقفين العرب قبلوا ذلك وتعيشوا. ولا أقول تصاليقوا. ولكن البهوم يريد أن يكون غيبه النظام، المحلل لذي يفتي للسلطان مجاز وطه المالك في حشرتهم لأبهم ملك حين ولاية قالت: «انتكحروا...» ما ملكك أيها ملك الذي سيطمه السلطان الفاتح مقابل هذه الفتوى سيغطي بكه أو طرف جيت نص الآية هل... مما طاب لكم من التمسك الصادق البهوم نظر الواقع السياسي العربي. ولم ياجم الديمقراطية إلا أنه هو أكثر من ذلك الديمقراطية هي أعظم نظام لكل لا يسطر لها ولا يمس المصالح الخاصة إلا أنها انزعج غريغ نشا مع الصرف والمصرف ظهر مع استعمار العالم الجديد. وبما أننا لم نحضر حطة اكتشاف أمريكا فلا يمكن أن تقوم عندنا ديمقراطية، بل نحضر على البهونة أن محل واقع كل الأحزاب لأنا ظاهرة مستوردة فاشنة وأفضلت جهودنا نحو التقدم وسرقت الحرية من الشعب. يقول المثقي الثوري:

ونظام الأحزاب ليس ضمانة للديموقراطية، إلا في بلد فاحش الثراء، عايش تجربة الثورة على الكسبة، وشارك في الغارة على قارات المحيط (ص ٢٣).

وبدون هذه الشروط مجمعة، تصبح الأحزاب مجرد نراد سياسية، معرضة لإغلاط أبوليا فوراً عند أول انقلاب يقيم به رجال الدين، كما حدث في إيران، أو الجيش كما حدث في مصر (ص ٢٣). واستعارة نظام الأحزاب من دول الغرب وهي فكرة أقرب إلى الشبهة منها إلى الصحة، لأن العرب لا يملكون رأس المال نفسه، ولا يملكون العيال، ولا الأسواق، ولا المصانع، وليس بينهم ان يؤسسوا أحزاباً لا نجد ما يدعوا إلى التبرع (ص ١٧٥). «الديموقراطية القائمة على تعدد الأحزاب صيغة إسرائيلية عممة، تخص الأوروبيين السرايليين وحدهم ولا يمكن نقلها إلى بيئة أخرى» (ص ١٨٤).

والثابت، أن هذه الصيغة لم تنجح في أي مكان خارج بيئتها الإسرائيلية (...). ولو كانت الحليلة مئة من صفات ثقافتنا العربية، لما ابرقتت الآن هذه الدفعة المضمكة إلى نظام الأحزاب في وطن

أصبح حكومة، فمنذ ذلك التاريخ وإلى اليوم يتعرض للمقتل لاسلم لاعتصاب العسكر. وتتفاوت مواقف المثقفين... منهم من يرى بمرهان ربه وشبهه فيستق الباب هارباً بدينه وشرقه الثغاني ويقعد قبيعه من دبر، كما عمل للثغون المصريون زمن فرعون، قالوا لن نؤثرك على ما جاء من البيئات. وكما فعل الملكات وريا الكوف من الذين شتقوا وعذبوا أو نشرعوا منذ انقلاب حسني الزعيم. ومنهم من يوضع في قبض الجانين أو يسلم الروح، ولا يفرط في قبيعه. ومنهم من لا ينتج في الإفلات ولكنه يقدم حتى يقد قبيعه من قبل ومن دير والغالبية نكتم عارها وتتسلم مكتفية بلعن الشكر في صبة أصفه الإيجان. ولكن هناك فئة فضلت التكسب بضميها فهي تخلمه واضية وتفرشه للمقتبص على الرملة، وهناك من يعلون رصامهم وامتنانهم لما يفعله العسكر. وبعضهم، وهم شر الناس، يفسدون الانتصاب ويظفرون ويدقون انهم هم الذين اقتحموا الانتصاب، فإن الأمية كانت تسمى هذا العمل بفعله العسكر كما وهو المصالح الجديد لكل متاعها. من هؤلاء الفلاسوف الكبير الأستاذ صادق البهوم، ودعكم من كل المعجب والمضجيج الثوري الذي يغطي به ثعب قبيعه

العسكري في العالم الثالث، والعالم العربي بالذات لا يجيئون الديمقراطية على الطراز الغربي، ولا يسمعون بالأحزاب ولا البرلمان ولا الانتخابات ولا حرية الصحافة. وهذا ما يوافقهم عليه البهوم حرماً، ويطلع بان يعلن شرعية هذه النظم، إذ أن هذه الديمقراطية لا تصلح لأمتنا! منحر عرمون منها ليس بسبب ديكتاتورية العسكر بل لأنها رخص من عمل الشيطان كما يقول الفقيه التقليدي، أو من سلوكيات الملاك لا يطبقها ولا هي فرصت على العربي، لا تصلح لنا ولا تصلح لها كما يقول الصادق البهوم:

والصحافة والدمستور والحرية لا مكان لها في المجتمع العربي أو الإسلامي المعاصر أو العالم الثالث خلف جبل طارق لأنها نظام خاص بالغرب وحده. شرط قيامها هو وجود نظام وأساليب غربي وهو لا يمكن تقليده أو فهمه أصلاً إلا في مجتمع صناعي يشكل فيه رأس المال قوة قادرة على دفع القطاع ويشكل فيه المال قوة قادرة على دفع رأس المال ومن دون هذا التوازن المضد... أننا لا نستطيع أن نكون مثل الأوروبيين (ص ٢٢، ٢١).

أرايت؟! لقد عمل العسكر ما فيه صالحنا ومضى أن تكروها! وحكام العالم الإسلامي الذين يبرهنون الديمقراطية بالصيغة العالمية المعروفة يرفضون أكثر دعوة العودة للإسلام، ولكنهم لأسباب





عاش تجربة الأحزاب من قبله (ص ١٨٨).

هذه فتوى جديرة أن يكتبها طلبة العلم الإسلامي بالإثر على أئمة البصر، وهم يكتبونها فضلاً بالسياسة على جلود الشعوب! وكان يغنيا الفكر ومنازلها يهتمون الإسلاميين بأنهم هم الذين يعاونون الأحزاب، وبها هو عدو الإسلاميين المودع ينسف أي أساس للسلطة العامة التي تحتاج العلم الإسلامي البر، من أجل حق تشكيل وتعدد الأحزاب، وهو لا يفسر لنا كيف أُلغيت الأحزاب في ألمانيا وإيطاليا بالسهولة نفسها التي أُلغيت بها في مصر، رغم أن ألمانيا وإيطاليا عندهما الاسم الأعظم وهو المصروف، وشاركتا في حقل التقسيم العالم، ووصلنا إلى أصل درجات السلم الرأسمالي ورفض ذلك، بل وبسبب ذلك أمكن قيام دكتاتورية فيها ألقت الأحزاب وحلّت البرلمان وأدعت الحكم باسم الشعب! وهناك أيضاً وجد هنر وموسيقى. ولا ننسى ستالين، فهو من فلسف لنا أن الأحزاب والبرلمان والديمقراطية اختراع يهودي شرير أو من صنع الرأسمالية عدوة العمال. ثم انتهى هذا الزيف والقيت بقابله في المحيط بامتطاعه بعض السيرة في العالم المتخلف.

وقادة العالم الثالث ورواح لا يمحون البرلمان ولا الانتخابات وقد جاء في الكتاب الأضفر أن التمثيل تصليح، وهنا يقدم المقي ليظهر ذلك وعمله فيقول إنه لا يمكن قيام برلمان إلا بالأحزاب ولا أحزاب ولا صراع إلا إذا أقام المصروف وأصبح المجتمع من طبقتين طلبة العمال وطبقة الرأسماليين وسيت. . . اند لا يكون. . وما يجري هو بالضبط ما يجب أن يكون فعلاً وكل منعه بالوطنان وإثر القناعة للسلطان!

والكلام استوفدنا من خاتمة عصره (ص ٣١٩). ولا فذلك لنا العربية كلمة عربية تعني "البرلمان" (ص ١٤٧). وهو يرثى الشعب والطبق الشعب الذي سار عليه عبدالناصر والسادات (ص ٣٠٠) وأن العرب كلمة سامة لأنها تصيب بديلاً عن شرعية الحيازة (ص ٤٠) بل وأصلها يهودي كيان! ويلخص رأيه بأنه يدعو للديمقراطية المباشرة التي هي وليست الفوضى وليست فكرة غيالية، بل هي فكرة حرة وبموجبها في بلدان كثيرة على درجة عالية من التمثيل والتطور ولو دولة الاتحاد السوفيتي التي تجمع أربعة شعوب مختلفة تحت قبة برلمان واحدة (ص ٣٦٤). وهو لم يجد مثالاً إلا سوريا ولو وجد لذلك الضحى. ومن ثم فطوله في بلدان كثيرة هو من باب التفرير للشعب، كما فعل سحره كل فرعون! وحتى في حديثه عن سوريا لم يكن أميناً مع قرائه أن كان يعلم، ولا مع نفسه أن كان يجهل. ومسئول أن سوريا تحكمها اللجان الشعبية! أو أن الديمقراطية المباشرة في سوريا تعني الأنظمة العربية، فلا أحزاب ولا برلمان ولا انتخابات!

ولا يجوز أن يردد البهمل الذي يقال في أزمة العالم العربي على صفحات المجلات والكتب التي قد تصل إلى يد مثقف. لا يجوز القول بأن سوريا تحكمها اللجان الشعبية فسوريا منذ ١٨٤٨م يتحكمها برلمان من مجلسين على طراز الكونغرس الأمريكي، مجلس نواب من ٢٠٠ عضو ومجلس الماطعات أو الكانتونات والمجالس أو البرلمان السوري يجرى مختار الحكومة ويراقب نشاطها. وفي سوريا ١٢ حزبا رئيساً مثله بالبرلمان وتشكل ٨ كتلات برلمانية. وفي الانتخابات الأخيرة كان ٤ مليون نائم ثم تم الانتخاب و٤٤٠ مرشح على

٢٢٢ قائمة. ويحكم الحكم في سوريا منذ ١٩٥٩ تحالف من أربعة أحزاب. أما الديمقراطية المباشرة في سوريا والتي تسبب الخلط في بعض الأذهان ويستغلها البعض لتبرير قرارات الشرطة عندهم، فهي تعني حق الشعب في اقتراح القوانين أو طلب إلغاء قانون أو تعديل الدستور، كما تعني الاستفتاء الشعبي الذي أخذ به السادات وأسرف.

في سوريا يجب أن يطلب غشون ألف مواطن إعادة عرض قانون أقره البرلمان في استفتاء عام، كما يستطيع المواطنون طلب تعديل الدستور بشرط أن يصموا مائة ألف توقيع خلال مدة أنضاه ١٨ شهراً. ثم يطرح المطلب للتصويت العام ويشترط حصوله على أغلبية عامة على مستوى الدولة كلها، ثم أغلبية الكانتونات وهي الوحدات التي تكون الاتحاد السوري الفيدرالي. فالاستفتاء الذي تجر به الحكومة والاستفتاء الذي تجبر عليه الحكومة هما المصهران الرئيسيين لما يسمى بـ "الديمقراطية المباشرة". وفي داخل الكانتونات يصوت الناخبون على كل إضافة للميزانية مرق حد معين<sup>(١)</sup>. وكما حدث في مصر يمتنع الكثير من فقهاء القانون والسياسيين في سوريا على أسلوب الاستفتاء لأنهم يعتقدون أنها وسيلة لتفصيل الشعب لحساب المصالح الاحتكارية الكبرى التي تضم من خداع المواطن العادي بمكس الحال مع التراب في البرلمان.

أما عن الديمقراطية الهواة أطلق كما يسومها في سوريا وهي القشة التي يشبث بها النجوم، فهي لئس في حصة كانتونات فقط من ٦٣. وذلك حين يجمع الشعب كله لإقرار ميزانية الكانتون والقضايا العامة للكانتونات. وقد أصبحت أشبه بمهرجانات إحياء التقاليد ويحلب السخ. فهي كاتون (أمازلة) لا بد أن يحمل الرجال السيوف لإثبات حقهم في التصويت ولأن كل السيوف كان عتوراً على العيد والنساء) وقد اضطروا لإصطاف النساء ترخيصاً كتابياً بالخطور. وهذا يؤكد أنها تقاليع ومهرجانات سياحية وليست طريقة جادة لحكم البلاد.

باختصار الديمقراطية التي يشتر بها الصادق النيهوم، بعد أن شرق وغرب والتي بكل طريق وسعغرب، هي اللجان الشعبية ولكن لو كتب ذلك لما أصبحت له ميزه عن الكتاب الوافدين، ومن ثم يهاجمك النيهوم بقنبلة الجامع. لا بد من العود للجامع فهو بداية ديمقراطيتها. هو الخلل لاشكاً. هو الحر للإسلام والأسير والسلمين المتصفين. هو البديل عن المصطلحات الديمقراطية الرأسمالية إنه مقر مفتوح في كل غلة يرزاه الناس خمس مرات كل يوم. هم حق الاجتماع فيه، حتى خلال ساعات حظر التجول. تحت سقفه مكتولة حرية القول، وحرية الطهنة وسلطة الأغلبية في لفة كل المصطلحات العلوية، وكل كلمة حية ترزق.

والسلام لكي يامر بالعرف وبعني هو المنكر يعني أن يكون له صوت سموم في اصدار القوانين وكلمة لا إلا الله التي أن أحداً غير الله لا يملك السلطة. وكيف إذن أعطيت السلطة للجان أو لجلس الشورى أو زعيم الشورى؟ وليس له أن يتخذ القرار إلا بعد إحصاء الأصوات. (ص ٢١). ومن دون الجمع لا نملك كلمة ما يضمن للجماعة حق إدارة شؤونها



سوى صحافة من دون سلطة، ودمشور لا يحتاج إليه أحد، ودمشق رابطة صبة التلح، لا يعرف رابطة من أين يكلمها. هذا هو نصف صحتنا من دون الجامع (ص ٢٢).

الله سمى البريدان بـ"البلص" ويودعا الناس للاجتماع فيه مرة في الأسبوع (ص ٤٩).

وسليم السلطة المباشرة للناس عن طريق الشورى المباشرة في الخواص (ص ٣١).

وقيل ان تصح الله أكبرا هل اسمع من النيهوم؟ قبل ان تستأثر كما حدث لرياض نجيب الرأس، وتصور ان النيهوم يريد العودة إلى المسجد حيث بدأت حضارته، سوف تتذكر ان هذه هي شارات الأضرحة والحركة الإسلامية، وهي من المحظورات في العالم الإسلامي، وبالذات حيث يتولى المسكر القيادة، فذاك عرف متفق عليه منكم استلام الجيش التركي للسلطة. فكيف يطلب النيهوم بالمودة إلى المسجد أو حتى يحكم المسجد؟ هل سيحول ان الخلل هو الإسلام؟ هل أثر النيهوم الحرة وقرر ان يتنقل مع فرائض الشهداء، لم ان العجاجة والتفاحس أوفداه في شر أفكاره وأطبقا عليه فنه؟

هيهات! انه يهتري من الطراز النادر. ولعله وصف فكره قلوباً عندنا قال: وتعرضت الاخيلية لحملة تسمية مرفوعة قادها السحرة منذ عصر سوبر لتبرير سلطة الملك - الإله في برنامجه مقتد من الحرافات والأساطير استهدف تحريك عقول الناس وحرق كل جسر يربطهم بولهمهم (ص ٤٢). هذا تسميف شديد البغضاء لا يتوهم به السحر المعاصر الصادق النيهوم. وإذا كان النيهوم يرفض البركان كما يرفض كل الفكر، ولكن على أسس ان كلمة بران لا وجود لها في اللغة، إلا انه لا يتسلل بهذا الاعتزاز الوطني في نظريته عن المسجد، إذ يرفض اللفظ الذي ورد في القرآن ويصر على كلمة الجامع التي لم ترد ولا مرة واحدة لا في القرآن ولا في السنة. وهو عن أية حال يرفض السنة، ولا يسيار في ذلك المسكر وحدهم، بل الخواص الذين مازال نفوذهم الفكري يترك بصمته على تفكير الكثيرين من العرب حتى النيهوم!

هو ضد المسجد الذي يضم المسلمين المصلين والمصلين والمصلين والمكائين. وهو يريد جامعاً لجميع الناس بغض النظر عن دياناتهم وشعائهم (ص ٤٩).

والجسد فكرة قديمة عرضها كل الحضارات، ولها اسم في كل لغة أما الجامع فهو فكرة أخرى لم يعرفها أحد ولم يدع له أحد إلا الإسلام (ص ٣٣).

نعم ولا عرفنا الإسلام ولا الله سبحانه وتعالى الذي فضل لفظة المسجد بل يذكر الجامع قط!

الجامع الذي يطالب به النيهوم هو التقيض للمسجد للمسلمين، ولا يمكن ان يكون إلا كذلك. فهو مكان يريد النيهوم ان يجمع فيه: الناس للفرق بين المسجد والكنائس والمباني في جهاز اداري موحد (...). هذا الجامع لم تعرفه ثقافتنا العربية أبداً لأنه انتهى قبل ان تولد، وتركتها تنمو في المساجد لكي تصبح نصف ثقافة، لغتها تقول شيئاً واقعياً يقول شيئاً آخر... (ص ٣٣).

فالمسجد كان التمسك المطلوب الآن تحرير الجامع من المسجد.

تحريره من الإسلام وسيطرة المسلمين، وجعله مرتعاً لغزول وملتحق صلبان ونجمة داوود. وقيل ان تستطرد تقول ان النيهوم مفرغ في حق الإسلام المتعارف عليه، ولا أظن اني بذلك أعاجبه أو أحرز عليه (أحرز من يا حيرة! وقد أصبح الطريق مفرشاً بالورود لكل من يسب الإسلام، والشقاق لكل من يتمسك بالإسلام) وكفي أصحح وضماً مغلوطاً. إنه لحوق بئر الألم ان يحاول هؤلاء المتفقون التمسك بالإسلام، وهم يرفضونه من الأساس، فما الذي يمنعهم من المجاهرة بالحادهم؟ انهم يملكون يدور مارتن لوثر ولكن لا يملكون شجاعته. ولا هم على استعداد لتحمل تبعات موقفهم. يريدون ان يتوجوا أصحاب دين جديد بلا صليب ولا حتى معاناة، بل بمجرد التشقق يعض كلبات تقال من مكتب مكيف الهواء أو تلج على سكرتيرة إيطالية أو فرنسية الثقافة من تلفون السيارة!

اليهوم يدعو لدين جديد غير الإسلام الذي يتبعه المسلمون واتباعه، هو ضد حديث أركان الإسلام المحسة. فهذا الحديث وهو الذي أنشأ الإسلام ويمكن بني أمة من سلب حقوق الناس، (ص ٥٦) (ليس كلاماً هنا يجب نقد أفكار النيهوم، وإثبات تأصيلها، بردها لجذورها وكشف ادعاءه للوردة كاذبة، والألفنا متى وكيف يمكن هذا الحديث بني أمة من سلب حقوق الناس؟ هل توجد دولة في تاريخ العالم واجهت ثورات وفردات مثل دولة بني أمة فابن تأثير هذا الحديث؟) **اليهوم ينكر البعث (ص ٨٣، ١٠٧، ١٠٨)** وينكر الأخيرة (ص ١٠٤) وينكر الجنة (ص ١٠٩). وهو يرفض الصلاة كعبادة ويعتاد أنها عربة في الجحيم أو برنامجي في فوندا سابق لعصره (ص ١٢٧).

وإن حركات الصلاة الإسلامية ليست رموزاً بل أوضاع يتخذها المصل للتمسك بضغط الهواء في جميع أنحاء جسده بتوتيت الشهييق والزفير (ص ١٢٩).

ولأن فقهاء الإسلام لم يكتبوا يتفقون علم الشهييق والزفير مثل

#### من «التألق»

#### إلى كتابه «قرآننا»

#### خاصة تبدأ

- في هذا العدد (نور/ يوليو ١٩٩٢) تبدأ «التألق» ستها الخاصة. وفي هذه المناسبة نود ان نؤكد جديداً ونشدد على ثوابت الية النشر فيها.
- جميع المواد التي نشر في «التألق» تكتب خصيصاً لها. و«التألق» لا تعبر عن اتجاه لغائي بعينه ولا تتوخى سوى الأثر الإيجابي وسلامة الفكر والمحتوى الفني اللذان معياراً لها. والتقديم والتأخير في نشر التألق يجريان وفقاً لخصائص تنسيق عوالم العدد. ولا تغلب أية مراجعة حوشا، ونحذر سلفاً من الرد على أي استفسار حول مواضع نشرها. وهي نرسو كتاباً ألا يتجاوز عدد كلماته ٧٥٠٠ - ٣٠٠٠ كلمة، وألا يتجاوز القصيدة أو النص صفحتين من المجلة. ولا تقبل المادة ما لا تكن الأصل وليس صورة عنه. ويتمل أية مادة لا تتلزم هذه الشروط. من دون اشارة الكاتب بذلك.
- توقف «التألق» ابتداء من العدد ٢٩ (نور/ يوليو ١٩٩٢) للاشتراكات المجانية لجميع كتابها وقرائها.
- لا تمنى المجلة نشر القصص للترجمة.
- المواد المقدمة للنشر لا تملك إلى أصحابها إن لم تنشر ويتمل إذا علقت من اسم صاحبها وعنوانه البريدي الكامل ورقم هاتفه.
- لا تدفع «التألق» مكافأة من المواد التي ننشرها، بما في ذلك الاشتراك المجاني.
- جميع المكاتبات باسم رئيس التحرير وترسل إلى أي من عناوين المجلة الثلاثة.



فقط وليس القرآن! على من يهتك إلى متى تزيف ويصل وتقول غير ما نعي ١٩ قلها وتحمل نتائجها فانت تعلم ان كل الغرب الصليبي وعملاء كافة الأجهزة سيهرعون للدفاع عن حقل في الكترا . وتحريف مفهوم الجهاد، من معركة لإقرار الديمقراطية إلى حرب ضد بقية الأديان (ص ٢٠١) . (وهو مسخف وإفتراد! فعلى حارب الإسلام بقية الأديان . والله أولا سيثبتنا أكثر من دين وقلة ، ولكن هذا هو خلف كجند الأجرب يفترى علينا يا يفتر تارخنا بخلافه منه!).

الصائق النهوم عنهما يتحدث عن الجامع هو يعني للجان الشعبية وليس المسجد فهو ضد المسجد الذي أضاع الجامع وضاع الجامع وراء المسجد (وهو مسخف وإفتراد! وهو ضد الحبل الإسلامي والإسلاميين، مثل السلطة كل السلطة في العالم الثالث، بل ومثل حكومة فرنسا وأمريكا وتل أبيب (....) الخ . فهو يقول : «فالدعوة التي ترتفع حالياً في أرجاء الوطن العربي، معادية [لإحياها الإسلام] دعوة لا تطالب بإحياء صورت المواطن المسلم في مؤثر بين الجمعة، بل تهدف إلى تكريس إلغاء الحوار باسم الإسلام نفسه» (ص ٩٢) . ثم يفتقنا حكمة: «الإسلام الذي يشر به القرآن ليس شرعية تطبقها دولة، بل دولة أخرى في حد ذاتها» (ص ١٢٤) . وأم جحا فاعلة ان كان قد فهم شيئاً وهو يزيدنا تعريفاً بحمامه الذي هو نفيس مسجداً يقول : «وب لا تسري فهو قوانين الدولة» (٨٨)

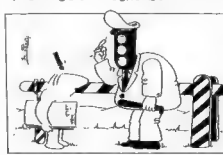
إن كان يقصد للجان الشعبية فهو يفتقنا، لأنها تشكلت بموجب قرار من رئيس الدولة وتسري عليها قوانين الدولة بالطبع والوضع . وإن كان يتحدث عن مسجد المسلمين فهو بالطبع تسري عليه قوانين الدولة بل التي تسري عليها قوانين الدولة بالطبع والوضع . وقد يكون التشريع في المسجد كخارجه ولكن المهم هو ان يكون بواسطة أهل الحل والمقد . ومن معه لأمة الأساليب الذي يفسن شرعية وجدلية وزمارة وصديق هذه المرافقة . المسجد بل يصنع المواطن الحر بل يصنع القرآن والسنة . نعم السنة التي علمت المسلم ، انه لا قدسية لشر ولا عصمة للقرار بل حتى قرارات رسول الله في أمور الدنيا قابلة للمحلفا وللمراجعة والتصحيح . المسلم الذي تعلم ذلك في غزوة بدر، هو الذي علم المرة ان تصيح في المسجد : ليس لك هذا يا عمرا وهو تعلم من سنة الرسول انه لا بد ان يرجع عن الاجتهاد الخاطيء ، متى بُدَّ له . فالأصل هو الإسلام، هو التجميع للمسلم . هو المواطن المسلم . أما الجامع الذي يضم كل الأديان فهو هايد بارك أو لعل دعوة بهائية مستكشف عنها الأيام . كذلك رفض الإسلام سياسة التطيع الذي يمسح في مكان عام ويصبح موافقون موافقون . أو ما يسميه النهوم بالديموقراطية المباشرة . ولما حدث ذلك ينادي رسول الله بأبي وأمي فقال: «لا! ولكن اختاروا من بينهم نقيضاً يرفعون إلينا رأيكم» . صلات الله وسلامه عليه . هذه هي الديمقراطية الحقة دون حاجة للمصرف اليهودي ولا غزو أميركا وإبادة اليهود الحمر! وقد تعمد رسول الله ان يوكل إمعة الصلح الجامعة إلى المسؤول السياسي شخصياً، لتسهيل مهمة الحوار السياسي، بالذات» (ص ٨٩) . يعني ١٩هـ هو كان في مسؤول سياسي ومسؤول غايراني ١٩ حلقة وملكه!

وتحلو له لمة البثية أو المرتعة (أو حورسني يا عطية) فمن لا تستحق البهائم ولا الديمقراطية قبل ان تمتلك المصرف ولا سبيل

النهم ، فإنهم لم يكتشفوا أبداً لماذا واختار الرسول عليه السلام هذه الحركات من دون سواها . مما جعلهم إلى تفسيرها تفسيراً بطلاً بحثاً والموقوف في الصلاة هو الشكول بين يدي الله والسجود هو إيداء الخشوع (....) الشيخ (ص ١٣٤) . هذا «محض» لا قسمة له ، ولكن البض يعتبره شجاعة وحركة على الغفصات - وهذا صحيح لو كان كاتبه يعيش وظهر أو الرياضي - ولكن حيث هو في جنيف فلا شجاعة ولا من يجرؤون!

وهو غاضب جداً لأن ثلاثة يجرؤون على ثلاثة القرآن قبل ان يتسوا العاشرة ، وغاضباً لتحريرهم الفقه زواج غير المسلم بالمسلمة (ص ١٥١) . وهو يرفض قول القرآن ان الله خلق السموات والأرض في ستة أيام . ويرفض ما جاء به عن خلق آدم وحوله (ص ١٦٥) وكل ما ورد عن قصة موسى ورفعون (ص ١٦٦) . تحريم الربا غلظة اقتصادية عميقة (ص ١٥٤) . والإسلام دين عصري لأن المسلم يعتقد انه : «هو عبدالله الصالح الذي وعد به بالخلو في الجنة، ووعده غيره بالخلو في النار . إنه مثل الرجل الأبيض الذي يعتبر لون جلده مبرراً شرعياً بالتفوق (هل الدين يقوم على الاختيار الحر والفتوح لكل من شاء . أم لا تقل اننا أمام نصب فكري ١٩؟) ويتابع : «وهي فكرة تناقض صراحة قرآنية صريحة، لكنها أصبحت قاعدة لقوانين اسلامية متعددة، منها تحريم زواج المسلمة من غير المسلم (القوانين الصعبة تحرم زواج الليبية والكويتية من المصري أو السوداني) الخ . وكما قلنا إن الإسلام فصح صعب الطريق أن أباح الأسرة المتعددة الأديان، بزواج المسلم من غير المسلمة وعده حصوة في عجبها أي دس . فهل يصنع الطريق أن عجبها الطريق أن عجبها الطريق أن عجبها لا يتخذ موقف الاحاديث التي يفرغون إلى الخيال بزواج الرجل أو المرأة ولو حتى من مذهب آخر داخل الدين نفسه . عجب!»

وبعد ذلك يقول : وإساحة دم المرتدة ، واعتبار غير المسلمين أئجاساً ، لا يمتن ثم دخول الأراضي القديمة (يا سبحان الله ، إعلانه صلب جلد أهل الخليج لأهم مسموماً للمشرئين بدخول حفر الباطن التي تعد ألف ميل عن الأراضي المقدسة ، وما هو مطالب بإدخال المشرئين البيت الحرام ، ولعل هذا يكشف أكلونة تسخه بالقرآن وإدعائه ان يرفض إسلام الفقهاء . فالتقارن هو الذي قال صراحة «يا هم المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد علمهم هذا (....)» (الثوية) . فقلني قال إن المشركون أئجاس هو القرآن . والذي منهم من دخول المسجد الحرام هو الله في القرآن . والنهم يعترض على ذلك ، لماذا التعلق والراء والجلين وإدعائه ان يعارض السنة أو الفقهاء



- (٨) كتاب «الإسلام في البحر» للصادق النهوم صادر عن دار رياض السيس للكتاب والنشر .
- تلف: فبراير ١٩٩١
- (٩) من نشرة وثائق المصاحفة السوسيسرية بصفون .
- الديموقراطية المباشرة هي أساس الحياة السياسية.

# عن «الاسلام في الأسر»

نوال السعداوي



■ التفت لأول مرة رياض الرئيس، في لندن، خلال شهر آذار (مارس) ١٩٩٢، وأهداني بعض الكتب التي نشرها مؤخرًا، ومنها كتاب «الاسلام في الأسر» للصادق البهوتي. وقد سررت لقراءتي هذا الكتاب، الذي لم أسمع عنه إلا اليوم، مع انه منشور منذ العام الماضي. لكن يبدو ان اهم الكتب العربية أصبحت تشر اليوم لوطن العربي، في لندن، باريس ونيويورك، وفيغرا. وبالتالي لا تصل إلى الملايين في الرجال والنساء والشباب في الوطن العربي، إلا بأعداد قليلة، بينما تفيض القرصنة!

وسأ أوصيها إلى مثل هذه الكتب الشجاعة التي ينتك بعض المحببين والمعميات السياسية أو الدينية، الرائدة هذه الأيام، تحت ستار كثيفة من أدحة البائس والحطوب والنصوص المحفوظة ويشتمل للكتاب أيضًا على الردود على المؤلف، ثم رد المؤلف على الردود في تعقيب موجز يقول فيه:

«وانتهى الجهد الذي بذلته إلى نوع من الحوار المستحيل بين نوع من الطرشان».

وكننت أود من المؤلف ألا يستخدم كلمة «الطرشان» لأنها كلمة لا تقول شيئًا، وإنما مجرد حرج يلقه في وجه معارضيه، وهذا أمر أدانه في كتابه مرارًا فكيف يعود إليه ويستخدمه؟

لا شك ان معظم الردود كانت خطبًا بلا نقد حقيقي لأهم ما جاء في الكتاب، وكانت هناك أيضاً بعض الكليات كالأسجار، مثل كلمة «الغرفاني»، وهي بعيدة كل البعد عن حقيقة المؤلف، الذي يبلد جهادًا يستحق الاحترام

ومن خلال كل ذلك برز سؤال هام لم يستطع أحد الأجابة عليه وهو: كيف يمكن للشعوب العربية ان تملك السلطة الجماهيرية وتتحوّل من قطع ساكنة غابالي الوحي والإرادة إلى قوة بشرية منظمة قادرة على حماية حركياتها وإسقاطها عند اللزوم؟

وأظن ان الأجابة على مثل هذا السؤال هي مهمة المؤلف وحده، ولكنها في رأيي مهمة جميع أصحاب العقول في بلادنا العربية رجالًا ونساء وشبابًا ومارعقين. وهي مهمة العقول التي تعيش وسط الناس

للمصرف إلا بالديموقراطية. وتطبيق الشريعة يحتاج أولاً إلى مجتمع شرعي (ص ١٣٣). ولا يغيرنا كيف يصبح المجتمع شرعياً أو وكوشير من غير شريعة أو قبل ان تطبق الشريعة!

وان كل قانون تنه الشريعة تحت سلطة الاقطاع يصبح قانوناً مسحوراً لحذنه وكل سلاح تنهوه الشريعة للدفاع عن الناس، يتحول إلى سلاح إلهي ضدهم، لأن الخلطة نفسها مستحيلة من أساسها (ص ١٣٤).

الخلطة فاسدة جداً. الشريعة لا تشرع تحت سلطة الاقطاع وإنما هو الاقطاع الذي يشرع حتى لو ادعى انه يشرع باسم الشريعة. فمن غير ملزمين بتبليطه. والشورى على الاقطاع تحت باسم الشريعة، وهي التي حررت الانسان المسلم من ذلك الاقطاع قبل اسنان أوروبا بألف سنة. لم يتوجد في العالم الاسلامي وحتى العيلة الأولى، ولا بيع الذلن ولذتهم لهناتهم أسرأراً، ولا كان الفلاح تسلم يعتقد ان دم النيل لزرق.

دعنا من الجامع والمسجد ولتوقف قليلاً حد تنسيع البهوت بالمصرف والنظام الرأسمالي، وستكتشف انه اتيا يعبر عن اعجابه وامتنانه للبهوت، فهم الذين اهدوا البشرية مفتاح الكنز وهم اصل الحضارة وأقرأ معي هذا:

وجلسي قادة العربانيين الهاريون بروس المولوم من مصر (حتى الثورة اعترفت اهم سرقتها من المصريين، ولكن الكاتب الليبي الثوري يهدد بأنها رؤوس المولوم! حطهم هربوا من بين الطغيان أو الباب المصري! لكي يكتبوا النسخة الأولى من دستور الدولة الرأسمالية الحديثة، ويؤسسوا أول جمهورية ديموقراطية في التاريخ (ص ١٤٦). دولة على رأسها نبي وديها كهنة وسويج ليج عليه وصبا من الساء تكون ديموقراطية جمهورية لجرد اما يردية الدين؟ أما الإسلام فمصرور ورجعي طوال عمره. فهو يقول: وان أربعة عشر قرناً من الإسلام لم تنتج في واقع العرب سوى حكومة اسلامية واحدة (ص ١٩٨) هي حكومة عمر التي دامت عشر سنوات. أما دولة اليهود التي قامت على الفلح والتذابيع، فقد وضعت أول دستور ديموقراطي وأول جمهورية، بل الدستور الأم الذي بني إلى اليوم. فهو يتابع: وهو دستور سوف يستمره اللورد كرومويل، عندما يلتحق مصر الجمهوريات الأوروبية، ضلعاً للبهوت جيع حقوق التأليف: (ص ١٤٦).

ولا مناحير بيني في جهله وصفه قال ذلك، أو يمكن ان يأتي ان اليهود هم أصل الحضارة! هذه طيبة جديدة شديدة الإدهام للثورة، وتقرب كتابها من جائزة نوبل، لولا خلوها من أي أساس أو حياة علمي!

وأخيراً هذا هو موقف الماينين للتار الإسلامي، إنهم ضد البرلان والأحزاب والانتخابات. أما من الحركة الإسلامية فهي لم تحكم بعد في العالم العربي، ومن ثم فلا تحاكم إلا على ما تعلقه، وهي تعلن تمسكها بالصلدية والانتخابات الحرة ومسؤولية الحكومة أمام الأمة ومن عزل الحاكم. هذا هو جوهر النظام السياسي الإسلامي حتى ولو اتفق على البحث الحضاري تحت اسماء من تاريخ الأمة كما فعلوا مع مفرطين ديموقراطية وكونغريس. فكلها اسماء تعزز أو تعلن انتمائهم الحضاري أما للصلبون فلا خلاف عليه. □



وتعترف على ألامهم وألمهم.

ويقول الصادق النهم أن السبيل الوحيد لكي يضمن العرب لأنفسهم صوناً حقيقياً في شؤون الإدارة والقضاء هو أن تجتمع الأغلبية تحت شعار دستوري واحد في مكان واحد ووقت واحد وهذا هو الجامع، يوم الجمعة.

لكن في قرني بلشيا مصر إن أغلبية سكان القرية تجتمع يوم السبت في السوق الكبير، وليس في الجامع يوم الجمعة. ذلك أن أغلب النساء والشباب والمراهقين والأطفال لا يذهبون إلى الجامع، ولكنهم يذهبون إلى السوق يوم السبت.

وفي هذا السوق يحدث الاختلاط والتجمع الشعبي الحقيقي بين جميع مئات سكان القرية يصرف النظر عن السن أو الجنس أو درجة التعليم، أو الأمية، أو الدين أو العقيدة. فالأطفال يذهبون إلى السوق ولا يذهبون إلى الجامع. وفي هذا السوق أيضاً تحدث العلاقات الاقتصادية والتجارة والتبادل والحوار والأحداث والاتفاقيات حول البيع أو الشراء أو الزواج أو العمدة أو الحكومة أو شيخ الجامع أو غيره أي أي اجتماعات سياسية لكن بقصصها التنظيم والزمي.

وقد أعجبني دفاع المؤلف في كتابه عن حقوق المثقفين من النساء والمراهقين والشباب والأطفال، وكنت أتوقع منه أن يبحث عن المكان أو الوسيلة التي تجتمع هؤلاء، فهل هو «الجامع» الذي يجتمع اليوم العسكري ورجال الدين؟!

ولا يكفي أن تغير اسم المسجد إلى اسم «الجامع» ليخرج منه العسكري ورجال الدين، والأفضل أنه نحت بين مكبل أبو بكر تسليماً، تجتمع فيه مختلفات أكثر الناس، ولا يكونون فيه تحت سيطرة العسكري أو رجال الدين.

لكن هل المشكلة هي تلك؟ أم السجدة إلى اسم «الجامع» ليخرج منه وأنا أفتخ تماماً مع الصادق النهم في أن جوهر الإسلام والعمل بين الناس قد تحول إلى وصمة قهقهة لدخول الجنة بعد الموت. لكنه لم يشر لنا في تاريخنا كيف حدث ذلك؟ كيف استطاع رجال الدين

مول السعدوي مؤلفة ومعالجة اجتماعية وروائية مصرية صدر لها مؤخر رواية «جدران وأبواب»

السيطرة على الناس؟ وما هي العلاقة بين العسكري الذين يسكنون الحكم ورجال الدين الذين يسكنون المصاحف؟

إن كشف هذه العلاقة وتعرينها هو أول خطوة لعلاجها. كذلك الكشف عن العلاقة بين العسكري أو الأنظمة العربية والقوى الدولية الأجنبية. إذ إن هناك مثلاً يلمب دوراً في استمرار تلك الأنظمة العربية في الحكم إلى الأبد، ولا يمكن أن يسقط الحاكم عن عرشه إلا بالموت أو الانقلاب.

هذه الأنظمة العربية المستبدة تبقي وتستمر بسبب هذا المثلث الذي يتكلم من

- ١ - القوة الإلهية عن طريق رجال الدين
- ٢ - القوة الدولية عن طريق التعاون مع الأجانب.
- ٣ - قوة البوليس والعسكر أو الجيش.

ويمكن لهذا المثلث أن ينهار إذا انهار ضلع واحد من وس هنا تلك التصميم المستمرة لهذا التحالف الثلاثي، الذي يجمعه الصالح، رغم ما يشاع عن وجود تناقض، ترجيح له وسائل الإعلام.

وتأتي أهمية كتاب الصادق النهم (رغم الاختلاف معه في بعض الأجزاء) في أنه يكشف بشجاعة وصدق عن الكثير من أوضاعنا الثقافية والسياسية والاجتماعية، وهذا في حد ذاته إنجاز كبير في هذه الأيام التي تنعطف في أوضاعنا ويعبرون بورق الصحف والأحجية ويضيئ السؤال الهام بـ «الجواب»: كيف تتحقق الديمقراطية المباشرة

لي سادى ب الصادق النهم؟ ومن الطبيعي أن الديمقراطية المباشرة أكثر صدقاً وبعيدة عن إضافة الناس من الديمقراطية غير المباشرة.

لكن كيف تتحقق هذه الديمقراطية المباشرة؟ وكيف يمكن تنظيم جفهم الشعب من الرجال والنساء والشباب والمراهقين سواء في الحروب أو جمعيات أو هيئات أو لجان شعبية أو أي اسم آخر؟ وقد أهد المؤلف أن فشل الديمقراطية في بلادنا العربية ناتج عن أن العرب مثلاً صيغة الديمقراطية الأوروبية رغم أنهم يفتخرون إلى مقومات هذه الصيغة وأهمها الاقتصاد الرأسمالي الحر المنطور.

وقد يتفق معه الكثيرون في هذا المنظر، أي ربط التطور الاقتصادي بالتطور الديمقراطي. لكنه عاد وفضل الديمقراطية عن الاقتصاد، واكتفى بأن وجد «المكان» الذي يجتمع فيه الناس يوم

الجمعة وهو «الجامع»، ليحل المشكلة لكن ما الفرق بين مكان ومكان إذا كانت القواعد التي تحكم اللعبة واحدة؟!

وما الفرق بين أن يجتمع الناس في الجامع أو السوق أو البرلمان أو مجلس الشعب أو مجلس الأمة أو مجلس النواب أو مجلس الشيوخ أو مجلس الأئمة أو أي مجلس آخر مادامت قواعد اللعبة واحدة؟ ومادام السليبي يسكنون المال والسلاح والصحف والمكروفرات والراديو والتلفزيون هم هم لا يتعبرون ولا تغيرت الأساء والوجود؟!

إن المشكلة كبيرة، لكنها قابلة للحل، إذا بدأ الصادق النهم وغيره من المثقفين والعرب تطبيق أفكارهم المكتوبة على الواقع الحسي داخل بلادهم حيث يتعامل الفكر مع العمل ومع الناس الأحياء (رجالاً ونساءً) في حركتهم الحية اليومية، ويصرف النظر عن المكان في الجامع أو السوق أو مجلس القرية أو المدينة، أو أي جمعية أخرى. □



## صبحي العمري

أوراق الثورة العربية الكبرى



٢ - ميشال

هذه عهد



٢ - لوزن

الجمعة والكروية



١ - المعارك الأولى

الطريق إلى دمشق

# قصائد

باسم المرحوم ..

وكلُّ درجة فيه ، كانت تخلو من الفراغ ،  
كلُّ درجة لجسد  
أجساد ليس ثمة ما يسترها إلا اللمعان  
وفي كلِّ درجة ، ثمة مزنة لجسد على آخر  
ومع كل درجة كان قلبي ينزل ..  
حتى صار في قديمي  
واللاني يسكن السكْم  
لم أعد أبصر فيهن سوى همس حُورهن  
... وبلا قلب صرْتُ أصعد ،  
كنتُ مُستعجلاً الدرْجَة الأخيرة  
التي كافأت حناناً هذا الجسد  
بإضامة زمل !



سأمرُّ لك ، منذ الآن  
بالسُّبلة  
فكلُّ مواصفاتك لديها  
من الذهب حتى الدقيق  
أنا الذي أدعي حيازة الكلمات  
بكلمة واحدة ، منك  
أشيع .



في فُرج الطفولة ، كان  
يحفظ بحكاية عن خفاش  
مخالِب طويلة ،  
كان يسمع برعب ..  
انه يصعب انزاعه  
إذا أنشِب مخالبه بشيء  
إلا إذا غرُض على مرآة ذهب  
.. وبعمرود الألام  
تحرقَّت لديه الحكاية  
الى سؤال  
عن جلوى مرآة الذهب  
مع وجع الروح ؟ □



يداك ■  
شراعي ،  
شرعتي  
ولأجل شمسك النائمة  
سكنتُ الأصيل في مزهرية  
أضعتُ حائنين  
لاحتفظ بالثالث ،  
عبرتُ سبع نساء  
أشحنُ بقلوبهن  
في صيف مشهدك .  
الأبدلية رضعتها من شفيتك  
وكلِّما علتُ قامتك  
تأكدتُ أن السماء عالية .  
يُدْرَج منذ مئات الأغاني  
على أحزن إيقاع  
ويحفظ بذكرى قاسية  
عن الأرض .



أفتتُ على سُلْم عال

(٥) من مجموعة قصص  
قصص - دنانير الجدي .

# تحوّل الماء

الفن القصصي  
إلى خمر: عند بسملة النسور

جبرا إبراهيم جبرا

القصصي وفورية رشيد ومنيرة الفاضل في مختلف دول الخليج، وماذا سعيد وختانة بنوة في المغرب، ورشيدة التركي في تونس - وغيرهن

القائمة طويلة، وهي مقصورة على كتابات القصة القصيرة، ولم أذكر بالطبع الروايات، من مثيلات سحر خليفة وليل الأطرش وحسان الشيخ وأصيل نصرالله وصاحبة السمحون، على ما أن بعض الفاضلات ممن ذكرت، ومن لم أذكر، هن من كتاب الرواية أيضاً من روايات سنان امر، ومن كذلك في تزايد معمر

ثمة أهمية خاصة في التأكيد على مساهمات هؤلاء الكتابات في تصوير التجربة العربية المعاصرة، عن طريق القصة القصيرة، لأن من شأن تلك الأسطورة السحيقة، أسطورة الأدب النسوي، التي تخلق ما ألبص في فترة ما من هذا القرن، مصوّنون ليه أديا غير متوقع - كأنه خطأ في سنّة الطبيعة، يتساهل الرجال معه بضر من المتألم، وهو لا يتخطى نطاق الموعم النسوية بأصغر أشكالها الحياتية

هؤلاء الفاضلات البارعات، فيما أرى، ومروم مهمة لتحرر المرأة العربية اليوم، ومشاركتها بشكل فاعل في بناء الأمة الحضاري وازدياد عددهن إنما يدل على تصميمهن في البقاء على ما يتلقه منهن المجتمع من مستوى في المساهمة في النفع به وتحجيره، في بقده وعمايته، شأنين في ذلك شأن المهندسات والطبيبات والمحاضرات، فضلاً عن خطورة دورهن الإبداعي والتدريسي في تغني الفكر وإطلاق الخيال في تجربة الأمة، ليس فقط إزاء التحيزات ولغوى المتخلف التي دوماً تجاهلها، ولكن أيضاً إزاء ما تصير إليه البشرية في كل مكان من المزيد من عنفوان الحياة، والمزيد من غرابة التجربة

وليس غريباً أن يتحقق للمرأة عتلتنا اليوم هذا الصعب من الكتابة، وقد تغن بشكل طالع - بمضجورة في آداب الأمم المتقدمة منذ أوائل هذا القرن. ولعلنا نذكر امرأتين شتين تخرّتا في عطائهما القصصي في الإنكليزية صد العشرينات، هما فرجينيا وولف وكاترين ماسيكلد. وقد تركت كتابهما أثرًا باقياً في أساليب القصة المعاصرة، كل على طريقتهما

فالتأنيبة التقنية في نتاج هؤلاء المدهعات العربيات تستأثر بهم كبير لدى كل منهن، وتغير مثالي رؤيتها، ولتحها شخصيتها المستندة في الأساليب الحديثة. إيس، في أحسن الحالات، جزء حيوي من

■ لقد لبثت لي، في الأونة الأخيرة، أن العدد الأكبر من القصص القصيرة المنتشرة باللغة العربية تكتبه اليوم النساء، مهما يكن

الغالب

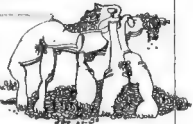
مصد أن قمت بدراسة للقصة العربية المعاصرة - مثل ثلاث سنوات - ربيع،

اكتشفت بعد قراءة عشرات من القصص، أن أبنائنا مهية تخرّوا في هذا الفن، فإن الأدبيات المنتشرة قد لا يتصاحبهم عدداً، ولكن عديداً، وقد يصرف عنهم في المرأة - الأدب، كما يتبدّن بما يتكرن من أثر في الخلف والألم، كما في كتاباتهن من الموضوع، وجرأة في الموقف، كما في أسلوب - البارز منهن يمكن من التفرّج الإنساني وروح الفاعلة الشكالية ما لا ينأى لكنهن من البارزين من الرجال

في كتابات النساء اليوم غضب، وتسرود، وصراخ، وقرف، وتحريض، مشوغة جيداً بأداء لا يستغنى عن الضرب بقوة وحدة، في تحقيق ما ينمي الأداء من تسبيح سردي

وهن في الأغلب بارعات في اللف حول اللغة وتوحيدها، بلجهنهن إلى اللغة السريعة في حركتها، التي تؤثر تجسيد الصورة بصرياً بجمل قصيرة، تتعاقب كما تتعاقب ضربات القرشة العريضة عند الرسام للفتنة، ولا يتجهن دائماً التجريد اللغوي المركب الذي قد نجد الفاضلات الرجال أميل إليه

وإذا كان لا بد لنا، توثيقاً، من أن تبدأ بكتابتها القصة اللواتي في أسبائهن رتبتهما منذ أواسط هذا القرن، لتدوين آتلهن، فغذاً الرائدات سميرة عزام ووداد السكاكيني وألفت الأملجي، ثم تتقل إلى ليس ملكي، المجددة والحريثة الكبيرة، وفضة السيد التي لم تقل عنها تعديلاً وجرأة. وهناك الفاضلات تحتها الباب العريض الذي راحت مثلياتها بدخلته أفواجاً، لتسلي قصصهن الأدب العربي الآن نكهة الاتباع الفردية، وخرق في الكواليف، في كل قطر عربي. ولن أذكر من التسيرات، غفر الخاطر، إلا الأبيض القليل، كاديبي الأمير وعالية ممدوح وميسلون هادي وإرادة الجهوري في العراق، واعتدال عثمان وسولي مكر في مصر، وبسمة السور وحزامية حيايب في الأردن، وليانة بدر وتناز دياب في فلسطين، وليلي العثمان وسولي مطر سيم وثريا



صدرت لجبرا إبراهيم جبرا في الأونة الأخيرة سيرت رواية جديدة بعنوان -صويت سراب- على أن دار الآداب، وكتابها تقدمان جديدان هما -معايشة المرأة- و-أوراق أخرى- و-الفتنة الحقيقية- و-قصة الحبيب- عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر

الحداثة العربية، بقدر ما كانت مثليتين في الغرب جزءاً مؤثراً في فنون الحداثة طوال هذا القرن.

وهن يستخدمن هذه التقنية الحديثة طلباً للتخلف في شعاب الذات، والولوج إلى ضبابها المظلمة، في صلبة استقصاء ذاتية، رغم ما قد تنتهي إليه العملية من إحباط، أو صدمة، أو أسامة. ولا ينهي في ذلك المطب البائس القديم، الذي أراده فن التقليديون من الكتب المذكورة: صبر أمتهن في المدة دون الرجل. فمن فيهم من الأغوار يجمع بين تجربة الجنين المتداخلة، بقدر ما فعل كتاب القصة منذ أن وجدت. وانطوادها، بوارعها وروادها، بلأدبا ومرارها، هي الأرض المشاح التي تطلب استغرابها كل قاصة جيدة، شأنها في ذلك شأن القصاصين الجديرين

أرعت سوق هذه التوطئة لإيضاحاً لموقعي من قصص أدبية أردنية وجدت في كتاباتها نقصاً في طليعة كتاب القصة القصيرة في الوطن العربي. وفي أعقابها تتمثل الملاحظات التي ذكرتها بشكل لمثل الطر، ويؤكد أهمية صاحبها. وهي السيدة بسمة النور، التي أدرجت اسمها سابقاً. وهي حقوقيّة في مقتل العمر، غراس للحامدة، وتشر في الصفح الأردنية، ولما مجموعة قصصية صدرت في أواسط العام الماضي من المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بعنوان «نحور الورداء». فلما، عندما تقع بين يدي قصة تجعلني أمسك نفسي حتى مسطرها الأخير، أشعر أن ليقية لمبنة قد وقعت بين يدي، يلد أن ألقها لأراها من كل وجه. وإذا تكررت تجربة إمسك الأمر، وبسبب الأوبئة، فلما إزاء تجربة قصصية لا تغري العين ولا تبيد حس، بل تغري العقل حتى لو لم تبعد، وبسبب الإسياس منها حتى أصدمة الأخيرة - الموجهة والكاشفة مما

هكذا كان شعوري عندما قرأت قصص بسمة النور أول أمّا أصلها: وإذا في هنه الكتابة الشابة ما لم يكن في إن التمتع مع القدرة البازغة على التعامل مع وقائع الحياة اليومية بحسّ مأساوي لا يثقلها، ولا يثقلها. والحسّ المأساوي هو المعيار الحقيقي لكل موهبة، وبخاصة إذا اقترنت بحسّ للمناقشة يشير إلى موقف إبداعي من التجربة. فالنزعة الظاهرة تكاد تكون كوميدية دائماً، ولكن الكوميديّة سوداء، بل هي أحياناً قاطعة كحدّة النصل، بما يزيد في فجائيتها. ومع ذلك، من خلال ما في كل قصة من تفاصيل تروى بها يعمر المرء في عيشه اليوم، تتبدى شغفة عميقة لا تطنل عن نفسها. والتركيز الشديد، الذي ترويه القاصة في تفهيتها، يسبقها في إيراد رؤيتها التي تحصر كل شيء، ولا تتخدد بشيء. ولعل في ذلك بعض التعبير للفرائية التي ينصب بها فن بسمة النور. إنه فن يعتمد القاطش، ليقينا في بقعة محدّدة، ووعي دائم، إزاء ما نمر به في كل ساعة.

وقد وجدت أن أشخاص بسمة النور لا أسماء لهم، رجالاً كانوا أم نساء، إلا في قصتين أو ثلاث من القصص التسع عشرة التي تمجوها المجموعة. فالأول، عن قصص لو غير قصيد، تجعل كل واحد من أشخاصها anybody أي (أحد) أو everybody (كل إنسان)، بما يعطي الشخص إذ يتخطى في الحدث، إضافة إلى أبعاده المباشرة، أبعاد نوع من الرمز. ويشتد شعور القارئة هذا تراكمياً متنامية القصص الواحدة بعد الأخرى، فيبذل الشخص «كمنطأ أهل» (أركيباس)، بالعلمي اليوناني: أنه الرجل المضحى/ المرأة اللبية،

ويكمل كلامها الآخر في النهاية كما تكمل «الأنثى الرجل، ويكمل «الأنثى» المرأة. ويصق الأثر في نفس القارئ بما يتلبسه الشخص، في الوقت ذاته، من واقعية الحزنيات المرثية والمحسوسة، التي تروها القاصة ببراعة المونتاج العلمي، فيمثل القارئ في اللحظة الزعرقة الأخيرة بدلالة الشخص في الظاهر، ودلالته في العمق، في أن وجد. والسنونج سر من أسرار هذا الأسلوب، إذ تعتمد المؤلفة على «المنطق» والتواتر، وتكاد قصصها تلحظ من ولو المظف، أو فاء المظف. تتلاحق الجمل القصيرة النامية، دونها وسيلة المظف المتطرفة: جملة بعد جملة، جزء بعد جزء، فتتراب الصورة، وإذا بها تتلاحق وتتسع، ثم ترقى إلى قوتها المباحة

وهذا مما يؤكد أن العملية الفنية نفسها، لدى الكاتبة، أقرب إلى المصورة الفلسفية، على صغرهما، وإن بسمة النور تستمتع بهذه العملية، وتبرع في إيصال متعتها الحظية بالأشياء. تلك النعمة التي غالباً ما يعيها الإحباط، لأنها من خلق عالم محيط أصلاً. ويخرج المرء بعد قراءة القصص، كلها بإحساس مكتظ بأن القاصة التي تخلقته هنا، هي بشكل ما، حكيمة جداً، عارفة جداً، غائبة جداً، وأبعاراً ضاحكة جداً، على حقايق الرجال والنساء وضعفهم وخياعهم المتلاحقة. وبأي وضوح حاد تراهم جميعاً! هل عرفت هذا الحب كله، وهذه العلاقات المتشابكة كلها، وهذا السام كله؟ يتراءى في حالة المطاف كتاباً يحضر الناس، ثم تأتي يوم عنها لأهم، بقدر ما يستحقون المظف، يستحقون الإهمال، ثم تعود لتتلفظهم لأن مصائبهم، هؤلاء المحض للمساكين (كما وضعهم شكسبير) إنما هي معروضة عليهم، كالنظير في بيدي جاك الموهب الذي لا حيلة له بها في قصة الفيل. وتلتظظ كذلك لأبداً لا يحد بحم ما، يستشعروا الظلمة، فيمرارة ماخضة لم يجد في المرآة

والطريف أن العنوان في كل قصة، باستثناء قلّة منها، كلمة واحدة، غالباً ما تأتي نهاية القصة لتكشف إيادها الأولى. فالكلمة الواحدة هنا هي خلاصة شعرية صريحة الدلالة، ولكنها في الوقت نفسه مؤشر خطير كامن، من أن الأشياء ليست في جوهرها ما تدعيه في ظاهرها. وهذا كله من المرات التي ترفع بصعيد الكتابة إلى ما يجعل منها ذلك الفن النادر الذي تبحث عنه في كل كتابة سردية، حيث يتحرك المالكوف إلى غارق، ويضحي الحدث الآن أسطورة دائمة، وإذا لاه يتحول في كل مرة إلى آخر. وللى القارئ ثلاثاً من قصصها:

## رحيل

اشتد وقع الحز في تلك الظهيرة القاطنة. كانت الشمس قد جمعت في وسط السهل تماماً، حين وصل إلى الكشك المخصص لبعب التشارك في المحطة. ألقى حقيبته الثمينة بشكل يوحى بأنها ثقيل كما ما تمتلكه على مدى سيرة طويلة. مسح العرق المصبوب على جبهته بخرقة. سارح بعك رقيقة عتفه، متحملاً. وإن تروها كان أصعب تعرق أقدمت عليه منذ الصبيح، متها في جبهه متأخراً. لم تحف حدة تهمه حين انتاب تفكيره في الدرجة الأولى

في كتابات  
النساء اليوم  
غضب وتصدد  
وصراحة  
وقرف  
وتحريض





لكي تتعرف في علاقة أخرى. هذا ليس هدلاً. إنه الجحود بعينه بدت علامات الارتباك على الرجل. ارتسمت ابتسامة صفراء على عييه، نظر حوله باضطراب، فلفقه لثلاثاً. «مسيكروا! إنه عجوزاً، فدى رأسه في صحيفة مستعجراً بالعثم.

في تشطير على رويغت لشهده طريفاً، إن تكمن ضحكة. نظر إليها شرراً تلالاً

من الحزن بك أن تضحكي على تعاطفك. من الواضح أنك على وشك تبرير آخر لنس جمعه ورويغت في رحلتك هذه، أليس كذلك؟ هل تأسفين لك أن تشعني إلى الأسواق كمتعوزة يسيرة صرولك؟

ابتسمت المرأة ضحكته، وحلفت بطلاقة على طرف دحائها اللدب. تبادل الساعور نظرات ارتباب، وأصل صراحه موجهاً كلامه إليهم: «أشك في أن لسفركم ضرورية حقيقية، إنكم متواجدون هذه الكتافة لأجل غرض واحد فقط، لكي تثاروا غيظي. إن لسفري أهمية قصوى على العكس منكم جيماً. ثمة من يتظروا، أمور عدة تحدثت من أصل سكون اللحظة كحظة بالتظنير لحظة وصولي.

صمت فجأة، نظر إلى ساعته. كانت الدقائق الخمس التي تحدثت بها للوقت قد مضت، مشى عدة خطوات، فرد كفة فوق جيبه، نظر باتجاه الألف، أصابع السمع. تناهى إلى ساعته صوت صفارة الطائر صحن منتهجاً، ركض بلهفة حيث الخفية. انفتح صوت الصفارة، هرع موفت، صعد سقياً على ذراع جديدة خضنة مدعة لاستقبال الطائر، الذي وصل أنهباً. سررت همة بهي بالسافرين. انشغل معظمهم في لئلة أنشيتهم وفأكد من الأوراق وشدأكرو

لوقت الطائر تماماً. ادفع المسافرون من خلال الباب الرئيسي، التقى الجميع المصممين. أبي عال العناية الأعمال الروتينية الموهودة. استلم سائق أجرة دفعه البهارة

بداً انظر في التسمي. طلق صمارة قوية، تحركت متحشاً في تلك اللحظة انشغل موفت الطائر مراقبة ذائعة لرجل تحلف من ركوب الطائر، وجلس على حقيقته المتوردة يتأمل بوجوه سحابة الدحال التي انطلقت من فوهة الطائر

## انفجار

لم يتخلص شيء من تلك الصباح عن أي صباح آخر، سوى أن البدء كان يمرض جسدها بألم، والظن يتهرب بالتمثال، والرباح تزهق تباهت مصعده أصوات تشبه العمول

لقت الدلالة بصره كاتبة من الوقود، راقبت باستمتع اكبال التوجه في القليل. وتزكت نسيب المطر في الخارج ينشأ أصواتها الدفينة. طرقت إلى ساحة الحظاء. كانت عطارها ترصد بلهفة صوب التامة

عاشت إلى حجرة النوم... كان زوجها ما يزال يعطى في عبق النوم فتحت الستائر، التفتيح جو المجرية صباه شويج. حشته على البهور تقلص تفتشاً، حتى رؤسه تحت الوسادة لكي هدو السيارات التي اختزنت سول للطر الرافضة في الشارع الجوار ساهم في إيقاظه. نظرت من خلال النافذة: تاملت لطر ملازال على إلهامه. قالت، نظرت لطر بتر ديفتي في الكاه. لم يأتها جواب التتالي، لمحت تشعب متحركا غطت من صوت طائر حال دون أن تسمعه. ارتدى ليله بسرعة. تحركت متحشاً مرة أخرى، لكنها لم تسمع شيئاً. هل يمكن أن يكون صوته قد الجسر كلاً؟ لم ينها قد أصيبت بالصمم؟ أصابها الدعول قالت رغبم. لا! لا أسمعك.

سأل معطاة من موجد الطائر الألي. تكلف الموفت ابتسامة، جيباً سيصل الطائر في خلال صف ساعة

نظر حوله بحثاً عن مكان يهتج مجور لسه الشخص، وقع بصره على معاذ حشبه طرفة مغلظة، أنه صوما مدنياً صفيه من ثقل الخفية جلس متهاكلاً على المقعد. انشغل لعامة ناعم، جسي، مشى عدة خطوات، مد بصره نحو الألف، عاد إلى مكانه، سحن لثافة التبع تحت قدمه بقسوة، نظر إلى ساحة هذه، صمت حتى دقائق من صعب الساعة الموهودة. بدت علامات التلق والتوتر عليه، فلكت رصة طافية بمعدودة للكان بأصبي سرعة عكته. أخصي عييه. عني لو يشعش من ذاكرته كل ما يتعلق بذلك المكان ما المسافرون بالترافد، كانوا يتأخرون لشراء تذاكرهم ثم يولون بالمقعد المظلة. تكلف وجدهم بمرور الوقت

التصق رجل به حين أحسنت امرأة حيزاً آخر في المقعد. تسلفت إلى أنفه واجهة عرق أبي، أحسن بالاحتياق. فتح ثلاثة أبواب من قميصه، عواكاً إعزاء نسيات الهواء الباردة باليشغل إلى صدره، لم تستجب له. أحس بصمت شديد غشيد السافري. جسي، انه نحو الموفت، قال بخلوشة: «أين طائرنا اليوم؟ ألا ترى أنني في مجلة من أمري؟ لماذا لا تاترون بالواحدة؟ أنا رجل بالغ الإخافة، معروف بقلعة صراعيه، ثمة من يتظنري.

حاول الموفت التحمل بإدانة لتكمل له استمرا مصدوره، قال «الطائر لم ياتنظر. أنت من صطر ميكرأ، وهذا ليس خطأك، حل أبة حال، سيصل الطائر خلال دقائق معدودة

صرخ بشكل صاغت، كم عددها بالصبغة؟ قلت لك أنني مستحيل ثمة أمور ملحة لا تدني المتطاول، إن بقي نعيم، وما يحصل الآن استمرا صراخ. صراخك كافة المسلوبات الترتبة على تاتنري

رسم الموفت ابتسامة ياهة. قلبه سولفوس متحول:

«على دقائق ونصف بالضبط سيأتي

صمت بكلمات نسم عن أسببه وألح. انه حيث الخفية، فوجيء بامراة مجوز تجلس بالرباح في مكانه، وقد أجمعت في استمرا سرة صوميه

لم يكن أمامه مفر من الوقود بالقرب من حقيقته. رفق المجرور ينظر حافدة، أثارت حيقته بتجاهله طرته المصونة، صرخ بها «من الفداء أيتها السيدة أن تحركي سرة صوميه في هذا فجر العاتل ثم ما قلتي يدعوك إلى السفر؟ أمني، ثمة موهلة الموت في أي لحظة. من المالك أن تولى فية لسوف تلم بك خلال الرحلة، عما سريكتنا جيماً، إذ لا اعتقد أن نرس للسافري طيباً... ولذا أقرضنا جلدك لثمت سفلتين من الوقت، أوني، في بريك هذا متحفين في هذه الرحلة؟ على الأقل بك تلك في طريقك للإقامة في بيت ابك. لا شك أن زوجة تثيري من الصبية التي ستحل قديمك. صوف يدب شجار بيننا، قد بطلنا، ويترش أحمالك، بسبب غيبتك على الحياتة إن هذا استمرا متعش لإجسرس أن الامتثال لك لئلا لا مروجس أدراك وكترين في بيتك يدور»

سهمت الصمور، أحسب الارتباك، استكث دموع حارة على وعشيتها المتجدتين نتمت حيالة السرة نارتاك وضع

سوي رجل مبرط الألفة رطة عتفه، وقال

«ليس من اللائق أن تتحدث مع السيدة هذه الطريقة

أحسن مندو مباحة. ارتفعت برة صوته تلالاً: «وما شاك أنت؟ وأست الآخر، لماذا تسارع؟ أراهن أنك توي لقاء عشيتك في مكاناً أسي، بعيداً عن هرون الفضولي. ألا تحبيل من صمك؟ أحمكاً تكلف، زويجتك على طول مقامها وصبرها عليك؟ وغشغش أن تضاربك قد مود، وإن جسدك قد تزلزل بطني التي»، أن ذلك ليس مبرأ



حجمه كف اليد... انكثرت برأسها على فموت. ضغطت بهدوء... وكان آخر ما سمعته دويّ التجار في الشارع.

## المقصلة

مَتَّ القومى في كل مكان. اندلعت جرح الناس بشكل كبير. ازدحت الشوارع بأعداد هائلة، حتى أصبح للناس يطلبون انفساً مستراً بالأحجار. كان الجميع يهرول بلهفة إلى ساحة المدينة، لأن الهلعة للقرعة أوشكت على النهاية. لم تعمل تعامير ويصومهم أكثر من الرغبة في الخلاص. لم يكتفوا أي منهم بالأخضر أو يمس يربوهم، كما لم يعد الرجال يفعلون بالشاة، فحرقوا من محلات المتعلقات أمهاتهم. وكذلك الأمر بالنسبة للنساء، إذ بدت شعورهن منكوبة، ويصوبهن خيالة من المساحيق... اندلعت الأرصفة بالأطفال المتركاين بعيداً عن اهتمامهم غير العائيات شيء.

اطلقت أصوات من مكبرات ضخمة، تنفخ الناس بشدة على تحادهم وتأجيلهم تنفيذ الأوامر حتى آخر لحظة ما أدى إلى حدوث أزمة عاتقة اشتدت حرارة الطقس، بالقرب الأفراس من ساحة المدينة. جمهر الكهتوت حول المقصلة الآكلونية التي ابتكرها فريق الحيرة الأجانب. اندموا حولها بلهفة واستيعال.

صاح بهم صوت: "أقاضي القومى" انتقلوا إلى صفوف. سيأتي دور كل حكم. تراجع السلس صافرون، شكلوا طابوراً طويلاً... تعلقت أبصارهم بالمقصلة. سالت عظمة فوقها بأصابع فريق الجسد، الأجانب بالمقصلة، جروا عليها الجحوش المائلة، أصابع أحدهم على رر، فصدر عنها ريق أنقى. المستخرج قطعة من ملهه، أصبح المقصائل أعلى يرهون المقصلة جاذبة للاستيعال.

تد حارس بين الجموع، تبادلوا عبارات التيشة عبر معظمهم في الأرياح. مسح أحدهم العرق المتصبب، قائلاً بالفعال: "لولا هؤلاء الكبراء... لا أفرحنا أن الأحلام التي في رؤوسها هي السبب... قال آخر: لا أظن الانتظار. لو يأتي دوري سريعاً!

قفل كبير الحيرة شريط الانتظار. دوى تصعيق حاد. تعالت هتافات الاستان. بدأ الناس في التقدم نحو المقصلة: كان الأمر في غاية السهولة، فما إن ينس لفرطان رأسه في المكان المخصص لذلك، حتى تنزل الأزرار مهمة التزاح الأحلام من رأسه، ثم يصار إلى تسليمه بطاقة ختوية بالطرق الرسمية، تثبت غلو صافه من الأحلام. استمر العمل ساعات طويلة، وقدمت السلطات المختصة خلالها كل التسهيلات اللازمة. كان أحدهم يذوق الكشوفات، وبخارها بالرويس اللطيفة، حتى تأكد أن جميع الرؤوس قد تفتت. عاد الناس إلى بيومهم، عثت الساحة. ألقوا فريق الحيرة كافة الأزرار.

تفاسموا الكشافة الليلية بالشاري، ونهضوا نحو متقدم ذي الجموع الخمس. أخذ الجميع السكبان إلى يوم عتيق... كان هدوء من نزع غريب... انتقلت فجأة صفارات الأتذار. أشعلت الأفرار في الشارع، وفتحت التوافد... انسيطرت الشوارع عبر فريق الحيرة واستمرهم. تناقلت وكالات الأنباء أخباراً تؤكد أن أحد سكان المدينة قد تخلف عن دس رأسه في المقصلة، وادعاه حلو الأحلام، ليتم من صسر أوراقه الثبوتية... كما أقيمت التغطيات الأولية أن أحلامه قوة الصراخ.

نظر إليها باستغراب... قال شيئاً ما... جهمت ملاهه. لحت يديه تتحركان بعصية (أسلاك بفرقة واحدة غروب أسود). استبدت بها الحيرة. نرى ما الخطأ في ذلك الجروب، ولذا بأنح به أمامها ويثرثر! فتح الدرع محتوية، ألقى على السرى كومة من الجلوبز مختلفة، كلها فردات، لم يوجد بها روج مكمل إزائدي لويس تقاريين دس قديمه في الحذاء. انهمرت دموعها... اقربت منه، هزأت كتفيه بضع، صرخت: لا أستطيع ساءلك! اسلك بكومة للتأجيل ونرج.

لست لو أيا تصعب علة لتكتشف أن ما يدور عبره كلوس مرعب أعصت عيها، ركزت سمعها. أن صوت المطر أيتها واضحاً. حطقت في الرقة، عاظيت نفسها: لست صباه، بدليل أنني اقترن واستمع إلى صوتي. رآ جرس الحذاء. تلمحها فرحة غريب أنشد في آخر لحظة. جلبت السهافة سهفة، لم يكن على العرف الآخر سوى الصمت المفزع. هزعت إلى بيت الحيرة، دفعت الباب بكتة يدب. ظهرت الحيرة بكامل ريشها وبعثها. لحت شعبيها تتحركان، لم تلتفت أودها شيئاً. حدثتها بخارة إلى عرق الحلوس، عبت لعلته ثم عادت تحمل عيه معلقة واستمعة كثيرة ترتثر. فتحت العلة عن عقد من الوثوز برق في عيها نظرة وهو اعتقاد، تساءلت سلافة: كيف يمكن أن يكون عقد بطروق المتق مريراً كافيًا لكل تلك الساعات؟ وضعت رأسها بين يديها، أجهشت بالكاء كقيمة غاجهاها الحفاض، صرخت: لا أعلم شيئاً ما تفكرون! تلمت الحيرة ثيرتها... غادبت وسعد طارح قد سيطر عليها. أدارت محرك السوار، التسه حشرة المحرك، كما لو كانت صوت رحل نجب. نظرت في المرأة الزوم، لمعهها، قالت بصوت مرتفع: لست صباه! إلى اسمع يورنوح! انهرجت أسيرها حين سمعت أصوات السيارات الأخرى أيضاً، تأكيد آخر أنها ليست صباه.

عزمت على بالغ الصعاب، هفت يبرج: صياح الحيرة! انهمرت وتكررت شغاف، ولم تسمع حرفاً واحداً ما قاموه به... أحست أن دموعها على وشك الانصباب.

فكرت: ربا كنت أعالي من صمم جزئي. جلبت الصبيحة وانطلقت إلى مقر عملها. ظلمت إلى مسي المؤسسة... كان الزملاء عارفين في رؤيتهم العمل الصافي وتجاهل أطراف الحديث. كانت متعصبة كمن أجبر على مشاهدة فيلم رتيب يمدو عهده إلى السبابة الصلابة، حيث حركات ملهه تنوال لتفوش الذهني دنيا جلدوي.

لجها رئيس القسم، جهمت ملاهه أكثر. أشار إلى الساعة. ثرثر، وأول مرة تحس برغبة في الصعاب، غربتا ساعده مقبلة... لأن حرفاً واحداً عما تدوم به لم يصل إلى أسباعها. عتب لفترة وجيزة عاد بعدها حاملاً مجموعة من الأوراق. ثرثر ثانية. أذكرت أن، وفقاً للمعاد، كان يقول أن عليها انجاز هذه الأوراق قبل نهاية الدوام. عاد إلى مكتبه معلقاً الباب خلفه بقوة. انصغرت في صيكت مستيري. جميع الزملاء حوفاً. تبادلوا نظرات ذاعلة. حذقت بهم. كان الجميع يتحدرون. صرخت فجأة: لا أعلم شيئاً ما تفكرون، لا أعلم شيئاً!

اندلعت إلى الخارج، قادت السيارة بعصية في شوارع المدينة، تجرلت دون هدوء محدد... أحست شوق ليس له شيل لساع صوت أحد ما فكرت بحينين يكثر الأمانى إزجلاً بالناس، والأجواء الليلية بالصب. والفتحت كان قد أطلق صصاره.

عادت إلى بيت، تلمت كومة الجروبز اللطقة مذ الصباح. استعادت صرة دوحه ختومة. أدارت جهاز التسجيل، كان صوت الموسيقى حزناً أكثر من أي وقت مضى... والطر عاد يجلد الوالد بقوة... أحست بأزايح عريب. قامت يدوه إلى فرج صغير أخرجت صمدلاً لا يتجاوز



(4) قصة السور معادية لثنية  
بصمت لها مؤلف مجموعة  
قصصية بصوت نحو اوداء...



# أخبار الفقر في الأدب المهجري

جورج طراد



خلال الحرب العالمية الأولى وعاش على مرتب الجندي المادي، فزده. وبعد أن سرّح نفسه من الخدمة التحق بوظيفة مترجمة في أحد المحال التجارية يتقاضى منها مرتباً ضئيلاً يكفيه لسد حاجاته الأساسية، هو العازب الزاهد، كما يروي في كتابه «سبحون». والشاعر القرّوي الذي عَمَّرَ قرابة القرن، أنفق أكثر من نصف حياته في المهجر، يعتبر نموذجاً حياً للمعاملة المهجرية من الفقر، وهو الذي أبغى حياته مدمعاً، ودارق الحياة لا يملك «شَرّوَي نعيم»، كما يروي في مقدمة الجزء الأول من ديوانه

واللفظ الخبائية التي يتذكرها القرّوي، في مرحلته المهجرية، تصبح مدنيّ الرّؤس الدائم الذي كان يعانيه بسبب الفقر المتأصل في بيئته وفي عائلته مع الأعمال التجارية. ويروي القرّوي كيف كان، نديم عدي في ثقافة «الكشّة»، يتعرض لأقسى مشقت الحر والسيل الطافية. وفي النهاية المحقة كنت أرفع بصري إلى السماء كلها أسطرت، وأغني المتأجّح حتى يمتلئ فمي بالقيث المدوّار. ويصوّر لنا حالة نماز «الكشّة»، وفي صفوفهم العديد من أدباء المهجر فيشبههم هؤلاء المشردون الذين تعتمد الحكومات على ليوثانهم في حثان فيها الكثير من الرّؤس والفقر والذل.

حتى إيليا أبو ماضي، الشاعر المثالي، وصاحب مجلة «السمير»، فإنه اكتشف، بتجاربه المرّة، أن الهجرة بالنسبة إلى الفقير الضعيف هي ذل وهوان فقال:

واغتراب الغني حُرٌّ وفقرٌ واغتراب الفقير بدءُ الهوان  
ويسود أن حاجس القفر، أو تدرك ألبه من الأمل، هو القاسم المشترك بين الأدياب المهجريين جميعاً، يتساقط تحت سقف قلقه الملهمون منهم، أو هؤلاء الذين لفتنوا من تجاوزه ظروفهم المالية الصعبة ليتعمقوا في «من الاستقرار النسبي». فهؤلاء الشاعر مسعود سباحة الذي عاش الفقر سنوات، قبل أن يتمسك له الحظ ويدخل الجيش الأميركي حيث أصبح بريتة «كولونيل»، يتذكر أيام السوات الصعاب ويقول

كم طويّت الفسحة مشياً وحلي  
فوق ظهرهم يبكاد بقصم ظهرهم  
كم قرعست الأبواب غير مبال  
تكلالاً وقرع فصل وصر

ليس الفقر حدثاً طارئاً في حياة شعراء المهجر. إنها هوى، من الأساس، للحركة الأولى الذي دفع بمعظمهم إلى الهجرة. فالحاللون المتأفلتون، بجشاعة، يحملون الطموح وحسب التصرف ونظرة السفر والإنفتاح أبرز عوامل الهجرة. ولكن الواقع الذي يبتهدون في استقباله، أو على الأقل في التخفيف من وطئه، يؤكد لنا أن الفقر كان، أولاً وأخيراً، الدافع القوي والمباشر لحركة الهجرة عموماً، ولانتقال الشعراء من مسقط رأسهم إلى بلاد الله الأميركية الواسعة على وجه الخصوص.

فنادراً ما نجد أدبياً مهاجراً يحدّد شغلّ الهجرة حراً زرف وحسباً مساحاً. حتى المتشككون عالمياً منهم. أمّ الدس تروّذاً هو سيدنا شقيق أو صديق سندهم إلى الغربة، فإنهم ظلوا يعيشون تحت وطأة الخوف من الفقر. أحياناً كان بعضهم يتخذ من الكثرة مسعاً على طريق اللهاث وراه محاربة الفقر. وهؤلاء تتاجهم ليس أساساً، في الاحمال، ضمن الحركة المهجرية. لذلك هم يخرجون عن دائرة كلامنا. أما الذين نقصدهم هنا منهم هؤلاء الذين احترقوا الكتابة، شعراً ونثراً وتقدّاً، ولم تكن التجارة سوى مراحل عابرة وثانوية في حياتهم المهجرية

بطرة بالرواية سريعة إلى خاوية الأدب المهجري تظهر لنا أن ما من أحد تقريباً، من أصحاب الأسماء المعروفة، نجا من برائن الخوف من الفقر. بعضهم نجح، بصدقة ما، في تأمين لقمة العيش، كما حدث بالنسبة إلى عميد الأدب المهجري عصمو، جبران خليل جبران. فالفقر وضع على طرفه ماري هامسكل، الصديقة والمصلحة، التي راحت تزعج له حيلع ٧٥ دولاراً شهرياً حتى وفاته. أكثر من هذا فإن جبران أنشفت على جبران بدل القامة وسمره ودراسته في باريس ولولا تلك اليد البيضاء على جبران لما انتفع له الكثير من أفاق المعرفة والإصلاح. حتى مع هذه الاعيانية، فإن جبران ظل يحس بوطأة الفقر ويوزن الدش الذي يتلقاه، ويطمح إلى أن يتمكن يوماً من الوصول إلى الاكتفاء المالي ليستغني عن معونة ماري. ويرد لها ما صحت إياه طوال سنوات الفقر والفاقة.

محياتل نيمية كذلك عاش دوماً الفقر. التحق بالجيش الأميركي

هكذا يتضح ان الفقر كان الهواء الذي تنشق ابداء المهجر. هواء نملغل في كل الحرفات، فنجع منه عبقرة كاتب، ولا خزينة جريدة تمنى بالآب والبناتفة. فحبره والبناتفة عقلت حجر الفقر عما بعد عام. وبرغم مجلداتها الخمسة والأربعين، وبينها البارزة كمنح اللواتق المهجرية، فإنها لم تنزل عن الصدور، حتى اضطر صاحبها إلى بيعها لتخلصاً من تراكم الحسرة والفقر، محترماً انه يستحق التبتة، عوضاً من التمتع، على هذه الصفة ولأنه قضى على السامرة قبل ان تنقضي عليه.

ومجلة «السمرة» لإيليا أبو ماضي الذي اشتهر بحسن تدبيره المالي، لم يكن نصيبها، في الصراع الدائب مع الفقر، بأفضل من مصير «السائح». وهذا ما اضطر صاحبها، بعد أكثر من ربع قرن على تأسيسها، أن ينقلها ويحولها متبراً متبراً للأدب المهجري، إلى وقفا على الصدور، ثم باع مقنناتها. «الطابع يسهر كساعة الحديد، والحرف يسهر الرصاص الجاهل» لذلك فإن حكاية الفقر في الأدب المهجري حكاية متشعبة تفصلاً وتتداخله عابرون. وهي دالة التجسد وخصبة التبدل. فعلى يد كل شاعر كانت تشهد انطلاق جديدة، وعلى رأس كل نلم كانت تسيل مدراً. وإذا كان كل هذا هو موجز نشرة أخبار الفقر في صفوف أبداء المهجر، فإن تفاصيل النشرة تبقى حاملة بكل أركان الرؤى والتشدد المشراف حدود البأس، وفي الحوت هرباً من ناب الجوع والفقر. ولكن الملفت ان تلك التفاصيل جاءت مفرقة، فجاء المظلم الشمر، ذلك ان الفقر كان

جاءاً في الساحة العامة للمهجر في الإذاعة، بار تهميم والإبداع لا يكون بغيره والاستكانة.

ولمن برر المتعلق في الفقر في المهجر هم؟ رشيد أويب، وقصر سليم الخوري («الشاعر والكاتب») وأليس رحبات. وسنحاول ان نتناول أوضاعهم وان نعرض تجربتهم للزعم الفقر، وإن كان نكتفي، ها، بالتذكير ببيت من الشعر لفرحات، يصلح لأن يكون هواتاً دائماً لشعراء المهجر الفقراء، حيث يقول

وليس فقري فضلاً عسرة سئ  
لكسه نؤاسي نأ سؤو ساء



لا يبقى على ذكر الفقر، وتجرباته الشعرية، في صفوف أبداء المهجر، إلا ويحتل مكان الصدارة فيه اسم الشاعر رشيد أويب (١٨٧١ - ١٩٤١) فهو يتجسس مأساة الفقر البائر، ليس فقط لأنه مات مملئاً، في بعض فترات حياته، بل كذلك، وربما قبل أي شيء آخر، لأنه ذات طعم الجحشة في ذبايته، ثم اعتقد كل شيء، صارت يحس بغيره أكثر. وللفقر، عموماً، وسوء عديدة أبرزها الشان: واحد يحس به الفخر تفسر، من خلال عجزه الدائم عن الحصول على مبتها. وواحد يكشفه الآخرون فيتمسكون وطناً على نفسه صاحبه. ولعل أفتح أنواع الفقر هو ذلك الذي يجمع بين هذين الوجهين، كما حدث بالنسبة إلى رشيد أويب. فهو لقب نفسه بـ«الدرويش طوما» للدلالة على شغل العيش

كم توغلت في الردي وقليبي  
سأبج مثل زورق في بحر  
كم تعزمت للعراصف حتى

نقلت ان الشلوخ في السفسر قيري  
أما لمين الرمياني الذي كان عوطاً، مدنياً، في غربته، ذلك انه عمل في محل تجاري يملكه والده في بيروت، فله على الفقر والظروف الصعبة. ينقل الذين أرتعوا حياة الرمياني انه وكان يقم في قبر مظلم تحت مستوى شارع واسطى، تغمره المياه في الشتاء فيضوي أمين ساعات يهرف الله بالدلو حتى تخور قراه ويأوي إلى فراشه، وهو يرتجف برداء. ورغم نقمة الرمياني التي أدت به إلى التمرد ومغادرة محل والده، حيث التحق طويلاً سنة كاملة بفرقة مسرحية تحول مع عروضها على الولايات الأمريكية، فإنه عاد إلى الحضور للأمر الواقع، ودرج يشعل سبار، ويطبخ ليلاً، ويشتري الكتب بالقليل الذي يكسبه. لكن هذه الحياة المقهورة المنصبة هنت صحتة الغنية حتى ضعف وهو في الحادية والعشرين من العمر، مما دفع بوالده إلى إعطائه إجازة من العمل، وأرسله إلى لبنان للاستشفاء!

هذه عشت من المستوى المالي لحياة بعض الأساء المروية في الأدب المهجري. ويمكن التأكيد انهم كانوا ومرتاجين نسبياً قياساً إلى أوضاع الأساء الثابوية، ذلك ان الفئة الأولى كانت قادرة على ان تفس حراً، من دفعها عن طريق النشر، ولا سيما في الصحف والمجلات العربية في المهجر.

لكن يخطئ من يعتقد ان تلك المجلات، حتى الرديتها، حلل جريدة «السائح» لسان حال والرابطة القلمية لصاحبها عبد المسيح حداد، كانت في ساق من الأزمات المالية والوعز. وهذا الفقر المزمن الذي اعتري «السائح»، انعكس حاجة ماسة عند أعضائها وكاتبها ويروي جورج صديق قصة مكية - مضحكة عن فقر المجلة والعاملين فيها، تقول ان عجزاً دائماً كان يعتري حساباتها «وكان روافها يتندلون إلى الشكلة ويقترحون الحلول لحلل مولد جديدة. وأخيراً انصاعوا لراي نعمة، حكيم الشة، بالسفر إلى مدينة بعيدة أخلت بالعمران اسمها «أفغوات» لبيع أسهم فطرية فيها وكسب السشرة فسافر شعبة مع عبد المسيح حداد الذي ترك ادارة الجريدة لشقيقه الشاعر نذرة حداد. وطال الغياب دون ان يرسل إلى نذرة مالا فاشتت الضائقة المالية وأصبح مكتب الجريدة دون تلفون ولا كهرباء ولا غاز. فلما قصدا الجريدة كل من الشعراء إيليا أبو ماضي ورشيد أويب وتيب عريضة كعادتهم، وجلسوا في ظلام الغرفة، قرروا ان يرسلوا إلى نعمة وعبد المسيح صرخة استغاثة في قصيدة يشتركون في ظمها، لكتبو على ضوء الشمعة معلقاً هذا مملها:

فب بالمطير في ربي «الأسواء»  
وقل السلام على الآلى هجرونا  
الغداً مطرط وسور الكهريما  
با وثمهم من رهم تطموسا!  
نره يطلت، إسا لا سابع  
لا تلتسح... ذات مشتركونا؟

## الفقر كان الهواء الذي تنشق ابداء المهجر





اليس في يمينه  
ما يسير في !

عنده. وأطلق عنوان وأغاني الدرويش على مجموعته الثانية تكريساً للزهد الارامي الذي رمل به الدهر. أما رفاقه شرعاء وأبناء المهجر، سواء كانوا شركاء في «الرابطة القلمية» التي انضم إليها في العام ١٩٢٠، أم مجرد زملاء في الكتابة، فقد تعاملوا معه جميعاً، على أساس انه فقير، لا بل معدم، وعلى أساس انه يعرف بأنه فقير والدليل ان هذا ان ايليا ارماني، رفيق في «الرابطة القلمية»، زاره في منزله، ذات مرة، فوجد الباب مفتوحاً والغرف خالية، فترك له ورقة انتصر بها شعراً، حالة ايوب المدممة مالياً وقال:

كيف تركت البدار يا صاحبي  
مسترحية الساب لمن يطرُق  
اليس في هذا الجسمي سارِق

وكان رشيد ايوب يتنصر من فقره هذا، ويتلصص سلباته على حياته اليومية، ول في علاقته مع رفاقه والآخرين، وقد بلغ به التفتُّر حدوداً في الشكوى المرة التي جعلته جالساً في حفرة الخالق يستنصحه علواً على غمليه ويقول:

وكيف ما هذا القفَرُ اسمع لعبيدك إن كنتَ  
للناس حبيش طيب أما انا فمُرُ  
اسع وليكن لا رى حسري في حضي فُرُ  
إن كان بالصبر الفنى ايوب مثل ب صرُ  
وفي عي الفقر هانا ان احسان رشيد ايوب بالقر، قد تعاضف لانه، كما قلنا، عرف حيلة الفقر والحاجة واكتسب عليها عادات وعلاقات لا يعد لها مثيل في الدرويش من طائفة ايام المهجر والانفصاح المالي. فظل يوسله إلى بيورك كان رشيد ايوب قد قام بعدة رحلات إلى أوروبا، لا سيما إلى مانشستر البريطانية، والعاصمة الفرنسية باريس. وهو، في هذا يختلف عن معظم المهجرين الآخرين الذين ما يتعمروا شطر المهجر إلا للدافع العزّز المحيط بهم من كل جانب. ايوب كان معتدراً مالياً في بداياته، إذ كان يتعاطى التجارة وفي الارباح الوفيرة، مما سمح له بأن يعيش حياته بطولها وعرضها، كما يقال، دون ان يحسب حساب الرمس الألى

رشيد ايوب عاش الفسحة بكل ابعدها. فاجتذبت العين البصيرة واليد القصيرة، فالتصق شاكياً ياكياً حتى استحق من جدارته لغف وشاعر المنكسرة، والشكوى في حالته، منعبها القفر ونفاسها الحزون، ومن خلال جلدية القفر والحر، يمكن قراءة نجاج رشيد ايوب الشعري، عبر دروازيه الثلاثة: «الايوبات» (١٩١٧) و«الاهي» الدرويش (١٩٢٨) و«دهي الدنيا» (١٩٣٩)

وتقابل كل ديوان من الثلاثة تقبع ظلال وضع الشاعر المالي، فديوان «الايوبات» يمثل مرحلة البجوة النسيبة في الشعر العيش. و«أغاني الدرويش» مرة للفقر المدقع وتعالى زفرات الشكوى والتضرع أما دهي الدنيا فإنه يعكس حالة الاستقرارية النسيبة في وضعه المالي، حيث عرف نوعاً من الاكتفاء، وإن على شيء من الشكف. من هنا، وباطلاقاً من جلدية القفر - الحزن وانتماسات الشعرية، يمكن القول ان «أغاني الدرويش» هو ذروة المطاء الشعري عند رشيد ايوب، لجهة الشائقة وصنع التجوية الانسانية. قبله كان

الدرويش تقليدياً، وإلى حد ما سطحيًا، في شعره. وهذا ليس عاداً فقط إلى عامل السن، وما يفرضه من نصج، بل كذلك نمط العيش اليسور والمتلث الذي لم يترك لاصحابه مجال التعمق في التجربة الانسانية، لا سيما الدائرية العميقة الغور منها.

أما، حين خلا رشيد ايوب إلى فقره فإن شفافيته حزبية جليبت ترجمته وجعلتها تنصع بالبعد الإنساني. وضرورة تلك الشفافية، في «أغاني الدرويش»، ربما تكمن في تصويره للزهد تصوير غير عارف بشؤون الزهد وشجون، غير لم يتجر طوعاً أو زهد، وإيا أزعج على التأقلم معه بسبب شيق ذات اليد. في إحدى مقطوعات الديوان المذكور يستل رشيد ايوب مواصفات الزهد، من داخل ذاته العميقة، فيصف نفسه بها، بضموض سحري، ويقول:

له سريال جزائب هبار الدهر عشة  
ويوجه لوتحة الشمس هارت فيه عينه  
سألنا الناس: من هذا؟ فقالوا: يعلم الله  
(...) وقالوا: إنه حب وفرط الحب الفسدة  
وقالوا: شاعرٌ يشكو فما تعذيب شكواه  
وقالوا: زاهدٌ، لما رآه، صاف دنيته  
ومنهم قال: درويش غريب صاغ ساوئه  
سائلاً بلا عرفة وول. ما عرفته

بعد مرحلة وأغاني الدرويش هذه، وهي ذروة فقره وشعره في آن، ستنمرت حالته الحادية محفلة، على ما يبدو، شاعريته فديوانه الأخير «دهي الدنيا» وإن كان أفضل مستوى من ديوانه الأول «الايوبات»، لجهة ابتعاده عن التقليد، فإنه يبقى أقل شاعرية من «أغاني الدرويش» بما لا يختلف حوله اثنان. والسبب، على الأرجح، هو ان الفقر كان للنجم الذي شكّل منه رشيد ايوب شاعريته. وبمقدار ما تراجع ذلك الفقر، بمقدار ما تراجع صفاء الوهج الشعري عنده.

مخالف لنصيحة، في مقالة له عن رشيد ايوب ترقى إلى العام ١٩٦٦، يصف حالة المالية التي نجدها متطابقة مع تقلبات حالته الشعرية فيقول:

وعندما نرج رشيد من دنيو ايلوزايز إلى بيورك (عام ١٩٥٠)، حلّ معه مبلغاً من المال كان قد وقّره من تجارته. ولأنه كان كريباً إلى حد التبذير، وبالأخص في عائلته وأصدقائه، فلم يلبث المال المدخر لديه ان يتجر. ومن هنا ابتدأت هيمه ومشكلاته المالية والنسيبة التي لزمته حتى وفاته في السابع والعشرين من كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٤١. ولكي يتجنب على الصائفة المالية التحق بشركة من شركات الصهان الشهيرة، وراح يأتها بحدود ضمان من معارفه وأصدقائه بين تجار المجالية اللبنانية - السورية، وذلك لقاء عمولة معلومة. فكانت حياته يوم يسر ويوم عسر.

والطريف ان رشيد ايوب، رغم شكواه المزملة أياهم المدقع، فإنه ظل شاحكاً ونجم المجالس. ضاحكاً في حياته ومتسبب في انصراره. حتى ان أحد رفاقه في «الرابطة القلمية» يصف تلك الازدواجية بين معارفات وإقية تقول:

وكت إذا نظرت إلى رشيد بقلته المبهدة المتهللة، ووجهه الوسم،

## رغم فقره شاه ظل ضاحكا ونجم الجلسات

وشرئت انفسی علی وشر  
جَعَلَ السَّيَّءَ قَرِيباً مَن  
وَدَعَلَ تَقَرَّبَ وَصِي فِي وَطَنٍ  
مَنْهُ حُلَّتْ بِدَالِغِ الْمَن  
وَاتَسَّتْ بِالْأَشْعَارِ صَامِئَةً  
كَالْكُوشِ الْمَسْلُوكِ فِي عَدَنٍ  
وَطَسَّتْ فِي عَدَنٍ مَنَصْرَةً  
فَلَمَّا بِنَفْسِي عَيْتٌ عَلَيَّ  
فَالْمَنُ فِي الدُّنْيَا، لِحَبْلِهِمْ  
لَا يَشْتَرُونَ بِضَاعَةَ الْجِسْرِ  
وَيُلَاحِظُ بِهِ الْأَسَى مِنْ كِسَادِ بَضَاعَةِ الشُّعْرَةِ إِلَى حُدُودِهَا  
لِلْمُقَابِلَةِ فِي بَيْتٍ مَعْبَرٍ عَنْ فَهْلِهِ وَرَاءَ الْمَالِ الْفُرُوقِ لِاسْتِزَارَةِ  
الْحَيَاةِ:

كَمْ قَاتِلِي لِي قَدْ أَوْتَيْتُ مَوْجِبَةً  
فَقُلْتُ يَا صَاحِبِي غُلَّهَا بَدُولًا  
عَلِ الْعُمَمِ يَأْسُ وَشِدِيدِ الْيُوبِ مِنْ فِقْرِهِ الْمَالِي، إِذْهُ تَرْتُوهُ الشُّعْرَةُ،  
لَيْسَ جَدِيدَةً عَلَى الْأَدَبِ. فَالْخُرُوبِيُّ، صَاحِبُ الْمَقَامَاتِ الشَّهِيرَةِ، أَكَّدَ  
إِسْتِحْلَالَ تَأْيِينَ الْعَيْشِ مِنَ التَّقَاةِ حَيْثُ قَالَ  
لَيْسَ لَيْسَ بَرُوعِي مِنْ شَيْءٍ هَدَى الْقَصَّةَ  
وَأَسْ حَرَمَ لَأَدْنِي نَصَحَ لِنَفْسِ سَعْدُونَ الْتَرْتُوهُ بِالْأَسْعَادِ عَنْ حُرُوفِ  
التَّقَاةِ، وَيَعَارِضُهُ التَّجَاوُزُ عَنْ أَيِّ بَوَّاحٍ. أَحِبُّ رَسِيدَ الْيُوبِ أَنَّهُ، رَعِمَ  
اِكْتِشَافُهُ وَاقْتِشَاعُهُ سَلْبِيَّاتِ الْفَقْرِ وَاسْتِحْجَابِهِ بِدَوْنِ مَطْلَبَاتِ الْعَيْشِ  
الْكُورِيِّ فِي الْهَجْرِ وَالْتَقَاةِ، لَمْ يَسْتَعْلِمْ بِوَالِدِيهِ مِنَ الْكِتَابَةِ، لَا بَلْ إِنْ  
أَرَادَ عِلْمَهُ بِأَبِي كَمَا رَأَى حَاجَةً مَعَ اسْتِحْجَابِ طَرُوفِهِ الْمَادِيَةِ. أَكْثَرُ  
مِنْ هَذَا، فَلَمَّا بَشَّرَ حِكْمَةً شَبِيحَةً عَنْ كَمْ قَتِيرَةٍ وَاحِدَةٍ نَطِخَ  
لِلْأَلَدِهَا الْخَفِيِّ وَالْمُجَارَاةِ الْخَفِيرَةِ لَتُعَلِّمُهُمْ قَرِيبَ الطَّعْمِ... وَبَعِ  
يَقُولُ رَشِيدُ الْيُوبِ بَانَ انْتِظَارُهُ الْيُسْرَ، بَعْدَ طَوِيلِ الْمُسَرِّ، لَا يَبْعُدُ كَوْنُهُ  
وَاحِدَةً حَصِيَّةً، فَلَمَّا يَطْلُو النَّفْسَ الْجَالِفَةَ بِالشَّيْخِ الَّذِي لَنْ يَأْتِيَ  
وَيَقُولُ:

لَكَ يَا نَفْسُ حَيَاةٌ  
بَعْدَ مَا لَقِيَ الْمَعْيَا  
فَالْأَمَانِيُّ جَانِمَاتٌ  
عَلَيْهَا بِالْخَصَصِ... كَيْ تَنَامَ  
هِيَ تَذَكَّرَاتُ شَاعِرٍ  
عَاشٍ فِي الدُّنْيَا شَرِيفٍ  
وَبُضْيُ فِي الْأَمْرِ حَاضِرٍ  
بِقَصْدِ الصَّوَرِ الْعَبْدَةِ... فِي الظَّلَامِ؟ □



في قصيدة الشاعر  
في قصيدة الشاعر

هناك أسباب عديدة حالت دون بروز اسم الشاعر المهجري،  
فيهر سليم الخوري، ليحتل المكانة التي تستحقها شاعريته ومواهبه  
نقطة شعراء المهجريين، كثر، لمحت الإسلام، مع أن شاعرهم ليست  
عميقة النور كشاعرهم فيهر. ولكن ظروف الحياة أرغمت فيهر على  
كبت صوته الشعري، ليس فقط لأن الشعر لا يُعَلِّمُ خَيْرًا، بل كذلك

وعينه الوديعتين. وابتسامة الحُلوة، أو إذا رآته في جلسة مع المُخَلَّصِ  
من اعتزاله في «الرابطة»، ثم سمعته يرسل الكتلة تلو الكتلة ويفقهه  
تفهية تسرب عدواها إلى كل واحد من جُلَّاه، لا تستطيع أن  
تصدق أن الرجل الذي أمامك إنسان ركبته المصنوعة

ولعل أبرز المصنوع التي «ركبته» رشيد أيوب هي تلك التي جعلته  
مبجوراً، لأسباب مالية بخسة، عن الصمود إلى لسان. فمنذ العام  
١٩٢٨، أي في عز أزمنة المالية، راح يتخيل وادي الجبل المجرى قرب  
صنين، الساحر على مسطك رأس بيكتنا، وتخطيه بنية شعرة  
تخلصت من الوزن التقليدي والقافية المتكررة برثابة باردة، ويقول:

وَأَنْتَ عَمِيءٌ أَيُّهَا الْوَادِي  
عَمِيءٌ جِدًّا كَجِرَاحٍ عَلَيَّ  
نَتَصَبَّ بِكَ سَيُولُ الْأَمْطَارُ  
كَيْ تَنْصَبَّ فِي صَدْرِي الْمَحْرَمُ  
وَيَنْبِثُ فِي خُورِكَ الْغَوَاصِفُ  
كَيْ تَنْبِثَ الْكَاتِبَةَ فِي مَنَعِ ضَوْفِي ( )

حتى منظر التلصص المتراكم على أرض غرته، فلَمَّا يَنْكَا فِي جِرَاحِ  
الْحَبْلِ إِلَى ثُلُوحِ صَنِينَ، فَتَنْصَبُّ عَيْنُهُ الْبَصِيرَةَ لِمَعْرِزِ يَدِهِ الْقَصِيرَةِ،  
وَيَطْلُقُ زَفَرَتَهُ الْخَرَى الَّتِي حَقَّقَتْهَا غَيْبًا عَلَى مَقْعَدِ الدَّرَاسَةِ الْأَدْنِيَّةِ  
حَيْثُ يَقُولُ:

يَا تَمِيزُ قَدْ هَجَيْتَ أَشْجَانِي ذَكَرْتَنِي أَهْلِي بِلَبَانٍ  
لَكِنْ حَزَنُ الشَّاعِرِ لَمْ يَهْدِلْ فِي نَفْسِ رَشِيدِ الْيُوبِ أَحْسَادَهُ الْمَرْفِ  
إِذَا الْجَبَالُ عَمِيرَتُهُ، حَتَّى فِي غُرْلِهِ، فَلَمَّا يَفِيحُ حَزَنُهُ وَكَفَى الْحَزَنُ  
قَدْرَهُ، أَوْ هُوَ حَرَمَ مَلَاظِمَ لِحَبْسِيَّةِ الشُّعْرَةِ. فَبَعْدَ غِيَابِهِ طَوِيلٌ عَنْ  
الْحَبْسَةِ، عُدَا وَنَلَقَا وَقَدْ طَمَحَ كِلَاهُمَا بِالنَّسْرِ فَتَذَكَّرُ «الْإِلَهَامُ الْفَوْرِي»  
فَطَفَرَتْ دَمَعَتُهُ وَقَالَ بِنِزَةٍ لَهَا مِنْ بِنَةِ الرَّجُلِ الْعَامِي مَا مِثَالُ:  
فَوَيْلَ إِلَهٍ قُضِّدْنَا وَالتَّحْقِيبَا

وَتَذَكَّرْنَا السَّيَّالِي بِكَيْسَا  
وَفُكِّنَتْ مِثْلِي، وَلَكِنْ كَمْ لِي يَزِيلُ  
فِي حَوَاشِي السُّمُورِ مَا يَجُولُ لِدُنْيَا.  
وَمِنْ التَّوَاسِيِ الْمُلْتَفَةِ فِي تَجَرِبَةِ رَشِيدِ الْيُوبِ مَعَ الْفَقْرِ وَالزُّهْدِ، أَنَّهُ  
اسْتَعْنَى مِنْ رُضْعَةِ الْمَرْوِيِّ فِلَسْفَةً حَاسِمَةً قَائِمَةً بِدُنْيَا، حَلَّتْهُ بِحُزْنٍ  
مَصْدَرِ الْأُمِّ إِلَى مَوْقِفٍ حَيَاتِي يَتَبَاهَى طَوْرًا حَيْثُ يَقُولُ:

أَهْوَى السَّيَّالِي كَيْفَهَا جَاءَتْ، عَلَى عِلَاقَتَا  
لَا أَعْتَبُ الدُّنْيَا إِذَا مَ عَمِيرَتْ عَادَتَا  
أَبَا أَعْتَشَى الْعَسَنَ الْوَدِي تَلَذُّزٌ فِي خُسْرَانَا  
وَالْفَقْرُ نَأْيٌ، إِنْ سَمِعْتَ مَا رَادَ عَنْ حَاجَاتِنَا

والدُّعَا السَّادِيَّةُ، أَوْ «الفلسفة الشائكة»، تفوح من موقف رشيد  
أيوب هذا، ولكنها تبقى ذاتاً ضمن إطار الماكيزية على الجرف وتحويله  
إلى مصدر للتشافية الإنسانية، وليس منبع بكائية هشة تضرب  
جذورها في تربة الإحباط الدائم. غير أن مشكلة الفقر عند رشيد  
أيوب تطرح، به أحياناً إلى حد يقاس شعره بمردوده المالي. وهذا، رغم  
سليباته، يبقى موقفاً طبيعياً يصدمه به الشاعر الفقير ويتوزع من أجله  
وهو يرى إبداعه بضاعة كاسدة لا يُقَالُ عليها أحد. في هذا المعنى  
يقول:

# القروي أخذ من شقيقه المدني وهج الأصواء والشهرة



لأنه لم يعرف كيف يسير التأثير في مآلات مجموعة دون أن تصير التور. وبقيت ثقافة مشوّنة، هيا ومالك، في صلب المرحلة وعملاتها، أو في الدراسات اللاهية التي اشتغلت على أدب المهجر ولعل أبرز الأسباب التي أدت إلى تحول شهرة قصير سليم الخوري إلى حد بعيد، سيان وهما

- أنه شاعر فطير مُعَدَّم، منذ لحظة انطلاقته وحتى وفاته، حيث أمضى عمره غارقاً مع مسؤوليات عائلية، ساعده عليها شقيقه الشاعر القروي أحياناً كثيرة، ولكنّها ظلت ضاغطة على أفكاره وشاعريته. وهذا ما اضطره للقيام بأعمال متواضعة في محاولة لرد غائلة الخوف عن أولاده، وإن كان مردودها لا يكفي لتبديد غيباب الغزو الشديد الذي اتصمت به حياته.

- أما السبب الثاني فعائد إلى كون قصير سليم الخوري، شقيقاً للشاعر القروي رشيد سليم الخوري، لذلك فإن القروي أخذ من أخيه وهج الأصواء والشهرة، لا سيما وأنه عاش وصات عازياً، مما خفّف من مسؤولياته البشّرة والمصاعلة، وساعده على الانصراف إلى الشعر، أكثر من أخيه قصير. هذا مع العلم بأن قصير حلّ لقب والشاعر للذكر، تيمناً بلقب شقيقه القروي، فيكون قد جمع القوية والمدنية في سلالتها الشعرية.

ومع أن نقاد ومؤرّخي أدب المهجر، وفي طليعتهم جورج صليبيج في كتابه «أولئك الذين كانوا في المهجر الأميركي»، اعتبروا شاعرية قصير وأشاعراً بضمّة الزمزم، فإننا لا نكاد نضع على ألسننا وأديمه من فقره المنع، إلا على شكل حصرات وتضييقات سريرة لا تُقْبَل ولا تُحَسَب من جوع. لذلك نجد مطّهرين إلى الاستناد إلى ما يُؤدّر في هذه الجزء الأول من ديوان «الطريق»، حيث يروي لنا الشاعر بعضاً من ظروف العائلة للثانية، فيُخبر، لقاءً على حالة شقيقه قصير، الذي كان قدومه، على ما يبدو، أن يضيئ حياته في الغرب من غير أن يفر

فعائلة الخوري، في قرية البزارة الساحلية القريبة من مدينة البترون، كانت مسهورة في الأساس، إلا أن الجدة، لجهة الولد، وكان طبيعاً تقلّ بصره عدة كتب عن ابن سينا وتلقاها بيده... ولا يمكن تخيّل من القيام ببعض الجراحات البسيطة، ووالد القروي تعلّم تجارة الحرير والخبز وغيرها وأصاب ثروة متعلّفة. وما عساه، في هذا السياق، أن أجراء الراحة المالية النسبية سمحت للأباء بتلقي العلم. وقصير الذي وُلِدَ في العام ١٨٩١ زاول التعليم في كل من جبيل والبترون وطرابلس، وتزوّد، للمرة الأولى، وهو في سن العشرين، ولكن، قبل الزواج بأقل من سنة، حدث الانقلاب الحاد في حياة العائلة، إذ توفي والد عمّه وكعداً لمرط حياته وتوزّعه ثروته قرضاً لم يتسوّف منها مئلاً واحداً، وخلف عالياً ديناً لا يُرجى أبداً إيفاءها من أجرة التعليم الفشل، كما يروي القروي في مقدمة ديوانه. ويبدو أن عم القروي، واسمه أسكندي، الذي كان قسطنطين الحريش البرابلي، عرف بالأمر، فأرسل إلى ابن شقيقه مبلغ غريب ليرة إنكليزية ليشتري بطاقة سعر الدرجة الأولى ويسافر إليها. وما أصّر قصير على أن يصطحب شقيقه، ولأن قصير روعة وطيلة وصية فإننا واضطروا لاستمادة ما يكتفينا جيعاً للسفر في الدرجة الثالثة.

بعد فترة قصيرة من الوصول إلى البرازيل بدأ الأخوان، رشيد

وقصير، العمل بتجارة «الكشّة»، متجولين في الأديان، لتسديد ديونها وإعالة عائلة قصير التي ما لبثت أن ازدادت عدداً، وبالتالي حاجته

هنا بدأ مشوار قصير الحقيقي مع الفقر والعذاب. فقر حاصره من كل جانب، وهذاب جلا معه وجعلها شائعة إلى أقصى الحدود وبالرغم من أن شهرة شقيقه «القروي» بدأت تنتشر في أوساط الجالية العربية، فإن قصير رفض الاستفادة من علاقات أخيه وأثر الاعتدال على نفسه. وبدأ يعمل في وظيفة متواضعة جداً، في أحد المحال التجارية ليتقاضى مبلغاً بسيطاً لا يكفي سوى جزء يسير من حاجات العائلة. ولأن قصير كان حيناً يطمّعه، فإنه حُضِر على الجرح، لا سيما بعد أن ماتت زوجته الأولى مرضاً، وتعلّم على الصعوبات الحادة، لدرجة أنه نادراً ما كان يشكر أرمته الحاتكة لأحد، حتى إلى شقيقه الحنون. ويبدو أن هذا الضغط الشديد قد فحّر عقيرة الشاعر المدني، قصير سليم الخوري، فأراح ينشر مقطوعات شعرية منتمية لثورة الوجدانيات المشغلة والشعبة بالعذاب النفسي الكبير من تلك المقطوعات الشعرية وأصدت تنحصر أزمة نفسانية حادة بكل أبعادها، كتبها قصير ليلة العيد، وهو ينظر أولاده يتألمون من حوله، ويذكرونه يبدأيا العيد التي أصابها زلزالهم. وأشدّ ما ألمه حبيب ابنه المحروم

يكتب بقول

رأى حيّ صغار أعين قد عسوا  
في ليلة العيد أشبه، وما عسا  
بعض سأل ما لست أملكه  
ولو أنسى طالباً روعي لما حُرموا  
ويصفون يملؤنا آثام  
وعداً تملّكت في أجفانه خُلقاً  
لما رأته حالي وحالته  
مالت للاحية تُدرّي الدموع دما  
هذا الموقف المرط في حزنه، لدى قصير سليم الخوري، يذكرنا بيزوغات الشاعر الأندلسي المحدث بن عباد، وقد وقع من عرشه في الأسر، وراح يلوف الدمع ويغري بناته حفاة، ليلة العيد. ولكن بكى قصير سليم الخوري صامتاً، وهو يرى عجزه بيزاد عن تلبية حاجات أولاده. شَمَّته بأبي عليه يد السؤال. وأبّن أطفاله يتنفّس وهذا ما بعد تلك أيّ مجال لحسن التلمع، وإن كان قصير اختار خرفة شعراً، مكثرة واحتصافاً بركة الشعر. في مقطوعة من خمسة أبيات يتذكر أيام شبابه في مدينة صيدا، حيث أمضى ٤ سنوات للدراسة، فيبكي متسماً لو أنه مات في بحر صيدا ولم يصل إلى هذا العذاب:

بين الصلحوق قسبم طاب منزل  
لمحت قلباً وفلسي ليس يملُ  
صيدا رافقاً ساء عالم سبّ  
غير التعلّل لو يبغي تعلّله  
قد كان ينفضّ ويثقل الشطّ الخضمّ  
والصبر كم يتصنّعه مقبلة  
لو أن تحرّك يا صيدا الخرقه  
لكنا لرحم من دمع يملُ



فجسدتَ السعيرَ كلَّ شغلٍ  
فكانَ الليلُ أعياماً ستارا  
نوافذُ كالعيونِ بلا جفونٍ  
وقد تمنتَ من المنظرِ إدوارا  
أفانسلُ إنَّ غلغلتَ به فيني  
غريباً قد يمسُرُ وجلا  
أعيشُ وزوجتي فيه، كاني  
من المزاجِ وهي من العذري  
يقولونَ يرجمَلُ عنه، وسنُ لي  
بمسلكٍ يقول: فمَ الاجرا  
ولا مالَ لذي ولا شيلِبُ  
فما حالي إذا استأجرتُ دارا

اسلوب شعري أين مئة وصف ابن الرومي، وحرصه على «تقلب المسمى ظهراً على بطن» فبقائه ولم يترك فيه زيادة لستريده، كما قال ابن رشيق؟ قيس سليم الحوري شاعر لم يَل ما يستحق من اهتمام. ولعل في طليعة ما ينبغي ان يستوقفنا عنده، تلك القدرة الماثلة التي جعلته يستخرج من فقره الشديد غنى فنياً يلقب به عطاه الشعري المتضلع. □



إذا كان القدر هو الخليفة للشعير الذي يعلق منها شعراء المهجر، في صراخهم الأعظم، وأما للعقر طمناً نعيم في نغمة اليأس فرحات، احتياية والشعرية على حد سواء. كلانا ان القدر ظل رفيقه الدائم حتى ولو امتد عنه، في بعض الرمايل العابرة، فإنه سرعان ما كان يعود إليه شوق يُلقم به كل جانب. ولقد استصر فرحات صحبة مع العقر في بيت ممر جاء فيه.

وليس فقري طمناً عسره سنة  
لكنته تزاوي لما تنوتُ نفا  
فمنذ وصوله إلى المهجر، في العام ١٩١٠، وهو بعد في السابعة عشرة من عمره، بدأ مشواره مع الفقر، رغم أن ظروفه الماثلية كانت تبشره بالكمس. فاشفاقه كانوا مسوونين نسبياً، بفصل أعيالهم التجارية الرائجة. وبين عشوه تحت أجنتهم للعمل معهم ظل أن الدنيا يستيسم له. غير أن اللؤل من العمل التجاري سرعان ما ترتب إلى قلبه، فترك اشغاله إلى مدينة أخرى، حيث راح ينتقل في العمل كموظف من محل تجاري إلى آخر، دون أن يعرف لا الاستقرار المالي ولا الاستقرار النفسي. وسط هذا الللل الذي لا يتخلف في شيء من هذه المصرة الذي عصف بالرومانسيين، لاحظت له بارقة أمل طرعت تحديه إليها طوال حياته. فلقد توسل له كليب صديق لدى إحدى المجلات العربية هناك مجلة «أبي الهول» في سان باولو، مما جعل فرحات، بعد فترة، يشاهد أول قصيدته له منشورة. ولم يدر، وسط فرحته الماثلة، بأن داء الشعر قد أصابه وإن الأعراض ان تتوقف عن التعاقم طوال حياته! غير أن الشعر لا يُطعم خبزاً، كما يعرف الجميع، لا سيما فرحات

ووبُ حُلمود صحر كان يُغلي  
استسب من شدة الندكار أجيئة  
حتى عندما افتتح شقيقه القروي مصنعاً خاصاً به لربطات العنق، فإن قيصراً لم يطعم بالسر العابر الذي أصابه شقيقه، بل ظل يكابر على حاجاته الماثلية الكثيرة ويرفض مذهب السؤال لأقرب المقربين إليه. ولذلت، عند قيسر سليم الحوري، أن هذا الفقر المدقع لم ينشط عزيمته الشعرية ولم يُعدهم عن تعاطي النظم. على العكس، هو بفناخر بأنه فكن من أن يعوق على أتراه من المسوونين، فيعتر بنا حقه شعرياً، رغم حاجته الماثلية ويقول.  
بَلغتُ، لا كُتبتُ عندي استصين بها،  
ما ليس يُلغى المُفَنَّن بالكتُّب

ولا غربة في هذا الموقف إذ أن قيسر سليم الحوري، رغم فقره، كان من أول المنصرين تحت لواء العصبة الاندلسية التي نشأت في المهجر الجنوبي، وركزت على القضايا القومية والوطنية. وكان قيسر يتعجب أحياناً من عمله ليحضر اجتماعات العصبة، مما كان يعرضه لحسومات في مرتبه المتواضع، فغداً غزوه عوزاً بسبب الشعرا! غير أن أطراف أطول مقفولة شعرية وقتنا عليها للشاعر المدني، قيسر سليم الحوري، هي تلك التي يصف فيها نتائج العقر على منزله الذي بدا وكأنه واحد من بيوت التسلول. إنها قصيدة فيها من الشفافية الحزينة الشيء الكثير حتى تصلح ان تتحول إلى لوحة تشكيلية، إذا ما قُص لها رشم ماهر يستخرج صورها الكثيرة. فقر قيسر جملة يرتقي البقاء في هذا المزلزل الوضع، ليس حاشاً به، إلى أن صاحبه يمهله في تسليد الإيجار. يقول قيسر سليم الحوري في وصف بيته، فخراب هذا:

ولي بيتٌ تطوَّرتُ به الصمواذي  
ونشئتُ في جوانبه الصمادرا  
نضجتُ حوله شجرٌ كرسيم  
قديم جعدوا منه الاطادرا  
أجبلُ السطوف فيه وليستُ أندري  
أشعلُ منه سقفاً أو جدادرا  
ألدويه عاثرةً فروسي  
ودجُ بي في كَفَّ السدادي  
هوى من سقيفه نصفٌ ونصفٌ  
تسببُ بالمصالحم فلسنجادرا  
إذا ما السريحُ هبَّ من ميسر  
عليه زلزلتُ أولادي بسلرا  
بساندُ معبهُ اكتشاف بغض  
فيضجيك من تناسيد السكرى  
شوقي من نطفٍ من بعيد  
يرى يثاً وإسواً كشارا  
لمنها ما تملُ أو تكتسُ  
وسبها ما استطل وما استدارا  
فما من مؤسسٍ للسرِّ فيه  
كان السرُّ معروضٌ جهارا

استفاد من  
وضعه المزري  
كراعي ماضية  
لصناع  
بموتوسوع  
شبهانية



# تنازل عن بديل الجائزة المادي وحوله إلى الجامعة العربية كي تنفقه في سبيل فلسطين

نفسه. لذلك راح يبحث لنفسه عن عمل يقاتل به ويستند إلى مردوده  
ليتمكن من الاستمرار في مجال العمل هكذا تقلّب من عمل إلى  
آخر أحياناً كان يقرب من مجال الكتابة في عمله، كما حين عمل  
كشخص حروف في إحدى المطابع. وأحياناً كان يتعدّد عنها بعد الأرض  
عن النساء، كما حين راح يعمل بصفّ فنيّ ومبرمجاً على الزبائن.  
وبين التفتيش والخدمة التجارية عمل الياس فرحات في تربية الماشية  
والدواجن، فتحوّل إلى راعٍ بمضي سحابة وقته بين الدجاج والماعز.  
ولعل هذه المرحلة من حياته هي التي أوحشت إليه مجموعة الشعيرة التي  
عمل عنوان «أحلام الراعي» (١٩٥٣). والكاتب نقد اجتماعي، في  
قالب حوار، يقدّم بين المحلّات والمعالج من جهة، وبين الكلب الذي  
يمرس القطعان. وإذا كان نقد الراعي أمراً سلبياً، من حيث المبدأ،  
فإن «أحلام الراعي» هي دون شك مجموعة إيجابية ربما تكون من  
أفضل ما كتب فرحات، ومن أعظم ما تحفّض عنه الألب المهجري،  
إلى سبيل في الجنوب.

والواقع إن «أحلام الراعي»، ورغم الناحية التي سجلت عليه لمحة  
تركيزه على مشاكل المجتمع الريفية، دون الاقتصار إلى الموارثات  
الإنسانية العامة، يبقى مرآة صادقة لما كان يعانيه فرحات في موقعه  
الاجتماعي. وهو قد استلهم من وضعه المزري، كواحد من رعاة  
الماشية، ليطبع بموضوع ديوانه. وهو يصوّر نفسه، في البداية كثيراً  
ولكن مقتطعا إلى قطيعه الذي عثر له على مرضي خصب، وراح ينفق  
في نوم مضطرب، مشتتاً إلى عين كلبة الشاعرة على القطيع. وبين  
البضعة الصالحة، والروية المتطرفة، أدب في رأسه عن أفكار  
اجتماعية وواقعية، استوحاها من كثير من نظائره، بوصفها في قالب من  
النقد الاجتماعي اللاذع. ومن ذروة هذا النقد نكس في بعض  
الروايات للكاتب عن الأناضول، واعتبر أن الكتب، كي يعود.  
انساناً هادئاً، كافاً ربه على ارتائه، ورفاهه إلى مصاف الكلاب. ولكن  
حذار من الخطأ فالخلاق متعدد دائماً لمائة أي تجاوز يتركه الكلب  
فيشبهه انساناً (١).

إن من منا واحد أو عانا

أزمنته خالفت انسانا

رسالة الراعي الفقيه مع الياس فرحات، ليست سوى وجه من  
الوجود المعقدة التي يمكن أن يتغلخها العزّور عنده. ولكم شفي  
فرحات، في فقره، وتعليل، حتى أنه كان، في أحيان كثيرة، يبيت  
عدة ليال متتالية على الطوى إذ لا يجد ما يسد به وقته. ولعل أدنى  
ما ابتلي به من سراب الاكتفاء المالي، هو ذلك الذي عندما راح يعمل  
كوسيط متنقل يحمل مساحات أحد المصانع، ويرتج لها في التناظر  
النائية، ليلقد تعاقب من صاحب أحد المصانع على هذه المهمة لقاء  
عسولة تبلغ قيمتها ٥% من مجمل الصفقة. لكن يبدو أن صاحب  
المصنع استنكر هذه النسبة، بعد أن واجت عمليات فرحات وراح  
يمتدّ كيساً، فعمد إلى تخفيضها لتصبح ٣%. وحين فاتح عمله  
بالتخفيض، عثفاً من وقع الخطيئة بسبب عدم زدهار الأعمال، كما  
تدرج، انتفض فرحات وانضاً وقال:

يا صاحب التول كلّ  
لم خي ولا تفتّر  
هل خفت أن اغتني  
أم خفت أن تنقر؟

يا صاحبة التول خزي  
والعلم ملأ انتحز  
ما زدت في حاجتي  
والرجل لم يتكرز  
لا يشوق الفهم والد  
مخدون لا يكرز  
من كان في أشغل الد  
جوة لا يحدز  
ويبدو أن فرحات، بعد تلك المرحلة، انتقل لعمل وسيطاً لترويج  
التجهيزات الغذائية. وإذا كان جمع الثروة قد عاذه، بل أصبح، بعب  
على الأقل، تمكن أن يأكل على جوده، واعتبار أن «من يعمل في العنبر  
يأكل منه». لكن، هنا أيضاً، يبدو أن صاحب المصنع متع فانتفض  
فرحات متروداً يقول:

ولست بمحتاج إلى عون  
موسر إذا كان فيه ما يمس  
مقاسي إذا لم تكن نفس الشفي  
غنية بأحسنها فالل مال حرام

وإني لأفنى النفس ما دام لي نفس  
وهرض وهندي كسوتي وطعاسي  
ثمرة الفقير هذا، هو سمة مميزة لشعر الياس فرحات ولشخصيته  
فهو يصعد دائماً، في كل رثاء فعله عن عزّة في النفس وإياد في  
القناعات التي يرفض التنازل عنها فيها عشقه الجوع بأنه أو سادات  
أحواله المالية. وفي هذا الصدد يروي فرحات في مقدمة ديوانه  
«الراعي» أنه، في العام ١٩٤٧، حصل على جائزة التجمع العلمي  
المصري. ولكن، وبالرغم من أنه كان عاجزاً عن تسديد الأقساط  
المسيرة به طلب أيدي يسكب، هذه تارل عن الخاترة وطلب من المحبة  
لنقد لما أن عرفت إلى صدوق الجامعة العربية كي تنق في سبيل  
صرة نصية طلسون. وهذا الموقف الشهير ليس فريداً في حياة الياس  
فرحات الذي اشتهر باندفاعاته القوية وبمعارضة أعداء العروبة، بإياد  
عزيم النفس ويصوغ الشناعات الراسخة التي طالا دافع عنها. ولنا  
هنا في معرض دراسة مواقفه القومية التي تستحق بحثاً مستقلاً  
ومطوّلاً. ولكننا نكتفي بإيجاز موقفه الشاعري، ورغم فقره، وهو الذي  
هاجم الفرنسيين والأمريكيين والبريطانيين، وبالطبع الصهيونية،  
لكنكالمه جميعاً ضد العرب. فلتنزه بقول:

إني لأحبل نفس الشفّر مشتعبا

هالي الجيس والقي السهر ميرسبا

لكن هذا التعالي على الفقر وحدايته لم يبعج في إمارة الحب  
بالفوارق الطيفية عند الياس فرحات الذي هاله أن يرى الفلاحين  
يراثن الجوع والعوز في حين أن زملاؤه لم يملكون بالخير العميم. هنا هو  
يكتب رسالة شعرية ليخبرهم بها فيها:

هنيئاً لكم حزل الحوان اجتماعكم  
وصاحبكم يطوي السفالي بلا راد  
وهندكم الماء الشمر مسيلة  
جزاف على وجهه الشوي وأنا صاب  
والولادكم في البسوخ تدفأ جسمهم  
فما تمكّم أن يقتل البرة أولادي؟

هو يعرف أن حقه سيء، لكنه يحاول التألف معه عبثاً نصف  
حالت حين كان بطلاً متحوّلاً في الجاري الثانية ويعمل:



(...) ونشرب ما نشرب الخبث نارة

وطوراً تصاف الخبيل ما نصح نشرب

(...) طوى الدهر من عمري ثلاثين حقبة

طوى بها الاصفاغ أسس وذاب

أخرب خلف الرزق وهو شرق

واقبسم لو شركت راح يصرب

هذا الفقر الملازم له يحمله على طرح تساؤلات جري منها:

إهي، لماذا خلقت العقول بعصر تفكر في الجيوب؟

وأعظم ما في فقر الياس فرحات أنه يتحول إلى كارثة اجتماعية -

عائلية، إذ أن رب العائلة لا يملك ما يرد به المرضى القتال عن

صغاره. ها هو يقف أمام سريره ابتأساً، وقد غلبها المرض والمجز

يظاق ذرة تمثّل الأكاد فائلاً

يسبب موتاً يا سعد وإيه

نوء الرضيع على ذراع الرضيع

يُنسب يا ولدي السكون عركاً

بجلال هيبة سواكن أفعى

كم قبله غصو إلى شفتي من

قلبي الحزين الرال الشفتع

حتى إذا وجدت سرك خالياً

وجعنت فصارت جرّة في أضلعي

وأكثر ما يلميه هو مشهد عياله، في ليالي العيد، وتذبلت جيوب

من فرحة الموسم خلف جيب والدهم من مستزيمات الهجعة والترح

بتطوي على نفسه شرقاً بالدمع ليلة العيد، ويقول

موت ليالي العيد بي وكأنا

وجع البوس برجعها الوصف

(...) أئس الضأ أرى الخلاق تحصى

راح الصفا وأنا موهي راحي

لكن أطرب أخبار الفقر، عند الياس فرحات، هي تلك التي

يتجاذر فيها الفزج مع سوء الطالع. فحتى إذا ما توقع أن الفزج قد

منا، فإن عطف المتكدر يطع بكل سراب أسل. من أخبار الفقر

لمترجئة ناخط السىء عنده، وأحد يرويه المهجري الراجل ترفيق

ضمون في كتابه وذكرى الهجرة حيث يصف حالة فرحات بأنه يبيع

ويصرى، حتى تداعى الرفاق ليجدوا له عملاً معقولاً. فطرّ الرأى على

أن يوظفه مثلاً لرحلة «الدليل» وإرسالها في أن. ولأن هذه الوظيفة

تتطلب شكلاً مقبولاً لدى المشتركين، فإن إدارة المجلة اشترت ثوباً

جيداً لفرحات وأودعته إلى المناطق الداخلية لإقناع المشتركين. غير أن

الحظ المتكدر كان له بالمرصاد، إذ أن شرارة نار اندلعت من مدحة

القطار، في اليوم الأول من عمر الثوب الجديد، فاحترت جزءاً منه

وسدلاً من أن يرسل فرحات لائحة باسم المشتركين الجدد، كانت

رسالته الأولى نعيّاً شعرياً لثوبه اللباس جاء فيها:

كأن المسود، مع النسرة، لما

رأى لبست جديدي اتفك

نحالة يا من دخان السقطار

ونشروها فوقه فاحترق

هفت اعانت ربه مشراً

إلى الحرق وهو كسب السفز

إلبي نصرت على شرب

وتكسو العصفون لياب السورق

ولو كت عصفاً جفدت

مضى ما يشير الرضيع التلق

ولكن أرى دون تجديده

نشاء الأسى وخريف الشروق

كي يمدد

زيارته في

دمشق باع

منزل العائلة!

كل هذه المصائب الناجمة عن الفقر الدائم لم تثبط عزيمة الياس

فرحات ولم تزعج عليه الشكر في مراحلته الأولى كان رتلاً لم اغفل

إلى الصعي حاملاً معه تعابير وصيماً من الشعر العالمي لكن في

الحالين ظل هادراً وإلفاً. الشعر، دون شك، هو سبب بارز من

أسباب فقره. ولقد رأينا كيف أن رفض العمل مع أشقاء المقتدرين

مالياً، في التجارة، لأتيا تتناقى مع الشعر كما قال. وفي الختام لا بد من

ذكر حادثتين تظهران مدى مسؤولية الركب وراء الشعر، في فقر

الياس فرحات

لخاتنه، لأول مرة في ١٩٣٣. يوم كان فرحات لا يزال

واهباً للثانية. فلقد وجهت الجاليات العربية في المهجر دعوة لفرحات

ليشارك في مهرجان أقيم في ذكرى الملك فيصل الأول. ولأن فرحات

موجود في سويسرا ومهجر، تم في عاصمة الأرس، كان لا بد من

أقيم حفل السرى في ك من فرحات الأول باع قس من معاه

ليضي بد الاتعب إلى لأرجس وإقامه فيه لمدة أيام هكذا،

وسبب الشعر، ازداد فقره يوماً بعد يوم من فقرته المتواضعة.

أب الحادثة الشهيرة وقعت في العام ١٩٥٩، حين وجهت إليه

الحكومة السورية دعوة لزيارة دمشق للمشاركة في مهرجان أقيم

لتكريمه لكن فرحات لم يكتف بالمرة التي حذوها الدعوة، بل رغب

في تمديد إقامته ليستس له مجال التمول أكثر في لبنان الذي طالما حلّم

بالمودة إليه. والتعديل، بالطبع، يعني نفقات إضافية، مما اضطره إلى

بيع بيت العائلة الذي تمكن من شرائه، بعد أكثر من خمسين سنة

من الشرد والفقر والتعب في المهجر. بخر الشعر عرق الجبين، وصاد

فرحات من رحلته، خالي الجيب، ولكن بخلة الرأس بهدوى

التصديق الذي قوبل به أصالته خلال الرحلة

لكن، كما يقال، راحت الشجرة وأنت العسكرة، فالتزوى

فرحات، المائل إلى الفقر، على نفسه، وهو يتحس جيبه الخالي

ويردد

تري هل اعيش يقول - وأجنت

وبها لك من شاعر مقلد

خلفت فقراً وعشت شقياً

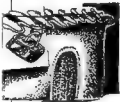
وأحسب أني أسوت شقي!

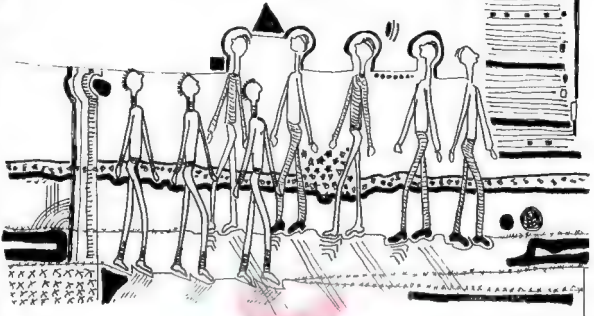
هكذا امتدت رحلة الشعر عند الياس فرحات. من عطة اسمها

الحرب من الفقر إلى عطة اسمها الزروق في الفقر. وبين التفرير أقيم

فرحات الشعر العربي بثروة أدبية فيها الكثير من التمرد وعزة

الضم. □





## تمارين على الأحلام

■ حاولت، بصديق، العودة إلى الأحلام فور صعودي إلى الترام. بدأ الأمر نوعاً من الارتباط الشرطي رغم مرور عشر سنوات لم أركب فيها أي مركبة من المواصلات العامة. وكالعادة ما كاد الترام يتحرك حتى كان قد اكتظ بالركاب إلى درجة لا تسمح لأحد بالحركة إلا في الحلم. . هكذا كنت أفكر قديماً، وهكذا أفكر الآن.

لم أنشأ السطر إلى وجهه الناس، فرجل مثل يعرف التدهور الشديد الذي لحق بالحياة لم يكن ليتوقع حديثاً في وجوه ركاب المواصلات العامة. ولم أنتج في استدعاه حلم، أي حلم.

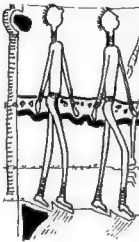
مرت ساعة محلة كاملة مشبعة بالمرق والاحتقان، ولم أسك بحلم واحد. حاولت خلال مسافة المحطة التالية ولم أسمع. تذكرت فقط أنني في صياي فكرت مرة أن أسفر نقماً في الأرض، واستمر في حفري حتى أنفذ من الجانب الآخر للأرض بالقرب من أميركا أو اليابان أو في قلب المحيط الباسيفيكي. وتذكرت أنني قرأت بعد ذلك عن برتراند راسل وكيف حدث أن فكر في صباه في فكرتي نفسها. . تفاسيت، طبعاً، ذلك اليوم، لأن راسل صار علناً وفيلسوفاً، وأنا صرت مدرساً بسيطاً، رغم أننا فكروا في شيء واحد، في سن واحد تقريباً .

.. لا تحزن.

### ابراهيم عبدالمجيد

صدر له حديثاً رواية: «السياسة  
الاحمرى: الصداقة على رءوس  
الرشق للكتب والنشر» لندن ١٩٩١





فتحت عيني على اتساعها دهشة سمعت صوتاً حقيقياً يقول لي ذلك الرجل القصير الذي يكاد رأسه يطوح بين صديري وظهر الرجل الذي أمامي يرفع عييه إلى ويسمعه انه اصلع . لا يمكن أن يكون هو تذكرت أشياء شخصية ولم ألق بكلمة واحدة لا بد انه صوت صادر من أعماقي يواسيني ، ولا يجب أن أشغل نفسي عن محاولة الاستماع بحلم ولو قديم .

مرت ساعة محنة ثالثة، ساعة طويلة بطيئة ، ولم أنجح الأحلام ، عادة ، إذا انقطعت لا تعود هكذا فكرت بالأساء الذي علمت قدرتي ، فديماً ، على الأحلام ، ان كنت أصدق نفسي الحلم الذي ساحلحه لم يكن الأمر يحتاج إلى أكثر من قمرين على التزيين في أمر ما ، أو فكرة معينة . كان أصدقائي لا يصدقون ذلك قط ، ولم أهتم بأن يصدقوني . كنت أكتفي بما أظن . وأعرف أن أحداً لن يصدق أحلامي إلا إذا شاركني فيها ، وقررت في النهاية أن أحلم بأصدقائي ، ولم أستطع أن أصدقهم بذلك . كانوا قد استشهدوا في حروب كثيرة ، أو سافروا إلى كندا وأستراليا ودول الخليج حتى صرت في الخي القديم بلا أصدقاء غير أبي وأمي . وحين انتقلت للعمل بالخدمة تركت أبي وأمي في الاسكندرية . هل يكون انتقالي إلى مدينة جديدة سبباً في ضعف قدرتي على الأحلام ؟ المؤكد أن للسيرة الخاصة التي أمسكتها ، والتي تعطلت اليوم ، شأنها في ذلك .

لا تخزن .

الصوت نفسه يعود لأسمعه . تكلم هذه المرة بسرعة أكبر . لقد استطاع الرجل القصير أن يرفع تحوي وجهه كله عرق كثير يتفصد على صلته ووجهه ، وهو يتسم في إسماعه واسعة ولا يتكلم لا يجب أن أريك وحي . التزام يرداد ازدحاماً ، ويطبق ، وأما الذي صعدت قدرته على الأحلام ، أستطيع أن أتذكر . الذكريات أحلام صائفة نستطيع أن نترجمي عن الرحمان ونترك في بي محطتي عبر الأثير الخليل جهوده وسلام .

تذكرت صديقي لوجود الذي لا تزال ملاعبه باقيه . ذلك الذي لم يصبح شاعراً كثيراً كي كان يود أن يكون ، ولم يصبح شاعراً من أي نوع . جاني مرة متعاً بشكره عاهه مع أبيه لمس الذي فتح عليه شيوخه نواحيها وأرواها ، وكيف عك عنه مرة كل يوم إلى المستشفى يتلقى العلاج ثم العودة إلى البيت في محبة بانه لتأجل الموت المؤكد . ثم سكنت طويلاً وقد ان الأسابيع كانت تنكس كثيراً لو جعلت منذ بدايتها الغلة وليس الجرح وسبباً للإحباط . لو كان ذلك قد حدث لتعددت "ممر" كثيرة "فينا" له إلى تكون هناك ضرورة لثياب ، الفاضلة على الأقل ، حر حصون المرأة ، ولا تخشى السمع والذلال ، ويتهب أحد كتفه ماضية ، وأمثال شعبية لا قيمة لها ، وكانت المرأة ، التي تستعش حلزة أن عطفها لها لرجل قبلة في أي وقت ، كانت ستدعه يسحبها إلى الرجل بسهولة . ولا بد أن كلمة "سافح" مستهني من المعاصم لأن المرأة الوحده يمكن أن ينفذها أكثر من ربح في أديم الواحد . وبالطبع ستخفي جرائم الاختصاص ، ويصيح الزواج أنه مهمة على وجه الأرض

قال ذلك كله بسرعة ، وعلى بظر أبي واسع العبير ، ولا بد أنه كان يرى مقدار انعكاس حواره الفصحى . على وجهي لكن بدوت بارداً جداً وقلت جهوده

- بالنسبة لفرص أريك كان من الأفضل لو أخذت الانسانية صد بدايتها نطفةً آخر . أن يولد الانسان شبيهاً ثم يموت طفلاً . في هذه الحالة كان الأبناء يستطيعون حمل الأبد بسهولة إلى المستقبلات . بل وفي صابر ذلك عملاً جميلاً . وتذكرت الضحك الشرس لصديقي ذلك اليوم ، ولي أيضاً

- كان ذلك رائعاً بحق .

سمعت الصوت يعلق لي ذكرياتي الشخصية من جديد . أمسكت به هذه المرة . انه الرجل الاصلع المصطع بيني وبين ظهر الرجل الذي أمامي الذي بدا لي يعاني من مجهود شديد . وعاد يقول :

- الحقيقة كان يمكن لاتسان الحصول على منع أكثر لو سلكت البشرية طريقاً آخر .

لم أفكر أن أسأله ما إذا كان هو الذي سبق له الحديث فهو يجيئني بالفعل فكرت في قدرته العدة على الاستماع بأفكارتي وذكراياتي رغم عدم حديثي بصوت عالٍ لفظي أو لغوي . لكني أحسست نوع من الرضا بحده . وآخر عهدي به أي رأيته يسحب من بين الرحمان بصحوبة ، ورأيت يصل إلى الباب الخلفي ، ورأيت يلوح لي بيده الصغيرة بدوعي ، ورأيت يمشي يكاد يتدحرج فوق الأرض من مرط قصير ، ورأيت وادع الملايح جداً ، ورأيت الطيبة ذاتها عسدة فوق صفحة وجهه ، وأحسست بأنه شخص ودود ، وأبي أعرفه منذ زمن بعيد ، وإن صوته أليق إلى روحي ، ورأيت الثقبان مرة من قبل في مكان هادي ، حقيقة خالية أو جامع ، وكانت الدعوى تنال من عيني حزناً ، أو حناً ، فكيف أدن تقارون أبي فترت حلقه ، ورفعت من الأرض حجراً نزلت به على رأسه ، وأني رفقت جوار الجسد المشتم الرأس أضحك وأصرخ باسمه الذي لا أكرهه . □

## فيتامين «واو»

ناصر محمد الماغوط  
سوري

تجملنا من الحاسنين، ويؤمن بأن المسألة هي حظ وشظارة ولا تحتاج إلى صله منهم، وهي أبسط مما قد يتصورها البعض. نفس ما سبق ينطبق على الغناء، فلو حاول شخص يمتلك إمكانيات صوتية هائلة أن يسلك دروب الفن، لتسببوا المسالك في وجهه، وتشتعلوا له مسالكه البولية، وكسروا رجله إن رأوه فاعل نغابة الفنانين. في حين نسمع أصواتاً تنمق حولنا لا علاقة لها بأصول الغناء، تلهج بكلمات سريالية بإيقاعات من سوق النحاسين. ولو قابل شاعر ناشئ

بشعر أعظم الشعراء بموهبته، أحد هؤلاء المطربين وقدم له نصاً غنائياً جديداً وليقنع له به، لا اختار هذا الطرب كون هذه الكلمات ليست بمستوى الفني المطلوب!! لكن الحقيقة ليست هنا.. بل هي أن لهذا الكاتب شاعره الخاص الذي يكتب له ساعة يشاء.

أما بالنسبة لأصحاب الاختصاصات فتحكم بأصروهم وعصايرهم المصائدات والشواغر وليس الكفاءة فبعد أسد الرغبات يُدرّس مادة الديانة. وأساذ الديانة يُدرّس مادة الجغرافية. وأساذ الجغرافية يُدرّس مادة اللغة الأجنبية. ومدرّس اللغة الأجنبية يدرس الرياضة. وأساذ الرياضة يدرس الرسم وهكذا.... خليط عجيب والأمور تسير بقدره قادر. ولو فكرنا قليلاً لاستنتجنا من «الصفحة الأولى» بأن هذا الحفل الخطير لا يمكن له أن يكون عفواً، أو بمصادفة. بل أن شك هو جيت متعمد ومدرّس بعناية، القصد منه قتل الفكر والإبداع، وتزوير حيوية الوطن وحرمانه من وجود أناس يتفرجهم ويسمو للذكرهم. وبمرارة قال رسول حزانوف أنه إذا طلينا من شخص أن يُفكر من شخصيته، فيمكنه أن يقدم لنا هوية أو صورة عن بطلقة عائلية أو جواز سفر، لكن إذا طلينا من أمّة أن تعرف عن نفسها فإنها تقدم ما لديها من علمه وكتاب وموسيقين وفلاسفة الخ. فلهذا هم عنوان كل أمّة من الأمم.

بالإضافة جداً أننا نكرب عجزنا على الصعيد العالمي بتدعيم النظر إلى الكفاءات الشخصية عندما في مؤسساتنا الوطنية. بينما تروج المؤسسات العلمية في العالم بانخراطنا من المواطنين العرب. وكلهم أصحاب كفاءات مُكتنّنا من بناء المجتمع المتطور لو استندنا منها فعلاً.

لذلك أُنهي المواطن لا تدرس ولا تعلم نفسك فقد أصبحت الثقافة اليوم جديرة بالاحاطة التاريخية.. لأنها دخلت في دمة التاريخ فلنأتي اليوم مترنخين بكل ما يشبع به من حكمة دبلوماسية وتُعدّ نظر وإغاث متعمدة لما صبح له أن يعمل ولو حاجباً بورازة الخارجية إذا لا يكن عنده واسطة تدعمه وفضلون عليه لعلّاً يشعاً لا يجيد التحدث ولا حتى يلفته الأم.

بكل منتخب من المنتخبات المشاركة في الدوري، ويشاهد أيضاً للسلطات المحلية والعربية المروضة في كل شهرة ويكتب عنها في الليلة نفسها بعد العرض مباشرة ينشر ما كتبه في صحيفة اليوم التالي والتي تطبع في الساعات الأولى من الصباح.. وهكذا. وبين الشرة والفتنة، يمر على الكلمات الملعنة ويلقي نظرة غشج على آخر الاصدارات فيها ويُنقّطُها صمعاتها ليلخص انطباعاته عنها، وتُفحصها ويُقدّمها لنشرها في صفحات النقد من الصحف.. ومثل هذا الكاتب والمثالي، الذين يتكبرون حق النشر في الصحف وغيرها من وسائل الاعلام. بشيخون الفرصة أمام أي مبدع ناشئ.. ولو كان موهوباً أكثر من للثني، لأن النشر هنا يتم وفق قاعدة وحك لا لأحد لك.

التي هي بالنسبة للمثالي، فهو هذا الأمل صغيراً بالتواضع والحيطة واسطة، فإذا كانت أدوية فلا تشك تسجيل منه نجماً يكتب له القصص وتُفحص على شخصيته، وإذا كان هو نفسه شاعرًا، فسوف يباشر بنفسه كتابة القصص والإخراج، ووضع الموسيقى التصويرية لها.. وسيفي ويرقص ويمثل مثل عماد حسني أو نادية الجندى، لأنه في هذه الحالة سيحصل على أكبر مبلغ ممكن كونه المؤلف والمخرج والموسيقي والممثل ود.. الخ. ثم يصيره إلى منتج سينمائي وموزع علي..

فيتمز واحتملنا إلى هؤلاء المرفقين ويقول: إني لا

■ إذا كان سوء الطالع قد أتى بواحد منا لأن يكون مبدعاً في مثل عالمنا العربي الذي تميز في ظل ظروفه غير العادية، فيسجد نفسه أمام أحد خبايرين: إما أن يضع نيزاً حول رقبته ومحتوي مع الأصابع على الثقافة ويصنق ويصنف في الصباح للأشخاص قد يُخلّص منه في ليلته أو يهضمهم ويصنق عليهم، وإما أن يكتب ما يجود به قريحته ويظهر هذه الأوراق ويصفاها في أدراسه ويحرب قصصاته. ليراجعها كل فترة ويعدل فيها، ويلقي بعضها إذا غير رأيها فيها.. وفي حال لجأ للمبدع إلى الخيار الثاني فسيفسح سمنوراً يرأب هذه القصور النامية على جدران الثقافة بكلفة أجسادها وفروصها. فلنكي يكون المرء كاتباً معروفاً عندنا، فيجب أن يكون له واسطة في أحد أجهزة الاعلام المقررة أو المسووعة. ليشر من خلالها ما يقضي به خاطره من عقالة أو قصة أو قصيدة أو مسلسل بدوي في حال ما إذا كانت واسطته قوية لدرجة إيهاله إلى التلفزيون، ليشبع بالقروش التي تعود عليه من جراء نتاجه بعد ذلك يصيح الكاتب ولوراء ذا قلّم معروف، ويمز ويقيم التذوات الثقافية، وإذا تشجع الكاتب قليلاً وكان نشيطاً فسيفسح بروسه أن يكتب الأشادي المعاطفة ويريا يلحها للمطربين الناشئين، ويُعدّ ثم البرامج التي تهتم بمواهبهم لإظهارها خوفاً من ضياعها، وتُصنّف نفسه عضواً في لجان التحكم الخاصة بهذه البرامج الخ.. ثم ثم في أوقات فراغه يُفكر المباريات الرياضية ويُقلّم عليها ويهدي رايه

صدر حديثاً

## الاتصالات والمواصلات في الحضارة الاسلامية

يوسف أحمد الشيراي



وتجنيده لهذه المحسوبيات والتزلفات والاستزلامات: فرغم كل ما نفعه على الرياضة لم تسمح برعاية عربي يستطيع أن يركض ٥٠ متراً دون أن تسمح لهاته كالتشخير. ومع كل ما لدينا من إغاثات، لم تسمح بمذبح خارج حروفه صحيحة. كذلك الأمر مع صحفنا ومجلاتنا... وخصيتنا العلمية وما فيها من أجهزة حديثة للغة مستخدمة من اليابان وأمريكا، ولغاية اليوم لم تسمح بعالم عربي استطاع أن يحل معادلة رياضية من الدرجة الأولى، أو يجد طريقة لكشف حشرة سوى طريقة التفتيش بالشمع المحيط التقليدي. لم يصلنا علم بمسؤول نظيف نتمتع به، في كل هذه الوزارات والمباني الحكومية والمعاهد السياسية. ولم نعرف سوى أولئك الذين يدخلون إلى عزائتنا حفلة عراة، ويخرجون منها سراً كالحمول. من الذي يروج وهرق عيشه نتيجة هذا الخلل الحظي؟ لا شك أنه الإنسان الشريف النظيف موهوباً كان أم حادياً. فما عاد بإمكان أحدنا مشاهدة مباراة رياضية أو الاستماع إلى أغنية أو القاء نظرة إلى جريدة أو مراجعة

ديوان شعر دون أن يرتفع عننا ضغط الدم... ومن يقي بكفالة مسؤول أو غلط؟ المسألة في حقيقتها ليست تصوراً في العقل العربي عن العقل الأوروبي أو الأفريقي وإنما هي حرص على التنخلف الذي طمس فيه منذ بضعة مئات من السنين ولا يزال. فما من إنسان في مجتمعنا من أصغر مسؤول إلى أكبر قائد في البلد إلا ويعرف أهمية مبدأ الإنسان المناسب في المكان المناسب. ويلهج بضرورة عطية ويسدي أسفه لاعتدال العمل به لحساب مبدأ المحسوبة والاستزلام والشفقة، لكن من القادر على تغيير ولو غير صغير؟ يمكن أن ملكاً استدعى وزيره وطلب منه تصبراً عن الفوضى السائدة في المناسبات والوظائف، وتعين كل شخص في غير مكانه المناسب، فما كان من الوزير إلا أن اقترب من ابنه الملك وحس فيها بحيث: قل لي يا مولاي. لو عينا كل إنسان في مكانه المناسب. فعمل تنعفه اتنا - أنتم وأنا - سنفي في مكاننا للملئين نحن فيها اليوم؟ فما كان من الملك إلا أن ابتلع كلماته وكف عن السؤال □

## الوطن العربي رحمة الوطن العربي نقمة

حسن مشري الفرشيشي

تونس

والكبير، المرأة والرجل، السكران والنصان والتامق، التلميد والمراهق والتلف وصاحب ربطة العنق الزينة والناترة، التافق والصادق والزنديق... وهؤلاء في الحقيقة لم تكن البلاد العربية لتجد طريقها إلى أفراحهم لولا أصحاب القلم وأصحاب الصولات والجولات والثقافة رغم ما قيل وما يقال وما سيقال من كونها كلمة نابعة من دمهم وطهرتهم. ويرغم كل شيء ويرغم الدم والظفر، على ذوي القلم وذوي الصولات والجولات والثقافة، هم الذين أدركوا فهم هذه المبررة وهذه الروح والمخصوص هذا الانتفاخ المضطرب للمعذب الصامت الذي بلا حول ولا قوة

وس لا حول ولا قوة له فهو كاليت، وجوده كعصا، وإن وجد فهو كهيبة الأعمام، بنام في الزريبة ويسرح في المضارب والتلال والجبال، وعندما يسبح يتز صوره وحليته يتسجم لحمه... من التسيب الأول والأخير؟ حتى أصحاب القلم

ما أكثر الكتابات الصادرة من هنا وهناك، من كل البلاد العربية، ومن لندن وباريس ومن كل شبر يعين من راحة الحبل العربي. أغلب هذه الكتابات، آلى أصحابها على أنفسهم أن يلتزموا بما يسمى «بشعر» الحلق أو «شعر» الغضب في خريطة أو موطن أو قطعة أرض واسعة وعريضة اسمها البلاد العربية أو الوطن العربي... لهمها عشرات المرات وربما مئات التي قرأنا فيها وسنظل - في الصفح والمجلات التونسية والسورية والمصرية واللبنانية وغيرها - بلا استثناء من بلادنا الشاسعة، في الصباح وتشريرين والظهر والأعراش والشرق الأوسط وفي النافذات بالذات، في الكتب والأشعار والقصص والروايات والدراسات الصادرة في كل البلاد - لأشد ما قرأنا كلمة الوطن العربي أو البلاد العربية مدونة كالوشم الغائر عند كل صاحب قلم أو ريشة أو فنان، فضلاً عن وقرتها وزعمها في اللغات والمندبات والتفتشات والمؤامرات، على لسان الصغير

والصولات والجولات والثقافة... هم الكارثة المتكررة كل يوم، هم العازفون على وتر الاستبلاء والافتراض التدرجي...

من منّا على الأقل إلى حد الآن عن كاتب ذكر ساسة بلاده بقى أو بسوء؟ من منّا عن الكتب أو الشراء أو الفنانين قِيم أو سعى لتقويم أوضاع بلاده أو قلمه الصغير؟ من منّا عن الكتب ذكر في مقالة أو قصيدة أو قصة أو رواية اسم بلاده الصغيرة وقال بأن فساد من فيها زاد عن الزوم وطمع به الكل؟ من من من الكتب لم يتوقف في كتاباته عند عتبة الاستقلال أو عتبة انقلاب أو عتبة الشؤون الاجتماعية أو التفاصيل اليومية التي لا تشع الجلبع ولا تروي العطشان؟ من من من الكتب لم يرفع الرمز إلى درجة الأغايش وتشتب ذلك مدرسة وإبداعاً؟ من من الكتب لم يعمم ظاهرة بلاده عن البلاد العربية وحسب ذلك «العلم» للعلمة وإنكأه للوحدة وسياً وعشفاً في الوطن الكبير؟ من من من الكتب لم ترتعد رعايته ورأياً بال في سروائه لمجرد شبه في أن رقابة ما ترصد عطاءه وتشتب الشراك لطله أو غناه؟

لماذا أيها الكتاب تمشزون من قساة شاحسة وغريبة، ماها في الخليج وماها الأخر في المحيط؟ تدلون الساسة الساسة هم أم البلاد دون أن تسموا قساً أو أسداً أو ملكاً أو جنراً باسمه أو حتى بكيته! لماذا تخافون من ظلالكم؟ لماذا تتوقف كتاباتكم عند استقلال بلدانكم أو الفلانتا جبر الانكسار؟ لماذا التزمير والإغياش لشراؤناكم؟ أتريدون أن يصبح الواحد منكم لمجرد كتابة مقالة أو قصيدة أو قصة أو رواية، مركز البلاد العربية، يقول كل بلد نحن المنصون، نحن أفكاره وديموره وأبطاله، الحرب هنا مثل الحرب هناك، نحن حي من أحياء العرب، يا لكاتب المهام والرجل القدماء، لقد وظف الإغياش التاريخي لتقويم كارثة مقبلة، لولا ما عشرين على موضع الداء ولما انتشعت النعمة من على صدورنا... أياها الكاتب بشي أصنافكم لماذا فهو أنفكمكم وأنتم الأعوان؟ يا أصحاب الصولات والجولات والثقافة، لقد سطعت شمس الصيف في زفكم وتضطن الجليار في ضلكم وسوس العيار في حرايطكم.

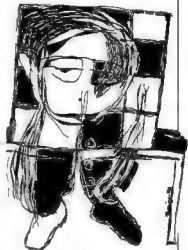
إن أدموكم اليوم، وأناه الذي لم يُلن في الناس يوماً قصيدة أو طبع مرة كلمة أو كتاباً، أدموكم جميعاً أن تجربوا ولو مرة لذة السجن. أدموكم أن تكونوا المداوعة المثالية في بلدانكم.

أدموكم أن تقفوا على حمله واحد بالمليون منكم لو جرب كل منكم هذا في بلاده الصغيرة لاطنوط السافة على نفسها والتحتم بغداد بموريتانيا والقاهرة بتونس والأهر بآريزونة والغفس بمكة وأناه بلاده... ولم؟؟! العهد إلى المسجد التليد من جديد... □



# مرافعة رأسمالية عند جثمان بروليتاري

عبدالله الفرجي



خوارق، اتساقية حلي عليها، انتفاذ الجنس البشري، جشع، أنانية، ظلم - فإنه ليس مهماً على الإطلاق. طالما كان الجميع مشتركين في الدائرية البيضاوية - الموت والولادة - دائرة، النوم - الاستيقاظ - العمل - الأكل - العمل - ثم النوم - دائرة الموت واللا جدوى كما يراها (أثير كامو) والتي مهما بلغت من الضاعمة فإنها تحتاج دائماً إلى عوامل "لا تسمر" وبالتالي تبقى الحقيقة المرة هي أن هذه الدائرة معرضة ولا مناس من اكتشاف إحدى السبل لكي تكون مفتوحة بالاستمرار فيها وهذا سيكون الصبر مروراً ومفهوماً، وبالتالي لا مجال لأي استغراب من رفض التعليم بسياسة السادة أو معارضة الجوع.

ومن هنا يتبدو غداً في الصحف، أي مفارقة بين حياة وأخرى بين بعض الأحياء وأحياء أخرى، بين الشعوب التي تفصل أحياناً علمية ولطب تكنولوجية (كوببيوترات)، طائرات، قنابل نووية وموسيقى تعرفها آلات التكرارية وهمازون من ذوي التعامل العالي، وبين الشعوب التي تفصل الاستمتاع بالسرور والشهوة والرفق تحت ضوء القمر أو عارسة الحب في أكلواخ حشيرة، طالما أن الجميع يتحدسون في الدوران في نفس الدائرة وأن الفارق فقط أن الشعوب (المختلفة) لا تولي الترتوش اهتماماً كبيراً، وتحيد الاضطجاع تحت شمس دافئة، على صنع مدققة كهربائية، بينما يصر (المتمدنون) على اكتشاف حقائق مصحكة كفتاوش الحذب ودوران الأرض حول الشمس وما يجري في المربع واستخدام وسائل قتل فعالة ووسائل نقل سريعة في محاولة لجعل زمن الدورة يبدو أكثر طولاً عن طريق تكثيف الأحداث وللشاهدات والتع وعرضها بصورة أسرع إرضاء لحمار الطائفة التي يفضل ذلك على منع روية أخرى كإكعام الفقراء أو السادة

غير أن هذه القروق لا تلغي جوهر الدوران الواحد وقائمه وشرطه وهو البحث عن أبعاد والاتساق بما رداً تبدأ من بداية بسيطة وهي لا بد لنا أن نقرر وجود الإنسان بصورة مرعبة يكون أهم نتاجها الرضى عن الذات ورضا نصف إلى هذا التفسير بعض الأمالي ترتفع عليه بعض القامسية، ثم تصعد من هذه القامسية حتى نتجملها خارج حدود الفكر البشري، ثم نترنم مترلة الألفة فنشر بأعظم أنواع الرضى المخدر اللذيذ دون أن يسمع ذلك بعض أولئك الذين

لست أدري كيف اعتدنا أن نحيا مغفلين باللباس أو بجلودنا حتى أننا لا نملك بعد ذلك إلا إغواء أشبه كثيرة، إغواء الأجزاء التي يجب أن لا تظهر. ولو غرقت الرافق فحاة وبرر الموضع في الدمول - مصطرب وقرع أحرس اعطر ويبدو اعله شد هولاً توسقط

الخلد، أو أصبحت عيوب قدره على خرق الحب، خيل لو أن حيثك قلب مجور بعض، وطعمه يسير بلا توقف من العم إلى المرح

إذن، عيب فح الأسفل حين تجرد من ربه شفه، عيب فبهنا حين نلوح لأمن عراة أبعسا أكد من المخذع والمذاع فقط وروسيا كان بعض البذين يحشرهم السارح (نيرون - حكيبر خان... فصحني عبرها عن صنع الأوامر أو "الاستعداد سرب بعد صنعها، فبات لها حقيقة سافرة بلا برقع. وبنا كنا صحتين للخلعة صحر مرمية ونظرات نافذة، انتزعت منها براقع الأوامر مرة واحدة ومزقتها فتجل لها الإنسان عارياً بكل ما فيه من حقيقة كانت متلصقة بأثرع الأوامر (الأساطير، القيم، الأهداف العظيمة وريا الحب أو الجنس أو... عتدها بدأت المسلة (نيرون) لم بعد يرى أي أهمية (روما) مدينة الأطفال، الذمعة الكبيرة، رأى كل شيء عالمياً من المعنى ولا داعي للاستمرار في الملهة. وهكذا أودت خطوات الضمير للقاحطة ببيرون وروما وهكذا فعل بقية الحق على مسار التايوخ.

ولكن تكون قادرون على استماع قوتنا وإخراجها من دائرة الرضى إلى الرضى عن هذا العالم - وكثير ما حولنا بها في ذلك قوتنا - إننا كما يبدو نحتاج أسباً إلى ضربة حظ وإلى أخلفة لستر الواقع عن أوامر ونحوالات حيلة.

نعم، لكي لا تصاب باستغراب البعض من صبر الآخرين على الدوران كحمار الطائفة أو دلاء النواهير أو مدحرجة الحجر (كسيزيف) مهما يحدث بين تقضي الاطلاق التي نسمي إحداها النهاية أو الموت مهما كان الذي يحدث بين التقضي (البداية والنهاية أو الموت والولادة أو نقطة الاطلاق في المدار وتقطعة الوصول) مهما كان ذلك - بطولات

كاتب من إيران



يضحكون بخفت وبصمت وسرية بالغة من الأصنام وهم يجمعون من حولها ذراهم السذج أو تراكتات العمل التي تحسها سدود التوزيع كما سهاهم (ريكاردين).

قالوهم إذن، هو السر في الفتنة والرمي بالاستمرار في تفسير الظواهر وحل الألتاف وإفناء الأيام، لمصاطفة ركام المعلومات والتي لا تنزل إلى البوم غفلة في بحر عظيم لانهائي أو كما يفعل البعض بسهمهم الذؤوب للتخفيف من الحالة الفردية التي عد الإنسان، عن طريق اعتياد الرصدا الأخلاقية التي تتروق لنا كثيراً وروياً تذف دموعاً غزيرة عن أولئك الذين سقطوا شهداء على طريق تجديدها في سلوك الإنسان وقلوب البشر المشتعلة بالفريزة، دون أن تحقن تلك التصحيات أي نجاح لحد الآن. وإن أولئك الذين يمحون تصحيحة النسخ (التي رفع إلى الساء بعد فشل محاولة قتله أو بعد قتله من قبل أجدادهم) يتناسون أنهم يقتلون كل يوم ألف مسيح لدوافع مشابهة رأي الحلة لفردية التي تجعل من القيم عبر ثابت ممرى بالنسة لنا إذا كانت تحقق مصانعنا، ولهذا فإنها مفروضة من أولئك الذين لا تدبر عليهم بعض الأرباح وأولئك الذين يتوهمون أن تسب لهم خسائر، ولا نظن بهم إلا الفلسوسفة حتى السوت هذا ما يسميه البعض (الديالكتيك) أو حركة التناوب، أي الصراع بين جماعة مترفة مرهقة تحاول الحفاظ على رعاها ببقاء مشروع غير أكثرية مستغلة بنسوة ثم تدفعهم قسراً إلى التحول إلى طبقة ثورية قاعرة على اقتناع بعض المتعلمين أو المغامرين الذين لا يبالون بالتضحية بأنفسهم. ولو عن طريق سباق السيارات إلى حفلة إزاحة أولئك والقيام باستئلال آخرين بدلاً عنهم.

بالطبع، ليس من الضروري أن يكون النصر حليماً لأي من الطرفين، ويتبقى كل الاحتمالات قائمة، لكننا نستطيع الحزم بأن الحاسم هو الشرير لأن المتصبر سيقوم بكسامة الأحداث وروايتها للأجيال القادمة والتأليه. كما يجب أن لا ننسى أن هؤلاء لا يصرون على الاحتفاظ بنص المصطلحات أو الأساء عند تولي الأجيال، إذ يلوح أن الإنسان مضطرب إلى تبدل كل شيء: لفته ومصطلحاته وأزيائه وأديانه، كما أن بعض نافذي الصبرية ينتمون أو استطاعوا تغيير حقيقةهم ألبساً ولكن لا شك أن ذلك بعيد النال.

وهكذا تتوالى دورات التأليه أيضاً، لكن تبقى حاجات أساسية ثابتة لا سبيل إلى تبدلها الجسدي، الطعام. الح. تبقى لطبع هوية الإنسان بطابعها النقي والضعف حقيقة الإنسان (الفردية) مها حول التائن والأعضاء بلباسه أو انتقاء كلياته أو المتناظم، وغير ذلك من المفاهيم لكاذبة الضرورية لاقتناع تلك الموجدات بأهمية وجودها التافه وقسوة هذا الوجود. ويتبقى ألبساً حافزاً هؤلاء لمصارعة سواهم تستمر الدوامه وتستمر العمة عاطفة على قدرتها على الألتارة.

ومنا يجب بكل إصرار أن نعيد المنطق والاستلاولات من الأهداف الصميمة بدءاً من ثم ماذا؟ إلى آخر أدوات الاستفهام لأنها تنسد كل شيء. يجب أن نبقي مقدين دائماً بالرغبة بتحقيق الفوز وان لا تنمدى هذا الأطار.

أما بعد تحقيق الفوز أو ثم ماذا؟ بعد تحقيق الفوز؟ ذلك ما يقتل المتعة، يجب أن يحقق الفريق (أ) أكثر قدر من الأهداف على الفريق

(ب). وينتهي الأمر عند هذا الحد، لا داعي للتساؤل عن علة الحري وراء الكثرة، إن لحظة منقذ تزدني إلى غرق اللايمين ولشغافهم بعد ذلك بأشياء أكثر جدية. وهذا يعيدنا إلى بداية الدوامه، لذا لا مناص من اعتبار إلفان الكثرة على شيك للفريق الآخر عملاً مقدساً يستحق كل تضحية، وإن أولئك الذين لا يشاركون هذه النظرة إتيا هم أغبياء وحقي وشريرون

ولهذا فإننا نجد عقلاء من هذه الشاكلة يقتلون بعف وحشية لأهم فضوليون وحقي، يزوجون أنفسهم فيما لا ينتمون ويتدخلون في نزاعات المجانين، إن بعض الأطفال حيناً يمحهم لون الوردة الحمراء للموضوعة في ألوان خرافية نادرة، فإنهم يبادرون إلى التقاط الوردة دون الألتاف لما سيجلب بالمزهرية، هكذا حال أغلب الناس عندما يتعلقون برصاصهم فهم عندئذ سوف لا يفكرون بها سواها. وبعض النظر عن الضرر الذي يسبب الآخرين من جراء تحقفا، وهنا يتدخل العقلاء أو الصالحون لإيضاح الأمور أو لنع الناس من إقناع الضرر بأنفسهم على طريقة منع ذلك المبحر من غرق السمكة لكي لا يغرق الجميع.

بعد ذلك، سوف لا يكون غريباً أن يموت الصالحون على يد أولئك الذين سحوا لاقتناص، تلك هي الحقيقة؟ التي على صورتها يجب أن تعامل وأن يمنع العقلاء وس على شاكلتهم، من الخروج على القواعد وان يتحولوا إلى الثقة الباشرة في لمن الأوكتر! الأساني العظيم. عليهم اليد بالعرف والإشياء أو الرقص ليس المهم أن يكسروا مقتضيات لأجى عقلاء، والتدخل أمر خطير، يجب مقايضته والتفكير منه لا بـ. بعد كل شيء. إن العقل يقتل صاحبه أولاً ويحمله يفسر بجماعته. وإن هؤلاء واسعة تطرحه على الصالحين وهو ماذا سيكون مصيركم لو أصبح العالم كله على شاكلتكم؟ لا بد أنهم عندئذ سيزنمون لأن المطاة والعصر سيتكلمهم وسيضطرون لنشر الصالحين من ذوي التأهيل العالي بحاجة إلى وظيفة وهم على استعداد لقبول وظائف في المستعصات الفاسدة ولو كانت في مناطق نائية كالبريخ وبعد ذلك ربما لن يحصلوا على حل، ويضطرب بعضهم وسبب من أرواحهم الطيبة ويتألم الحسة إلى خلق الفساد هنا، لكي لا يبقى زملائهم يستحون في مقايض وأزلة الفن الفاضلة.

إذن، عدنا إلى ما بدأنا وعليه الرضى بوجود الفساد كما أن لا نسام مصالح الصالحين، وإن تسمر في استهجان قتلهم وإذاهم، ولكن علينا أن تمنعهم أيضاً من أن يتجاوزوا موقعتهم ويتحولون بدلاً عنا إلى سلطات وحكومات تأخذ على عاتقها عملية حلب ملايين الجبابا لتعيش هي مترفة بدلاً عنا، هذا الصراع بيده الطريقة صراع مشروع من وجهة نظرنا، ولكنه يجب فقط أن يكون دكياً وان لا يؤدي إلى توعية العبيد ودفعهم إلى تصديق أرواح الطرف الآخر، بل علينا أن نتجح في إعطاء حبسنا وأرواحنا نكهة جديدة وطعم جديد يلائم كل الأنواع وان لا ينقل تطوير السباط ومقاومة هؤلاء الذين يسمون أنفسهم صالحين، بل على الأقل بإعطائهم بعض التكمكة ونفهمهم إلى مصلحين وموظفين!! عندئذ سيتاح للجميع الاستمتاع بالثمة وان لا يجرم الناس كل الناس سعادة الاستمتاع بلوأمهم مها كانت، لأن الإنسان بلا وهم حقيقة وحقيقة بالسة فقط. □

**الذين يعجبون  
بتضحية  
المسيح  
يتناسون أنهم  
يقتلون في كل  
يوم ألف  
مسيح**





# بعد صمت الحدائثة

يوسف بزي



فيها، ولا تنوءات، ولا فراغات. هاكتفت نفسها من نفسها ولغسها. وكثت عن الاكتشافات، ملظاً أن كل ما يولد خارجها قادرة على حل مصادره وتطويعه وإبتلاعه. ويرة جديدة على كل متحول وكل ثابت، هي نظام الأصالة والمعاصرة. نظام التراث والحديث. أنها الحدائثة التي أبنت الماضي واستحوذت على المستقبل كما لو أنها الحاضر المستديم الذي لا يتبدل. البتة هي غارة الماضي وصورة الحاضر وناعذة مستقر؟

اليست هي، على الأقل، كل ما يتجادل فيه ويا وما يشترك عليه المتصورون والبدويون العرب من هواجس وأتواخ كتابية وسياسة وأسئلة؟ إياها هي حدائثنا العتيقة قد وثقت ربحها، القولاوي الذي لا يصدأ ولا يتبريه فساد.

وباستفاعة الحدائثة استقامت الكتانة الأدبية. أصبحت كتانة قائمة عن ذكره أدبها وصورتها، وبالتالي فإن كل كتابة صارت استحضاراً ذاتياً لـ «التراث اللغوي» لهذا الأدب، في عالم لغوي مشفق قاموساً وصوراً، قاموس مفرغ من التناول والالتباس ويجرد من أصوله التخيلية. فراغ يجلبنا إلى معنى لغوي بحث لا يستدعي أي مجال آخر، وبذلك فهي قاموس مشترك لكل كتابة، فلا اكتشافات جديدة، ولا صياغات مفارقة، بل بلاغة تلزم معناها الذي تحقق قبلاً وانتشر وتكرس. هكذا تتحول كتانة «الحدائثة» إلى تراصف لغوي شبيه بالرخوة التي تتوهم معناها دون أن تدل عليها ودون أن تقيم أي جسر نحو تلويل أجد أو تمحل أنصر. حدائثة شكل ونمط ناجز التركيب والنحو تنمّع كل آت من خارجها بمجرد أن تسميه، وبمجرد أن تستعيد مرجعيتها الثقافية، الوسامة اللغمة، التي لا تنضب. فلا ينحرف عنها ولا يفرج عنها أي نص، أي لغوي، أي معنى وإذا كانت الحدائثة الغربية تستمر بعني العام وبسعي الأنا الداخلية بل بتبني ذاتها، فإن حدائثنا لا تمل من مديح عليها ومن معازلة مستحلبها

حدائثة تنصف بالتوافق والانسجام واليقين، كما لو أن كل ما سيكتب ويتذكر هو على الدوام تمجيداً لها. وهكذا فهي تستعيد أبدأ من ألقها عالم جبهاتها وكتانها لتكتفي بمعددة لديوان شعري صلد في الستينات (..). أو بأن تهجو «مطر، مطر، مطر» أو

لقد ترسخ الانكسار الدائم في الثقافة العربية، يصحفها ومنابرها، لكل ما هو مستجد وطاري. لقد فعلت «الحدائثة» فعلها فلا موحب غويد جديد. فمع الشغف امدعش امدى لا يمل دسب، «اعدائه» لا مكان ولا امكانية لتدول الاحوال وتبدل

الأهراء بكفي ان ردد الصمة ذاتها عن أفعال والحدائثة العتيقة حتى محصل العلم والعمرة وكفى الله المؤمنين شر القتال إن الألاب قد كتب والحدائثة قد فصلت. فلا وجوب لعب، ولا وجوب طلب ليرة. على السيف الى الخوسن ن أسي حجاج الى فروش الى القاسم الى الباتي وسدوط وزي شعر وبل حر بسيد الألبالية الشهيرة التي تمحل، على مدار السنة، يوماً بيوم من أصغر صحيفة إلى أشهر مجلة، من أول نظر إلى آخر نظره، في عالمنا العربي الشاسع، كل الكلام الثقافي، وكل الموعم وكل المتناوين ولا شيء أجدى، ولا كلام أهم

«حدائثة» لا تكل من استحضار ذاتها والمتحفقة في التناويع، الذي لا ينتهي، والذي على استعداد دائم لبداية دائمة، حتى بعد المات، وحتى بعد الصمت، بل وحتى بعد التاريخ نفسه ثقافة دهرية، يحراسها وحاشيتها وأمراتها. ثقافة قادرة على الولادة كل يوم علراء، جديدة، لا زمن جرى عليها ولا عتق مر بجانيها ثقافة دائرية يجردارة. ثقافة استبد بها هوى التنازل والتواصل، وأصبحت نظاماً مهيباً من الرموز والصور التي لا تتغير ولا تقل النمو ولا تالية لها على استيعاب ما يأتي من خارجها

من يجرؤ على انتاج كلام مفارقة؟ من يزيح ويوسع المعاني على تلك المنقوشة؟ من يتلوى أو يشرع بصياغة رطابة جديدة؟ ان ما ستي بمشروع «الحدائثة» العربية قد تحقق واستقر بكل عبارته وانتائاته، والأهم بأسأله. إذ انتصرت انتصاراً كاسحاً لا تفره ولا نقصان فيه. والأهم أنها أصبحت هي والثقافة العربية ومركزها ووكيلها المعصري. فلها الصحف ولها كل جديد وكل تأليف، مل ولها «السناء» ومثلها الثالث، الواضح، المنتصب كإله. لقد أصبحت هذه «الحدائثة» كتلة صلبة لا تتبدل عليها، ولا مرونة



تصرخ دهم، زنايكن، خاصة، ثورة،...

نصها تنتج عن صياغة حاضرها، تنتج على التمدد خارج خطوط  
أوامرها، وقاصدها، التي حكمت بأنفاس والأصاغة والحرارة  
والعمرنة والثورة والثابت والاحتراف الخ. أسئلة لم تنكب  
فتح ذاتها على سؤال الآخر وقراءة الآخر. انها أصولية الحدادنة.  
أصولية أكثر فتنة وقوة من أصولية التراث. أصولية تعمل بدلاً من  
المؤلف في صناعته الانشائية، بحيث كل ما يديعه هو استعادة وتقليد  
وطائفة لأشهرها، ويملك لا يثبت كل مشروع نص أن يفتت عند  
حدوده هذا السبيل، ولا يثبت أن يتسلسل لألية تقنياتها الانشائية  
واللفظية، فلا يملك ذلك النص من الدوران والزوال حول عاونه كما  
لو كان في حلقة ذكر أبدية.

هذا هو صميم الحدادنة غير الملحن، لا تنتظر إلى المزي، إلى  
الواقع بل تنظر ذاتها، في مراتبها المنزلة والثنية  
انها سيرة القناعة العصرية، التي راعها، سقاء مدعش، بكل  
اجتهادها وقفاها، والتي لم تنجح إلا بحلجور أو ثلاثاً وبعض الحواشي  
الفرورية من مثال دمع، وفدسه. انها صيغة دروادة وأتباع، وبعض  
مشاهير.

اليوم، في ذروة الملل من التنايلات الأبدية في الكلام الثقافي، في  
فردية أزمة الفردية، التي تصعد ما يجمع الثقافة العربية ويرجدها،  
نشده بداية انفصالات قاسية، وشهد تكون عزلات تطمح للانحداد  
من سلطة الحدادنة، كما تطمح إلى التخفف من لونها الذي أبهىها  
طولاً. انه طرح من يتحرك نحو التجلص من أمهات التقنية الحدادنية  
وأنيها، لكنه في وسط ضباب السؤال، وفي تكراره، وشبهه وطبوعه،  
قد بدأ بالفلتان والفرجة مرة جديدة إلى الكتابة، إلى خاصيتها كحرفة  
وصناعة، كتابة تتوخى النظر في عالمها، في كينونتها، كما تتوخى ذاتها،  
لا شيء متحقق، بل كشيء قابل على الدوام للثبات. والاشتراك مع  
الأخر. وهي كتابة تصور وجودها، وتعمل لأن وجودها  
وإذا كانت الحدادنة قد اخترعت تسميتها كما اخترعت جسدها.

من قصيدة نثر كاملة للمرافعات، إلى قصيدة فاعلة جاهرة أبداً، إلى  
أدب، يصر ذاته ويقول لعمري. فان ما يحصل أو ما يجب أن يحصل  
في واقع الفكر في تاجر الفكر من الشعري، وفي تاجر الشعري  
عن شكله هو أن تبدأ الكتابة باستعادة نفسها وأتاعها المصادرة منذ  
حين علماً.

إن منابع الثقافة التي يجب أن تبدأ من مرحلة ما بعد الحدادنة،  
يجب، على الأقل نظراً، أن تجرب العمل لا أن تقلده. عالم غير  
مفكر، يكتنز مسرح الشعري، وسحر بدائته.

لقد حان الوقت، باعتقادنا، أن نتعرف بالفجر الذي كناكنا، وأن  
نبدأ بطرح السؤال الأكثر جذرية: الكتابة؟  
إن تزايد عدم الفهم الجاهل بين النص والقراءة، بين القاموس  
والمرئي، بل بين الشعري والثقفي، لا يدل على اختلال الاتصال  
فحسب بل يدل على تضخم ميتافيزيقية والحدادنة العربية ونيلتها.  
لقد شهدنا في العقدين الآخرين تهاوت آخر نصوصها، فمن  
غزلات قصاتي، إلى ثورات درويش إلى صوفيات وسوروريات  
أندونيس، انفلقت الشعرية الحدادية وعقمت. وانفلقت الكلام الثقافي

على عبارته الملتقطة والتي انتطبت في حروبها وفي مظاهرها  
الأيديولوجية  
إن الأساية الشعرية تشكلت بمعنى، والدوران كهرم فراءة، قد  
كشها عن فراغها من وطنيتها وانزاعها عن صحتها لزام صمت  
الجمهور المطبق واتشغاله عنها. فلا شكل لاختيار الكلام ولا جاذبية  
نقطة العنق. لقد انحصرت اللحظة الشعرية في صورتها الاعلامية  
والاعلانية على الأغلب.  
وبما أن الحدادنة وصلت على أن يكون حضور النص هو استحضار  
لذات «الشاعر»، ذلك «الشاعر» الوهمي الذي أصبح كلوكاتوراً  
ممتازاً، أصبح لزاماً في ثقافتنا العربية أن نسر سيرة شعراء لا سيرة  
مصوص.

يبدأ المعنى استحالته وحياة الشعر، واستحالته معرفته. يكفي  
أن نقول جملة متعمر أو موقوفة حتى يهضر تاريخ الشعر يرمته!  
حان الوقت، وجساراً أن نرشح بإنشاء تجربة جديدة. إن نلقت  
إلى المزي، إلى فن وجودنا، بل حان الوقت أن نتعرف بتقنا ( ... )  
أى سرد سيرتنا. البست السيرة لغة هويتنا وصورتنا؟ وبمعنى أدق  
اليس السيرة هي تعريف ثقافتنا وتقنياتها كذاكرة وتكلم  
إد ثقافتنا، وكنا يجب أن نحقق وتبني جسدها ونيلها المعوي  
وهذا الخيال بالسطح ما يثبت أن يتنصر داته، ونحدر إلى عو،  
إن ثقافة أن فن شعري عليه أن يتحرك إلى استلهام حياته إلى تجربة  
عالة القابل للنشج. وقابل لأن يقل ما هو غير تفكري، وما هو غير  
مكتسب بثنائكه. أي بمعنى أوسع أن نعيد الاعتبار للخطا،  
لاحتالات الخطأ التي توازي حقيقته وشرعيته  
الأزمنة، السبيل، البرج، إيكارياكتور، الطعام، الديكور،  
الأكسجور، شبكة كتابة، إكسجور، ليس الأمر مسرعة شعر، أو  
رسم حروف. بل مقاربة أشكال غير قابلة للخلود عند قابليتها للتبدل  
والتناقل. انه حوار الكتابة وعالمها الأرحب  
ليس المسألة مقصيدة ثرية، على الأخلاق، أو شروط مسرح  
يغيرك مشهد ونصه، بل خروج أشكال واستنباط كلام قائم على  
تقنيات الأحر واستعواذ ما يملكه.

نحن نلشدهم والتقدير كليب ونرى صوراً ونحس خيالاً  
اخراجياً، وعليه فان الكتابة من الضرورية أن تبدأ بالاستغناء من  
حلول تقنية جديدة، من المونتوراف، إلى تقنية الكادر، والإيقاع  
المختزل إلى التفصيل الاعراجي، إلى المشهدية والسيتاير، والنحت،  
والرسوم المتحركة.

إن «الأدب» الذي لم يحاول أن يرى، قد وصل إلى استلام كامل  
لغتيته ونمطيته وبالتالي فان الكتابة بأشكالها التاريخية قد بدأت بإزالة  
التصنيف الذي وضعته والحدادنة، وعليه فلنا أمام فرصة عودة الكتابة  
إلى قها، إلى مسرحها الواسع، إلى طبيعتها.

إن سحر الشعرية لم يعد قادراً على تقي سيطرته، وعلى استكثار  
الجملة التشكيلية، ولم يعد مقبولاً أن نرفع إلى آخر الزمن صورة السرد  
والحدادنية دون أن نتب لسرد طبيعة وجودنا في أبعاده غير الثقافية.  
إن والحدادنة (بمعناها الواسع) تتخلص في السبيل من لوث  
الماركسية - السالينية وما نحو إعادة تأويل لميخيلية. ... أو ماذا؟  
نحل نتخلص من سالبية الشعر، ومن استبدادتها في بالذات؟ □

ثقافة ذهنية  
بحراسها  
وحاشيتها  
وأمراتها

علي فروحات

٥٤ - العدد الثامن والأربعون - شهر (ذي الحجة) ١٩٩٧ - القاهرة

لم أنه وسوسة عقل باطني كما يقول دفروديه أم مجرد شعور بالذنب ناتج عن خطيئة كبرى كما يقول الكتاك اللغص.

عندما تكبر.. تضع حتى مجرد أعينها العفوية الطفولية وسط كومة من التفسيرات الناتجة عن نظريات مزاجية ملونة بصبغة عبد الشمس في المختبرات. □

بيمية. لعل لم أكن أعرف بعد رغبة التملك. كانت لي هي الشيء الوحيد الذي أمتلكه ولا أملك الاتصاف به مثل قشرة على جلد سمكة، وما أنا أحيا وحيداً أتملئ بخيشة الغريق تدفعني شجاعة البائس وقد حوسر.. فلم يعد أمامه إلا أن يجأ، ولا أدري ما إذا كان هذا مجرد انكماش شرطي كما يقول ديفالوف.

نبته وضموعها في أصيص داخل معمل وتركها هكذا ليحرقوا ما إذا كانت مستمرا لا.. كل ما حولي كان مختلفاً عني. وأبعد مني.. وأكبر مني.

الكتاب.. من المصار أن نلزمهم، أو نتحدث معهم، أو نخاطر في وجودهم أي شيء يدهأ من حذائك وانتهاء بحلاقة شمر.. كومة كبيرة من المخطوطات عثاً نتحت داخلها عن مباح واحد.. الآن عندما تمر بمخيلتي طفولي أظفيلها حلماً.. هفوات عقل باطني رمزاً مقننة التركيب.. بداية لفر الوجود هذا.

طقولتي.. مرت كصلي جراحية أجبرت تحت التخدير.. وبعدها زال مفعول المخدر كنت أحاول جاعداً أن أخفي أنني مريض حتى لا يطاني الكي. والان أنسني آثار الكي حتى لا يطاني المرض.

أصدقاء الطفولة.. أصدقاء الزمان لا المكان. ماتوا جميعاً رغم كون أكثرهم أسياء ماتوا أطفالاً.. رغم وجودهم كثيراً.. صور التقطتها عدسة فجمدت الزمن عند حدوثهم تلك، فناداهم الآن أعرفه ببرحه آخر وشعوراً آخر.

إذا كانت أمي قد حانت للمخاض والولادة مرة واحدة.. فانا قد ولدت لأكثر من مرة حتى الآن ومات أكثر من مرة حتى الآن.. أحرف ولادة وموت طفولتي.. ولادة وموت صباي.. ولادة وموت شبابي وما أنا قد ولدت ولا زلت أسياً.. الآن عندما أرى نفسي في عطف يسير على قلمين.. لا أحسد هذا الطفل بل أرى له.. عليه أن يجاز كل ما اجتزته أنا من عراقق وصيرتنا هذا.. وعليه أن يموت ويحيا كما فعلت أنا.. لئلا كان ومي كان.. سواء ولد على جسر بروكلين.. أو على جسر لندن أو جسر وادي الكورف.. لا تلبخ جدياً بلين أنه.. هكذا يقول الكتاك المقدس.. اتهمه بطريقة أخرى.

تجكي أمي.. أنني عندما ولدت في اليوم التاسع من الشهر التاسع قبل الحرب بسنة أو بعدها بسنة ولا أعرف أية حرب.. قد تكون أية حرب من الحروب التي تزخر بها والي تولد عادة على حوافها وتحت حوافها..

عندما ولدت في ذلك اليوم مرصحت.. وكانني لم يكن بداخلي ما يجعلني أفعل غير الصراح كان الصراح كان معي في أحماسي.. وكانني كنت أريد العومة التي حيث كنت.. وإن رسم أي أرحب من هذا الكون. عارياً ولدت وحالي القدمين، لكنني تعريت حقاً في اليوم الذي وجدت فيه كلمة وعيبه كل اللباس التي لبسها الآن تعريتي، عندما كنت صغيراً كان كل ما بداخلي وعاريجي عارياً مشوراً تحت الشمس، أما الآن فملكنا أن تنطفي جسديك بالأسيال كي لا تتعري.

لا لأكثر وأنا طفل أنني قد تعاملت مع طفلة ما رغبة

## على أبواب ١٩٩٣

### إبراهيم اليوسفي

ملحاحاً.. يقلب ملحقاً كلوكم راحة على فتي، تجتار في احتياذك وانت تبدل تكشيرة بائسلة، ويوماً جنتارياً يذقات قلب ملحقاً الحلم اللذيد.. !!  
- أها غرضاه لا أحمل.. !!

### تحولات:

لتسرب التجاعيد إلى الكلام هكذا، لأنك رجل: ما تبيل.. وما بعد لتستقم الخطوط وتضطرب... فلتست وحيداً على الحشيشة.. مادام النظرة يدمي صميمهم أقول المثل.. أه لقد غلخك الطغريسي طويلاً.. قطرة في الجسري السرمي.. لكنك:

ستظل على حدائك تومس الأشياء..

تراتب: أياها العام

هب اختباري معرفة

هب صوتي أنفاً

هب بلوغي حكمة

هب رجلاية الزئبق رزاة

أنا: سليل حطاك الغائرة.. أمه قهقهاتك.. ثم أله يصومتي سبماً خلف سبع.. اكتشف من معني البليد تنفض فراته الحموض أمام سخرية والألتيوم ويرجة عبد الشمس.

### تعريفات:

رجل لا تنتمه سوى اللحمة الأولى، أوبساعة التوربوخ في كفه.. يلوّج باه قصيدة، كانت أنثى تشكل ملاحها، وتزفل الصور بالأفلق.. قبل أن تجهد يتنايل علمتها الرواء، رجل باه بتقاليد الحممة.. كثيراً.. بشهر بكانه أي حل، لا يبيد سوى الصيرورة الرورية تناخي أهلاً ١٩٩٣.. ولكن.. تعال: تنضم من أول الفجاعة. □

### نحو ذاكرة جديدة:

أبيض الأس لم يعد أبيض، الأنثى والأجهاث والأسياء والتراكيل.. تيكلت، نكهة الشيء وحرارة التحية، الأصغقاء.. وهود الحشيشة.. التي غدا وحبها مجرد طيف وأخر!!

غير أن صوتك، لا يزال يتلغى كما كان، يصير على لإنمة واللكنة القديمة، حيث تصير على المن: أتت.. هكذا بسهولة لغة، فالشمس لما نزل للشرق من ناحية أفسدتها طرفة الشروق.. فالأفرو.. لا يزال مصراً على صباه الذي صعدت..

ديك الصباح تباغت سهاك بآذانها الموهود، ولساه متى ما انشجعت عنها ذك الفم تعود إلى أبسدها الزرقاء للثلة إلى اللجين أسيات.

ما السلي، يدعو الجسرة للتصديق إن.. لثياب الرجل المخدوع.. !!

ما الذي خدع الأمين بلوكان لم تطرق أبواب الحضور

### العالم:

لم أعد أعرف حدود محتي، يرتد السلام لي لا تناله لغة الأل تنسج غم الروح كثيراً.. كثيراً!! خارباً (كجسوة) نخربها مود الوقت، أبل الحلم.. وأعلق صور من كاترا حولي فيما مضى من حباً!! غريباً أهمل في الفاسقة تصيق بي الرحلة، والحليمة.. لا لاول: دنوراه مجازاً.. كريغيا.

.. ما الذي تيدل؟

أي اسم سأطلقه على الفرقل بعد هذا التحول، أي الصوت يلق بهالة الحفنة.. وأنا لا أتقن سوى أبجديته. ؟!!.. وحيد.. وتواصل استنك



# جمال القبح!؟

الياس الطروني

الحقيقة ان قصص المجموعة كما يقول مؤلفها: «ولدت خلال أكثر من أربعة عقود، كان لكل فترة هويتها الخاصة والعامّة» وهذه المجموعة تباحث مثل نوعيات مختلفة من أبائنا الذين اعتز بهم جميعاً، بعضهم ولد في ليله عاصفة. وبعضهم بقدر ما تشرت ولادته بقدر ما كانت القرحة يتخلقه كائناتاً هيأ كمالاً. لكن رغم التباعد الزمني في كتابة هذه النصوص وأربعة عقود، ورغم تشابهها لتناجى من نوعيات مختلفة، فإن رابطاً مشتركاً يجمعها ما يشبه الظاهرة، إذ نادراً ما يستطيع قاص أن يحافظ على نمطه الثابتة في مجمل نصوصه طوال فترة قدر هذه، فنكهة القاص حادة هي، وهي التي يتأثر بالسر والظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية الخ . . . بينها نجد ان الشاروني استطاع الاحتفاظ بهذه النكهة بصورة أكيدة وكأنه ما بين سنة 1949 والآن، كيان اثبات على ذلك.

البطل في النصوص دائماً هو ذاته. انسان قرية «شارونة» بالصعيد المصري الأوسط، يحمله يوسف الشاروني وينقل به من حالة إلى حالة، لكن هذا التقليل يبدو كثير التكرار لحدوثه، تثيره هي لكنه لا يتغير، قضى عندما يذهب القاص إلى التعامل مع مادة بعيدة عن أرضه، كما حصل في نعي «الثور شاحين» يتسول «والانفصام»، إذ تنور حداثتها في منطقة الخليج العربي ومسطه، حتى عندما ينتقل مسرح القصص إلى هناك يبقى انسان «شارونة» حاضراً إلى درجة أنه لو لم ترد في النصين مفردات تشير إلى الواقع المعيشي، حسبنا انها حدثاً في مصر.

المجد الشاروني استلزم هذا المنحى وتوطئه تثير قدرته على التحكم في زمام بنائية نصوصه من خلال وحدانية اساتة القادم من الريف إلى المدينة وضغني على النص حمية

والاجتماعية - التعامل مع المائدة الخارطة الخ.

بسبب عوامل كنهه برز الدكتور يوسف ادريس مثلاً في بروزه من ألق الشاروني، وهذا ظلم أكيد لأن تناجيهما على درجة كبيرة من التسوي والتوازي، ففي الوقت الذي ركز فيه ادريس على اسقاط الحالة السياسية واضحة على نتاجه، كان الشاروني يركز على الساحة الداخلية في إحقاق شخوصه، مشكلاً في ذلك حلقة وصل مع الجيل الذي تلاه، وتلك أهمية مفصلية لها الأهمية الأهم في تاريخ القصة المصرية منذ بداية المحاولات المتعددة التي تقابلت بين الحكاية والرواية التصويرية بجساث الانتقاس والتقصير القصص اجنية كتيّف، وعنايات تطوّر أدب القامة في التراث العربي، حيث نجد تلك المحاولات مثلاً في كتابات عديله التلمح وليبة هاشم وحايه ابراهيم والويلي.

حلقة الوصل هذه التي نتكلم عنها تكمن أهميتها في المعالم الأساسية التي تم نقلها إلى الجيل التالي وكانت السبب في الفقرة النوعية الحالية، فمعظم البارزين اليوم بدّلوا تجربتهم الأدبية من آخر ما وصلت إليه مستويات تطوير القصة المصرية على أيدي من سبقهم. وهذه المعالم الأساسية التي تشمل معظم إن لم نقل كافة النصوص القصصية الحالية تتمثل في (فن الوحدة والإحساس بالفرية والضراع والصراع الباطني، والتعزيز على اللحظات العابرة التي قد تبدو عادية لا قيمة لها، ولكنها تحوي من للماني قدراً كبيراً، وهذه اللحظات قصيرة ومتفصلة لا تلخص لتسلسل الزمن ولكنها تحوي للماني والحاضر والمستقبل).

إذا أخذنا كل ذلك وقارناه بنا انتفاه يوسف الشاروني لينشره في وعظائره تكشف انطلاق في مواصفات هذه المعالم الأساسية، ونفسك بالتالي أهمية هذا القاص في دوره كحلقة وصل بين جيلين ومن سبقه.

البطل هو ذاته دائماً، انسان قرية الشارونة

مختارات

مجموعة قصصية

يوسف الشاروني

رياض الريس للكتب والنشر - لندن 1992

■ نجونا نصوص «مختارات» يوسف الشاروني على المؤلف طويلاً، وسجدة أمام صناعة الكتابة القصصية، تلك الصناعة التسجية المتحركة بالغ عيط ولون جعلت من نصوصها الدقيق كلون أدبي أسراً صماً لغاية الآن، ونجعلنا سحس إلى نتيجة ان النص القصصي الجيد لا يرتبط بتطبيق القواعد والأعراف، واتياً بقدره القاص على التحكم في صياغة فنية نفسه وفق معطيات تشابك إلى حد تشكيل وحالة خاصة تخص كل قاص.

من الوهلة الأولى نسر يمكن الشاروني من فنه، وقدرته على تأليف نصوصه المستقل للرسوم بعلمائه الخاصة، فعل امتداد نصوصه المختارة من كتابات ولدت ما بين سنة 1949 واليوم، يقدم الاثبات ثلث الآخر على مدى الظلم الذي لحق به من وجود الدكتور يوسف ادريس.

مراجعة متأنية لتاريخ القصة القصيرة المصرية تكشف ويوضح ان هذه القصة تبلورت على أيدي الثنائي الشاروني - ادريس بعد ميلادها في حوض الفرقة الحديثة عقب ثورة 1919 على أيدي كتّاب مثل محمد تومر وعيسى حيد وطساهر لأشرف وكس حفي وابراهيم المصري وغيرهم.

وهي الصورة ذاتها التي تتيح على الجيل القصصي التالي لتثالي البورقة، وهو الجيل المنتج حالياً في مجال القصة المصرية كجمال النبطي ويوسف القصيد، ففي كل جيل هي وهذا ليس حكرًا على مصره نقرض بعض العوامل بروز كتّاب على حساب البعض الآخر (الواقع الصحافي - العلاقات السياسية

ومصادقية ما كانتا بهذا المستوى لولا بناء سرده بصيغة التكمّل. ويتأتّى اللّعب على هذا الوتر في قصة مثل والزحاجم حيث يظهر مدى استطاعة القصة القصيرة أن تجتسل من بأسورامية شاسعة تقارب الرواية في وضع عتظف، فالنص مقاربة بين القرية والمدنية، أهم ما فيه مرافقة المبدأ المترسبة منذ ولادتها في مهدها حتى تنجزها في البيئة المدنية، بأسلوب سرد غير منتظم وهفلاش ياكاته سريعة وفاعلة تلعب على التناقض في وقت يغم النص بصورة متلاحقة تجعل القارئ في وضع الرافض خلفها. هذا التتالي في الشاهد يتبع نغم التتالي ويغنيه على جوع في آن، لأن الإشباع هنا لا يمكن أن يحصل إلا من طريق الاستنتاج أو التحليل في اللاوعي. من هذه الزاوية يمكن لفظة مثل والزحاجم أن تفهم بعد وقت من قراءها، أو بعد تكرار بطيء. والضرب أن هذا النص، رغم أن كتابته حصلت سنة ١٩٦٣، يبدو امتونجاً لا يحفل تفاصيل اليوم اجتراسه، رغم فارق الثلاثة عقود، وفي هذا تذكير بحلقة الرّوصل الملوّح عنها في بداية هذا الكلام.

يفترب الشاروني من الآثون السياسي في قصة «الطريق إلى المعتقل». حيث يكمي حكاية المواطن المصري مع السلطة قبل سنة ١٩٥٢، والنص مكتوب سنة ١٩٥٠، فيذهب إلى كشف الشراسة دون ذكرها، وعن طريق تضخيم الدواعي. يصكّر النص بصورة للمواطن المعادي الذي يستغل قطاراً في طريقه لزيارة ولده المعتقل، ويحملنا طية هذا المواطن وعساوته في وضع للمحتالين إليه دون أن يوصلنا الفصص بالكد إلى باب المعتقل التالي. نستطيع الآن فهم طبيعة اللعبة الفنية من خلال تاريخ كتابة النص، ونستطيع تصون هذه اللعبة التي أوصلت القصة إلى هدفها بعيداً من الصخب والبشارة النجدة التي غالباً ما تكون مثل الكتابة في الغم العام.

يبقى الفصص في تعامله مع الموضوع السياسي في نص «المشاق الحسنة» للمكتوب أيضاً سنة ١٩٥٠، وهو تصوير لحالة الشباب المصري الخلف قبل الثورة. غلور النص من لحنه أو التوتر أنشئ عليه حالة ركود أرواحاً الفاص لتنتل إيمائياً صورة شباب بلا قضية. شباب ينتظر فقط. وكان النص كان نوعاً ما سيحصل من متغيرات بعده بفترة وجيزة.

ثم يتعلق الشاروني إلى الحالة الاجتماعية، فيصول وصوله، ونلمس خطابه واضحاً في قصة «نظرية الجلبة القاسدة»، إذ لا يترك مجالاً حياً دون التطرق إليه (كهرياء- ماه- صحة- تعليم- الروتين) بأسلوب الانتقاد المصري الضاحك فيسر إلى هدفه ركباً الإيساسة. هو هنا يستعير نمط والكوميديا السوداء من أهل الغرب. لكنه يستعير ما استعاروه في الأساس من تراثنا، أن في القناعات أو غيرها. ويولد هذا النص كأمونج صحيح لما اصطبل على تسميته بالكتابية الملتزمة، صراحة بموارية، ومباشرة بمدارة، ويكناه في الضحك. كل هذا في قالب لا يملك أسرار صناعه إلا التمكن.

ولكن إلى أي مدى يصح قول الكاتب في تقديمه لنصه: ... وبغضهم بقدر ما تعثرت ولادته بقدر ما كانت العرصة يتخلقه كاتباً كميلاً؟ وذلك في مقدمة الكتاب. هذا القول، ونلحظ ذلكاً فنياً كلاماً، يطرح مجدداً جدلاً في مجسم، حول امكانية خلق الكاتب الفني الكمال، بكل عمل يتخلو من خاتمة وحتى من نقصاته، وذلك من أسس طبيعة تركيبة العمل الفني، الذي هو وانحصار على شاكلة الإنسان الذي خلقه، والذي لا يصل إلى الكمال أو إلى الأسلمة الجسدية، هي تصوص واختارات، بعض الترسبات الروتية، النازرة والمتنثرة، والتي تبدو أحياناً على شكل كتل لاضة. مثلاً في نص ونظرية الجلبة القاسدة، الذي يعتبر من أفضل تصوص المجموعة، يأتي السرد في بعض المواقع عملاً ومطوفاً إلى درجة أن الكاتب نفسه يلاحظ ويحاول اقتفاء خطه فيقول كل لسان بطله: «هل تراه استطرحت؟ لا تتأخضه» (ص ٢١٣). ليمدة يفكر بعد قليل: «هل استطرحت كما في» (ص ٢٢٣). الكاتب هنا يستين الكلام من النص بكلامه هو بقصد الانعصاف وضع الطريق والتبيرة. وصادنا في ذات القصة، فهي تحتوي على طروحات فلسفية بحاجة إلى مناقشة أو على الأقل توضيح، تستلظ مساحة أكبر من المساحة التي منحها لإيعاها الفصص مثل قوله: «لعمل الطيبة تعبير مهذب عن الضعف» (ص ٢٢٠). هذه أوامره الاحتمالية لا تحتمل للفقر مباشرة فوها إلى فترة أخرى ما يوحى بتكرسها مسلمة. أو في استعياه لتشابهه صليقة «أبها كاي زوين ناجمين

كسرتي حداة ينفطسان ويتكاسلان» (ص ٢٢٣). أو في طرحه الحولر جتسرة للمشكلات الاجتماعية وللذلالة الحضارية. وتصفنا بكف عن استخراج افرازات- هلنا في الأماكن العامة- من قصتنا بجمع أنواعها (ص ٢٢٥). وكذلك فإن النص «مارنا في قصة نظرية الجلبة القاسدة» تصمص بحثاً في الشر وإشعر خلفه بسمة فلسفية لم يتصددها القاص بكل تأكيد لسبب بسيط، لأنها ليست في موقعها

وتعاني بعض النصوص من ضعف عضوي، قصة «الطية» التي ثورت انطباعاً بأنها نص بلا جسد، الزور الحديثة فيها، وحتى الأساسية منها، متباعدة ودون الحد الأدنى من التواصل، والسبب يكمن في الموضوع المعالج (التشددين والرواج) موضوع بارد على قلم الشاروني الحار، ولي مطلق الأحوال، لا أحسب أن غيره يستطيع معالجة بأفضل من فعل، إذ لا يمكن للدة النص الأولية أن تتسح أكثر عما اتجت. وصادنا في قصة العطوبة، والانتقال إلى قصة «الثارة نجيب لتصميم الفصص على بناء نصه مركزاً على مشهد مبسر، بل لا يرقى إلى درجة المشهد، بحيث لا يمكن بأي حال أن يشكل نولة صالحة لبناء نص قصصي للشاروني، ويتأكد هزال هذا النص بطلابه لنص طفولتي التي عاها موضوع، حيث تفتح الكتابة باستمالات لتعها المادية- الواعية على احتسالات غير محدودة، تملط السعي بمنهجيات عديدة فيرق، ويزيد من بريقه أسلوب التشادي والترابط الفرويدي الذي يبرسه الشاروني بحذقة وذواقة نجبر على رفع القيمة. إلا إذا كان المقصود من حشر تصوص مثل «الثارة» و«الانقسام» غير اللورخين، هو تطبيق نظرية د والفسد يظهر حسنه الصده. وينال الشاروني في عبارة طفوس نقشه من تحك من خلال تحميله لنص مثل مصرع عباس لعلوه أسلوباً تقريري إخبارياً

الفهم بكل ما كان يمكن له أن يتبع من ضرور. هذه القصة تبدو أقرب إلى الكتابة الصحافية التي تشد التشويش عبر الكشف والاخفاء، وتركيب عبارات مكروية، رغم أن سلطة الفصص في النص متمسكة إلى حد امكانية استيعابها أكبر قدر من خبرة الشاروني في الناوره القصصية، إن من حيث الموضوع المطروق، أو تنوع الشخصيات وتحركها،

## ◆ فلاشات سريعة وفاعلة تجعل القارئ يركض خلفها ◆



الشاروني إلى هذا النمط من الكتابة، بأنه ردة فعل تحمل كل مشاعر الخيبة والإحباط والفرق على توقيع معاهدات و«كامب ديفيد» علماً بأن التصير كتباً بعدها، ولا بأنه من قبل المواقف المناهضة للإمبريالية العالمية.

لنقتني القصة الأخيرة في المجموعة «الطاريث». يروينا القاص يتأكد كلي على حصوها في قرينه (الشاب الذي يدخل إلى القصة ليلاً لفق مسير في جدارها تحدياً لغاريتها ولرفاته، ويتم العثور عليه صباحاً وقد مات من الحرق بعد أن دق المسار في ثوبه. تلك قصة معروفة في التراث الشعبي الإنساني العام، وفي لبنان على الأقل كتبها أكثر من كاتب.

تحلّق بعض قصص الشاروني عند القرباء من المم العام كما حصل في قصة ونشرة الأعياد وهي قصة إيهاب من في القاهرة على مكانه خلال الاحتفال بمرس، فبالرغم من حداثة النص يستطيع الشاروني رفعه إلى شاعر بإدخاله صورة القمر الصناعي لإظهار التنافس بين عالمين، ويستطيع إيصال النص إلى اللعنان بلسنة وحسنة. وكما تحلّق النصوص المقترية من المم العام وتلمع، نجو قهوة تلك المصنعة عنه. وكما يورف الشاروني كاتب ملتزم، ترك العصب لثوبه، أما الفصل فله هو. □

يسألون ويسمّون؟ حتى لو كان كاتبه يوسف الشاروني أحد شيوخ القصة العربية، عندما تكون الكتابة هي بطلته وكرتونه، فهي الصفحة ٩٠ وصف مسهب للبرق والبرق لا يستخلص منه سوى القرف ومرادفاته. وزاد في الطين بلة تخصيص صفحات عدة لوصف والمراحيض العامة وبخاصة، في العالم العربي وخارجيه. ويزداد الطين راحة عند الانتفال إلى نص (.. من تاريخ حياة مؤثرة) حيث يتخلل المصور والركبة إلى المعجزة والتبر، والدخول في ميكانيكيته وأصوله ومشاكله. الخ... وحتى لو تفحص هذا النص بعض الحيلة في ادخال السياسة قسراً إلى التبر، أو العكس، كما حدث في الصفحة ١١٦ حيث يرد الكلام عن القصف الجوي متراقلاً مع حفرة البرق، لو أن القصة الجري في الدوائر الرسمية حين تستعمل أوراق اللقائات القديمة المحفوظة بدلاً من الأوراق الصحي. لا اعتقد أن قاصاً مهما بلغ شأله يتمكن من إضفاء حيلة على هذه الشاعفة. لطخة صغيرة نقسوة لوستة، كسبب إكّا كان يخلطاً من «الوجل»؟ وهل السجل القصصي إلا لولة؟! لا أستطيع تفسير لجهل كاتب مثل

## لطخة صغيرة تشوه لوحة، فكيف إذا كان سطلاً من الوحل؟! ◆

الجانديز الانكليزي في مصر كان مادة خصبة لكتابات معظم القصاصين المصريين في فترة كتابة مصرع عباس الحلوة سنة ١٩٥١، وبالتالي كانت الكتابة في هذا المضمون أشبه بالمسألة. تقدر هذا مع أن القصة المذكورة تبدو منفردة بين قصص وغتارات، بتشابه الطيفي وضبابية المفردة، فتضارب في ذلك مع بعض ريفاشياها، وعلى الأخص ذوات للنس الاجتاهي البحث والرجل والزراعة التي تبحث مشكلة الحمل المختار، ومسرة في الطابق السادس، المخرج على الروتين بعد حدث، والأم والوحشة تضحية الأم، وفي تلك القصص تنشر على سرية واقعية لشخصيات بملامح واضحة تحت شمس الظهيرة، وسرقات عذبة مؤطرة.

ولا تتوازي تلك القصص في عقد الحدث عوراً، والبناء عليه، مع تلك الحيلة منه كقصة واللحم والسكين، التي تبحث مشكلة اثنين أحدهما سمين والآخر نحول يتلفان بسبب تنافسهما ويتسبان في مرض والفتيا ووفائها، ثم يتصلحان بعد ذلك. ولا مع النصوص المبني على طرفة الفكرة قصة ونية صانع المتاع، التي أعدها الكاتب إلى نجيب محفوظ لأنها حدثت في «زقاق المدق» كما يقول، فالنص يجعله يعتمد على طرفة الفكرة كراسمال له (رجل يصنع المتاعبات للأصحاء كي يسهل لهم الرزق بواسطة التسول).

تلك نهج على احتلال الحط الباني في صوري قصص وغتاراته، وربما كان ذلك من مصلحة المجموعة إذا قسنا ذلك بمتظار التنوع، لكن المشكلة تبرز حين نلاحظ أن نص الفكرة الباردة ونية عولج بأسلوب أقرب إلى الغلظة، بينما نحس الجهد المبذول في بناء نص اللافتة واللحم والسكين، وربما أيضاً... كانت تلك استراتيجيّة القاص في إقامة التوازن بين نصوصه.

أما مشكلة وغتاراته الحقيقية فتجسدها نصوص مثل (اعتراف ضيق الحلق والشفقة) و(القرف المكي أو من تاريخ حياة مؤثرة).

في هذه الملاحظات يلج على خاطري مثل اللبناني القائل: «مادما تستطيع للأطلة أن تفعل بالوجه المعكّر»، كيف يستطيع نص أن

## الريادة المغبونة

أبراهيم صمويل

تظلم كاتبة في الوطن العربي كما ظلمت سميرة عزام؟!

واللعنة الأدهى إن الظلم الذي لحق بها وبأبنائها متعدد النصال:

١- لجهة كونها رائدة في فن القصة القصيرة (وربما هنا، هناء في معنيين متماثلين الأهمية: السرية الزمنية، أي أنها من جبل الرواد الأوائل الذين شقوا طريق هذا الجنس الأدبي إذ صدرت مجموعاتها القصصية الأولى وأشياء صغيرة في العام ١٩٥٤... والريادة

**الشخصية والقيمة والأسلوب دراسة يوسف سامي يوسف دار كتّان للدراسات والنشر. دمشق ١٩٩٦**

■ إلى يومنا، لا أحد يعرف علة - أو لفر- الظلم الذي أحاق بأب سميّة عزام، بالرغم من أن من يقرأ مجموعاتها القصصية الخس لا بدّ أن يوافق المواقفة كلها على القول: «لم







الحكم القاطع يحتاج إلى بثبات ليؤكد مصداقيته وتنفذ صاحبه من هادئة التعصيم... فإن من البلاط موضوعية القول: وأكاد أجازف وأقول بأن ما يصدق على سيرة عزام من الشاحنة المعيارية أنها يصدق على تسعة أقطار القصص التي كتبت باللغة العربية، في جميع أقطار العالم العربي، منذ أن بدأت هذه الأقطار بكتساسة القصة حتى اليوم!! وحتى هذا التحفظ الواضح: أكاد أجازف: « يفهم القارئ بلغته صراحة في الفقرة التي تلت من دراسته مباشرة بقوله: وفالقصص العربية، في الغالب الأعم، مطوية بمطالب مشتركة، وهي تكايد أوهاناً مشتركة، ولا سيما بعد استثناء بعض القصص التي كتبها كل من يوسف إدريس وذكروا تنمونها! ثم يقطع بحكم إطلاقي آخر في قوله: وهام عجز تكايد القصة العربية الحديثة، ومن ضمنها القصة الفلسطينية، هو المعجز من بناء الشخصيات على نوعي من شأن أن يستعطر الإنسان بنياته من أهلية الغائبة ويوفد في تطرفه: وليس في هذه الشخصيات كلها... الخ حتى يجيز على القصة العربية وشخصياتها ووارعها منذ فجر القصة في العالم العربي حتى اليوم!! من البين أن هذه الأحكام العامة المطلقة عن القصص العربية، على مساحة العالم العربي، ومنذ فجرها حتى اليوم تمجذ مؤسسة ضخمة بمجموعة كبيرة من الباحثين على اطلاعها بتلك المجالة واليسر والإيضاح إن لم يكن من جهة اتعادم الأكاديمية في الأطلاع ومعرفة كل ما كتب من قصص في العالم العربي (أو حتى تسعة أقطارها) فلهجة تعميم مضمون الحكم ذاته، أي حكم كان، على مجمل نتاج الصادر!! وكيف الحال والتأكد هو فريد لم يستطع إلا أن يشير، ولو بقول عجلول: «وربما كانت هناك بعض الأشياء الأخرى التي لم تتع ككتابت هذه السطور فرصة الأطلاع على استنتاجها... 1990» (ص 87). يقينا أن حال الدراسة ومقها، ووفادها لسيرة عزام مبدعة وإنسانة حاصل فيها قلمه يوسف سامي اليوسف وإن كسناً، كترده، تنتظر منه دراسة أوفى وأشمل لمقصص سيرة عزام... وبقياً (أيضاً) أن أحكله عن القصة العربية لم تكون الفيصل القندي، إذ لا فيصل في حق الأديع الأدي والتي. عل ما يلو. □

للقرءاء ما بقي قراء، وأنا وأثلة في القصة عربياً ومتفرعة فلسطينياً. للمنهج النقدي عند يوسف سامي اليوسف نكهته الخاصة. ضرورة ذلك في احتشائي - مثل الناقد لثريته القندي خاصة والتضائي عموماً مثلاً مبدعاً، مجدداً من جهة ومعرفة بالتقائات الأبداعية والمتاحم التقديرة لثريته - إلى تذوقه المرحف، قد أعطت دراسته القندية نكهتها الخاصة التي يمكن للقارئ أدراكها بجلاء منذ أول كتاب له من الشعر الجاهلي الصادر في دمشق العام 1990، وريثالي في بحوره ودراساته عن المملكات والشعر العربي المعاصر وغيرها. غير أن ثمة بعض مطالب في الدراسة لا بد من الإشارة إليها، سها

أ - التبيات الجارية والأحكام الضمنية في الدراسة لا تكف عن إطلاق اليقين تدو اليقين بأن القصة الناجحة هي كذا وكذا، والأدب العظيم هو هذلي والقيدي الأدنى المعاصر يعتر إلى هذا، وبالطريقة ما انتمت إلى ذلك... الخ. هذه التحيات المجازية (المشورة في منى الدراسة والتي يمكن لأي قارئ ملاحظتها ييسر قد أوفت الدراسة وتغنيتها إلى مهاتي يصعب اشتغالها منها. للمره، عموماً، أن يتنكث بقيتيته، ولكن النقد - وفي مجال الأدب والفن تحديداً - لا بد أن يكون نسبياً، وصراً، ومتحفظاً تحفظاً منهجياً لا من باب تواضع الناقد، بل بسبب الطبيعة الشائكة للإبداع وحركته وإثقه غير المحدودة، وقيل ذلك بسبب أسرار العملية الإبداعية المعصية على الحد والجزم والقطع والقنونة، والمتحفة بالتالي على احتمالات لا حصر لها.

ب - تولم الملاحظة السابقة لاجابة الناقد عما انتفرت إليه قصص سيرة عزام وما غاب عنها المثبتة في الصفحة 86 من الدراسة وما تلاها. بعد أن عيب الناقد ما غاب عن قصص سيرة عزام (وقدتم إرادته قبلاً في هذا المقال) يقول: «وفي تقديرني أن هذه المناقصات قد غابت بالفعل عن التعمير القصصية التي كتبها الفلسطينيون خلال السنوات الأربعين الأخيرة». وبالرغم من أن هذا

الطبعة في لونها كيا في قصة والعبد من الباعة العربية، ويصاحبها الأكبر الأصغر حين تبلغ إلى الكوي وتنشئ من المحصورة الإنسانية المتجسدة في شخصية متينة تحتل بالصدور والمقصود كيا في قصة الساعة والاسنان، وأخيراً في قصة: «لأنه يجهه كمثل عتزل على آل والشخصية في أدب سيرة عزام تمتلك أن يصار بها إلى المحصورة وبالتالي إلى القيمة الفنية الشديدة».

في ختام الدراسة يؤكد الناقد أن النقد - أكان أدبياً أم غير أدبي - لا يصير تاجراً ذا قيمة إلا إذا استطاع وأن يظن للخيال، أقصد للمعاصر التي لم تتع لها الفرصة الكافية لتختلف إلى العمل فتجعل منه كياتاً مرغوباً فيه لا يتمتع به من عناصر المحصور المرغوبة. ثم يتساءل عما انتفرت إليه قصص الكاتبة التي «لا يتفق من خلد غني» وما الذي غاب عنها... فجييم: «فغاب روح الأسطورة، أصداؤها، خربتها، بلربها، أو ما من شأن أن يستحضر لنسي والفضالي، ويكبد للصور المتسلولة للمصروف الأشياء». ثم يضيف فيقول: «وان الكثير من قصص سيرة عزام، ولا سيما القسم الأكبر من معنويات المجموعات الثلاث الأولى، ينتظر إلى روح الشعر والقدرة على الخلب، أو قل إلى الخيال الإعتراقي الخلاق، وإلى الرمز ما هو وقدره على استحضار النائيات وربط التبيات في الوحدة المتلاحمة». ولا يهي الناقد دراسته قبل أن يؤكد بأن بعض قصص الكاتبة ستبقى صالحة

## كأن الطبيعة استلبت منها يوم استلبت فلسطين

صدر حديثاً

## البغاء عبر العصور

أقدم مهنة في التاريخ  
سلام خياط



# هلموا واستفيقوا أيها العرب!

محمد علي مقد

العالم العربي ويشترك سمر أمين في تحليلاته الفائلة بأن النظام الرأسمالي الذي لا يستطيع أن يحكم السيطرة على تفاوت المدخلات والثروة وعلى آلية تطوره الاقتصادي مهدد بالانحدار، إلى الدكتاتورية كحالة الازدحام والحد من أسركا السلطانية على سبيل المثال، حيث لم تتمكن السلطات الرأسمالية الحاكمة من تأمين المساواة الديمقراطية بين المنتجين والمالكين مما جعله المودة إلى الدكتاتورية نتيجة حتمية لذلك كما يشترك أيضاً في بعض مطلقاته الفكرية السطرية بالقول برأسمالية المركز ورأسمالية الأطراف، والقول بعميق الرأسمالية عن تحقيق نظام اقتصادي تسود فيه الحرية والعدالة، والقول بأن التاريخ «يقودنا إلى انفجارات سافنة (ص ١٠٣)» (يقومها) سمر أمين في أطراف النظام الرأسمالي وربما في الدول الحديثة (التصنيع)، والقول بأن الاشتراكية هي التي تشكل مستقبلاً حقيقياً للبشرية وحلاً لمشاكلها

كما كتب غالي شكري عن الديمقراطية وأسهب في الكلام عن موقف العرب منها، وهو موقف من بنصر الديمقراطية حيث تستجيب لمصلحه وتجاربها حيث تشكل خطراً عليه، (وصول هذه النقطه يجمع المشاركون في الكتاب على السخرة من ديمقراطية الغرب ومن تعدد معايير ومكاييلها)، كما يتناول شكري الجانب الآخر من الإرهاب، (الذي) الإرهاب الإيديولوجي الفكري (الذي) يتحول إلى فاشية في نظر الزواوي، ويرى أن العرب أصبحوا يهكمون باحق الإلهي، أي بقية الإيديولوجيا، والحقيقة أن العرب لم يصبحوا على هذه الحال، بل هم خاضعون لحكم الإيديولوجية منذ قيام الإسلام على الأقل، كما أنهم ليسوا وحدهم في هذا المجال، فجميع الدول الرأسمالية الطرفية ما تزال خاضعة في هذا الحد أو ذاك إلى سلطة دول إيديولوجية تحول دون انتقال السيطرة إلى القوانين الاقتصادية كما هي الحال في الأنظمة الرأسمالية

عزيز المعظمة توصف بدوره عند الإيديولوجيا السياسية الإسلامية وولى أها تستخدم النص لدعم القومية الفاشية، واتسعت فلياً من بعدهم بقوله إن النص الإسلامي يميز في الحقوق والواجبات بين الرجل والمرأة والحر والعد والمسلم والذمي مما لا يتوافق مع روح حقوق الإنسان. وأهرب

## يجمع المؤلفون على فض النظام الدولي الجديد



يتفق الجميع على أن قضية الديمقراطية قضية حيوية في نصتنا القبل، وعلى أنه لا أفق لانصار عربي في المدى المنظور إذا ظل واقع الديمقراطية الحالي، أي غيابها، سيطرة على العلاقات السياسية الاجتماعية القائمة. وإذا لم يكن حضور هذه المسألة حضوراً مباشراً فقد جرى التطرق إليها من خلال الحديث عن نفسها، عن الاستبداد والتصنف الذي تمارسه الإيديولوجيا السياسية على القول وعلى القوانين، حتى أنه يكاد لا يتلو بحث من إشارة غائبة إلى هذا الخطأ الجليل الذي يهدنا مثل ما يهدنا الاستبداد الجديد. غير أن بعض الأحداث توقفت بهسابة على هذا الموضوع، مكتبة فاقيل المرواي على تحول الإيديولوجيا إلى عاتية متروكة عند التجربة الاشتراكية من جهة وعند التجربة الإسلامية من جهة ثانية. ويرى أن مصدر التحول نحو الفاشية هو الاعتقاد بأن الفكرة أقوى من الحياة، وهذا إرهاب ضد قوانين الواقع وتصف يرمي إلى لوي حق القوانين المادية في تطور الطبيعة والمجتمعات حتى تستجيب لرهبات الفكر؛ ومعني المرواي في تحليله هذا ليصل إلى الحكم على الاشتراكية المحقة بأنها فلتت عن دكتاتورية القادة بدلاً من الشمعية والحرريات الديمقراطية، ويرى أن الإسلام ليس نظاماً، لأنه ولو كان نظاماً لاأمر مع الأنظمة الكبرية التي انهارت (ص ٥٩)، وأن الدولة القائمة على وصمة جاهزة منزلة من الساء لم توجد ابتداءً (ص ٥٩)، وفي قوله هذا تلميح إلى أن النص الديني ليس مسؤولاً عن تحول الفكر الإسلامي الأصولي نحو الإرهاب، بل المسؤول هو الشعور البشري في تأويل النص خصوصاً بما يلائم المصالح المباشرة المادية والسياسية

كما يتناول الزواوي خطر الدكتاتورية على

## عودة الاستعمار

### مقالات

### مجموعة من المؤلفين

رياض الريس للكتب والنشر - لندن 1991

■ القضية ذاتها التي يتناولها سمر أمين في كتابه «استراتيجية الموضع»، يتناقل في الحديث حولها ثلاثة عشر مفكراً وكتائياً وصحافياً وشاعراً من العالم العربي، في كتاب اعتبره عنوان: «عودة الاستعمار». وإذا كان الكتاب الأول يشير إلى دلالة متبينة بين التاريخ والسياسة والبحث العلمي، فالتاريخ يجل بوضوح إلى دلالة نفسانية سياسية، كأننا به يقول: عاد الاستعمار، فاهلّموا واستفيقوا أيها العرب.

المشاركون في الكتاب هم رياض نجيب الريس، عبدالرحمن منيف، أنسي الحاج، عزيز المعظمة، فاضل الزواوي، محمد بركة، سمح القسوس، كمال أبو ديب، صبري حافظ، شوقي بغداد، جورج طرابيشي، غالي شكري، محمد الأسعد، وهم كما نذل أساليبهم من مشاوير نفسانية شتى، من الصحافة والشعر والفلسفة، ولذا نقرأ في الكتاب أفكاراً متشابهة أو متضادة ولكن بآراء وأساليب ولغات مختلفة.

يجمع المؤلفون على عدد كبير من القضايا. أولاً رخصهم هذا النظام الدولي الجديد الذي كرسه نتائج حرب الخليج، ورفضهم ما آلت إليه الأوضاع العربية بعد ايلار حركة التحرير الوطني العربية وإحكام السيطرة العربية الرأسمالية على مقدرات أمت. وقد عبر المشاركون، كل على طريقته، عن موقف، كما أورد كل منهم تحليلاً يمكن أن نستخلص منه نقاط الاتفاق ونقاط الاختلاف بين هؤلاء المفكرين.

كتاب من لبنان



يخلص فيها إلى القول، خلال حوار مع أحد الضباط الأجانب، بأن الرأي العام العربي يميل إلى اليمين تمييزاً عن وتجديد الثقة بالرأسمالية، ومن تصلب نحو القضايا الخارجية، ومن رغبة في العودة إلى تكرار القرن التاسع عشر الاقتصادي والبحث عن أسواق خارجية (ص ٢٤)، ولو عاد إلى هذا التحليل لوجد أن منطق التحرر ومعالجة الاستعمار أصبح مستحيلًا عبر الخطابة (بإمكاناته العودة أيضاً إلى التحليل المسهب الذي قدمه سمير أمين حول التلغطة ذاتها في كتابه «امبراطورية القوم»).

محمد بركاته يرد الاجتياح (العراقي للكسوت) إلى توسر العلاقات بين العراق والكويت ودول الخليج وأيضاً مع الولايات المتحدة الأميركية، ثم يقول عن الحرب انها «ضربة مبررة» (ص ١٩٠)، ومن الاجتياح العراقي بأنه «مرك تاريخاً عربياً معاداً ومؤثراً» (ص ١٨٢)، وكأنه بذلك يوافق طرابيشي بالحكمة المتسرعة التي يبلطفها هذا الأخير بقوله: «وحدة اوتونوميا غير من نمجة اوتونوميا» (ص ١٦٣)، وكان من الأول أن يتجه البحث لا إلى الانجرار إلى المواقف السياسية التكتيكية التي حكمت مجريات حرب الخليج، لأن ذلك لا يلبد البحث العلمي ولا يمهت التبرؤ الوطني.

أما مسألة صربي حافظ فهي تثير التساؤل حول المعلومات التاريخية التي سألها عن تجربة محمد علي باشا: «من هم المثقفون الذين أوصوا محمد علي إلى السلطة وكيف أطاح بهم؟ ولماذا هذه الشكائم لكامل المثقفين العرب واتباعهم بالاحتقار ببركاتب السلطات؟ هل في دفعه أساء معيت لم أن هذا التصميم هو من أصول البحث غير المدعوم بوثائق وصحيح وأساء؟» أما قوله بوجود أربع محاولات لحديثة في العالم العربي فهو قول يحتاج إلى نقاش فما الذي يثير الحنديوي اسمايل ويدفع اسمه بين عوائل محمد علي السافر على الأمة العربية، وهذا بذات أجواء هذه الأبحاث فائسة في سياق الأبحاث الأخرى التي سمت إلى نفس خيار ثلاث.

يقول جورج طرابيشي، على سبيل المثال، «أن نصف الغربيين لا يرحبون بالحرب» (ص ١٦٠)، ولا يقدم دليلاً على ذلك، وهذا مجرول كلامه من الافتتاح، وكان عليه أن يعود إلى التحليل الرصين الذي قدمه ريموند نجيب الرئيس في تنويع الفكرة ذاتها والتي

فغياب التحليل يجعل الحكم كلاماً شعرياً. وكقولوه: «هذا العصر هو نهاية الأمان الارائيلي المطلق» (ص ١٤٢)، أو «العرب، من حيث الطاقة الكامنة، يشكلون قوى عظمى عسكرياً، وإن لم يكنوا كذلك سياسياً» وفي ذلك من الأحكام التي تتناول القضايا بحساسية النازل وحسن الشاعر وبعد نظر الفيلسوف، لكنها لا تلامس أيأ منها.

شوقي بغداداي يكتب بحرية وسويولية عن يأسه من مقارعة الثورة الاميري إلى بمميزات أربع: قاعة مشايخ النفط بالمرء والنفوس، تدفق النفط، إلى ما شاء الله، اقتناع الغرب بالنفخ من امتيازاته، تحمل اسرائيل عن مكسباتها، لكن هذه الأفكار للساخرة التي تقيف على الأرض الضعيفة، ذاتها التي يلف عليها كمال أبو ديب، يمكن أن تقرا بمتعة، إلى أن يطلنا بكلام عن الجروب «الصلبية» مشيراً إلى حرب الخليج، «في تلك الحين» الحنديوي يصرح بحرب الخليج قسراً ديباً شوقي.

ما يستوقفنا في الكتاب أبحاث كل من محمد بركاته، جورج طرابيشي، وصبري حافظ فهي مكتوبة بنفس عاطفي يذكرونا بمرحلة النفوس القومي المستند إلى الخطابة. فيالاضافة إلى الاستجابات الحاخطة والمعلومات التاريخية المغلوطة التي تطل عليها بين الحين والأخر نجد الكتاب الثلاثة يذهبوننا، كل على طريقته، إلى خيارات مغلوطة، على غرار الأخيرين بين مناصرة الوحدة القصرية التنسفة والاجتياح العراقي للكويت وبين مناصرة السلوان الاميري السافر على الأمة العربية، وهذا بذات أجواء هذه الأبحاث فائسة في سياق الأبحاث الأخرى التي سمت إلى نفس خيار ثلاث.

يقول جورج طرابيشي، على سبيل المثال، «أن نصف الغربيين لا يرحبون بالحرب» (ص ١٦٠)، ولا يقدم دليلاً على ذلك، وهذا مجرول كلامه من الافتتاح، وكان عليه أن يعود إلى التحليل الرصين الذي قدمه ريموند نجيب الرئيس في تنويع الفكرة ذاتها والتي

## بداية التحول إلى الفاشية الاعتقاد بأن الفكري أقوى من الحياة

المعتمدة عن موقف حازم من الشعار السياسي - السبئية اعتبر فيه أن التطور مستحيل إذا استمر البيض مصرراً على إقامة السياسة على الخبز إلى الماضي والتطلع إلى السبئية العادل وخلص إلى القول باستحالة قيام الأمة بغير الديمقراطية.

سيدالمرمن متيف، بدوره، تعرق، في بحثه القيم، إلى هذه القضية ذاتها، في معرض حديثه عن النظام الدولي الجديد وردود الفعل عليه فرأى أن الموجة السلفية هي بمثابة ردة فعل على الفكر والعظم الذي يبارسه الغرب (رأيها أضرافاً أزمة حسب تمييز سمير أسمين)، ويرد في هذا السياق إلى بعض النظريات القائلة بوجود خصائص نظرية لدى الشعوب (نظرية ماكس فير) منها ميل الشرقيين إلى الاستبداد، (وهو ما يفرضه سمير أمين أيضاً في كتابه «امبراطورية القوم» وكتابه نحو نظرية للتلغطة، حيث يعتبر أن هذا النوع من التفكير يعود إلى المركزية الأوروبية، وإلى الأيديولوجية الاستعمارية).

في النصوص الشعرية عواطف وانطباعات تشترك الأبحاث الكثير من الأفكار إلى أنها ليست مبنية بناءً بحثياً، يصح ذلك على نص سمح الشاسم وعلى نص أنسي الحاج. ولم يستوقفنا من كلام الشاعر أنسي الحاج إلا قوله «أقوى أصداء العرب ليست اسرائيل بل عقولهم»، فهل يعني هذا الكلام غير شيتية يوجهها إلى من الوضع العربي إلى كل العرب؟! أو غير موافقة منه على المركزية الثقافية الأوروبية القائلة بأن العقل للغرب والعقل للشرق، وبأن الغرب غرب والشرق شرقاً نرجو أن يكون ثوباً لهذا الكلام في غير محله. في الكتاب نوع آخر من الكتابة يحتاج إلى كثير من النقاش لا يتسع إليه هذا العرض اللزج. من ذلك كلام كليل أبو ديب يطلق في أحكاماً من غير أدلة أو يراهين كقولوه: «هذا العصر هو نهاية العصر الرأسمالي الاميري» وحلم الامبراطورية الأولى (ص ١٤٢)، فإذا كان هذا الكلام من نوع الحمسة التاريخية، فهو ليس بجديد، أما إذا كان متناً على تحليل مفصّل (كأنني قاله سمير أمين صريحاً في كتابه حول خيارات البشرية)،

# براءة الجميع!

خالد زيادة

تعرف أولاً بأول إلى رجالها ورؤسائها وقبائلها وعشائرها، وأحياناً وتلاها وعضائها، التي لم تعد قائمة اليوم بسبب مرور الزمن وتبدل الواقع. ويمكن أن نلاحظ هذه المسائل في كتاب «الفتنة». ويمكننا أن نلاحظ أيضاً أن الكاتب أشد معرفة بما يجري في الكوفة من معرفته بما يجري في دمشق تحت سلطة معاوية خلال سنوات الفتنة. يتعلق الأمر هنا بإدعاء المصادر التي تعطي تفاصيل حول الوقائع التي تجري في الكوفة ومحيطها أكثر مما تعطي للمعشوق. ذلك أن التاريخ كان يصنع هناك على شكل اشتباكات وجدالات ومخالفات لم يشهد مثيلاً لها أي موقع أو مدينة أخرى في ذات الفترة.

يطرح جعيط جانباً تفسيرات الباحثين والمستشرقين، إنه لا يأخذ بفكرة المواجهة بين الأصمعي والمهاجرين يوم السبعة وأحترق أبي بكر للحلقة، كما لا يأخذ بكون مقتل عثمان هو ثورة فراق على الأفياء. وبشكل خاص فإنه يرفض التفسيرات الاقتصادية والطيقة، ويعيد النظر بمسألة وصول عثمان إلى الخلافة والفكرة الشائعة حول كيفية وصوله. ثم هناك رفض لفكرة المسح الأموي الموصوف إلى السلطة. وإعادة النظر بدعاء معاوية من جهة وقلة حيلة علي بن أبي طالب السياسية. ثم رفض لفكرة انتصار النزعة العربية على النزعة الإسلامية. كل هذه المسائل ليست غائبة عن التحليل، وليست غائبة عن خلفيات العمل. لكنها لا تستلهم، كل واحدة على حدة، أو مجتمعة أن تفسر الفتنة. فليس هناك سبب أو جلة أسباب لوقوع الفتنة واستمرارها أو لاستمرارها على النحو الذي استمرت عليه. كل ذلك يفترض أيضاً وبالدرجة الأولى نزوع الواقع عن التفسيرات اللاحقة، التي أتى بعضها الأعظم في فترات متأخرة. وهي عملية دقيقة وصعبة وتتطلب الخبرة الدقيقة بالمصادر. من هنا أهمية ما يذكره في مطلع الفصل الثالث حول المصادر في ١٥ صيغة (١٢٥ - ١٤٠). والبحث يصعب على عدد من المصادر التاريخية يأتي في مقدمتها الطبري والبلادري، ثم بالدرجة الثانية الديلموزي واليعقوبي وحليقة بن غياث وابن أعمت الكوفي والموسوي الخ. لكن في العمل على المصادر تكمن الدقة في كمية ما يطرحة للباحث وليس في كمية ما يستخدمه. وهي مسألة ليست كمية ولكن منهجية

الفردية في المحنة. إن وقائع الحنة اليومية تحتل الجزء الأكبر من كتاب جعدان. وكتابه يشبه إعادة فتح التحقيق القضائي لتحديد المسؤوليات، وقد اشتمل المؤلف بتيرة المعزلة كثير تفكري وكأفراد من المسؤولية التي تقع بمرئها على عاتق المأمون/ السياسي، الذي أراد أن يتخذ من مسألة خلق القرآن ذريعة لقرض عقيدة موحدة على المسلمين لحلق إجماع حول السلطة، وكان من جرأه ذلك اشتاق أهل السنة واشتداد هود الحائيلة لا شيء من ذلك في كتاب هشام جعيط حول الفتنة، ليس ثمة هدف في تحجيد المسؤولية أو تبرئة طرف دون آخر. إنه بالدرجة الأولى كتاب في التاريخ من البنية المنهجية، طيبة النظم حذر بالهصار وقبائلها بصحة بعض التفسيرات المرويات لجورد وريدها، والعمود إلى الروايات الأصيل من هذه الوجهة فإنه عمل تاريخي من الطراز الأول. ثم هناك رفض للاستنتاجات السريعة أو المسخنة وعدم تأويل الوقائع ومع ذلك ثمة ناسل عميق هذه «الوقائع وتفاصيلها لكن الأهم من ذلك تلك المعرفة الدقيقة بالرجال ومسلاتهم ومصائرهم؛ كتاباً ناجحة من معيشة طوية لبخس مشات من الشخصيات التي لعبت أدوراً مختلفة في أحداث الفتنة مذ وقوعها.

يمكن القول أن معاوية المؤلّب للرجال والأمكنة والوقائع تمتد على مسافة عشرين سنة أو أكثر، قبل صدور كتابه. لقد عمل هشام جعيط خلال ما يزيد على عشر سنوات حول والكوفة ونشأتها، وكانت موضوع أطروحة المطولة التي ناقشها في مطلع الثمانينات وكان بدأ في إعدادها في مطلع السبعينات، وأعتقد أن فكرة العمل على موضوع الفتنة قد ولّدت خلال مدة العمل على موضوع الكوفة للتأريخ بين الفتنة من جهة وبين الكوفة من جهة أخرى. وفي الكوفة الناشئة كان جعيط قد

الفتنة، جدلية الدين والسياسة في الإسلام دراسة

هشام جعيط

دار الطليعة، بيروت ١٩٩١

■ يضع هشام جعيط أمام البحث التاريخي موضوع «الفتنة»، الذي احتل منذ بدايات الإسلام موقع التأسيس للجياعات والمفائد والمذاهب. لا يختلف أحد في إبلاء، مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان، وما نجم عنه من قتال ومعارك وإنشاق الفرق حتى استمر الحكم لمعاوية، الأهمية المركزية في كل مسار الدين والدولة في التاريخ اللاحق. إلا أن هذا الموضوع قلما شغل المؤرخين على حدة. لا شك بأن كتابة تاريخ الإسلام لدى المستشرقين قد مرت وتوقفت عند الفتنة، دون أن تعطي البحث الثقل والتمثيل المميّز، من هنا يأخذ كتاب هشام جعيط أهمية، لأنه إعادة نظر في هذا الحدث المركزي، ومحاولة تأمل عميقة في المصادر من جهة وفي الحدث ذاته وميزاته من جهة أخرى.

وعلى سبيل المصاربة، فإن كتاب جعيط يذكرنا بعمل آخر. صدر في سنة ١٩٨٩ ذاتها، ويعمل عنواناً مشابهاً وهو كتاب فهمي جعدان الذي يحمل عنوان «الحمة»، بحث في جدلية الدين والسياسي في الإسلام، دار الشرق عام ١٩٨٨. يطرّق فيه إلى وقائع الحمة زمن المأمون والتي كان عبورها مسألة خلق القرآن. هنا أيضاً نجد جهداً انتصب على المصادر، وإعادة نظر في السورقات والمسؤوليات ودور المعتزلة في الحمة، إلا أن التشابه يوقف عند هذه الحدود، أي إعادة النظر فيها هو شائع من الأفكار والمعتقدات. إلا أن فهمي جعدان، وهو استاذ فلسفة ومؤرخ المتكسر عمد إلى بسط للمعتقدات واستغرق في تفصيل طبقات المعتزلة وأدوارهم

الكتاب عمل تاريخي من الطراز الأول



لقد فجرت الفتنة عفاً لا مثيل له من قبل. وأطلقت نزعات متمملاً لاحقاً، يتمحور أهلها حول جماعة والقراء، ودورهم في الكوفة في احتدام النقاشات، وبروز حركة الحوارج لاحقاً. لكن كل هذا العنف، هذه الحرب الأهلية، التي لوتت بالآلاف من صحابة الرسول والمسلمين الأوائل وأبطال الإسلام، دارت حول مطالبات عديدة، كان الإمام علي يطلب من معاوية الرضوخ والبيعة، وكان معاوية يطلب الانتصاح من فتلة عثمان، لا تكفير ولا حلع، إلا ما أطلقه القراء من آراء. وضع ذلك فإن العنف والقتل تجاوز حدود المطالبات المحدودة.

من هنا فإن هشام جعيط لا يأخذ بالتفسيرات والمعامل الاقتصادية والسياسية والصراعات القبلية. من السطحي أن لا يميلها كمناسخ مفردة ترجع بعض الوجهات دون أخرى، إلا أن الفتنة إذا جاز لنا القول، لا نجد تفسيرها إلا بالفتنة. أي أن ألبها من داتها وتتمتع داخلياً. إنها جدلية قائمة بذاتها فاعلاً على طريقة هيجل. فلا عجب أن ينهي المؤلف كتابه بهذه الأسطر: وإتيا فترة مكثفة، عميقة، متوترة، على غرار الثورات الكبرى التي هزّت البشرية ولأها لم تكن تعبيراً عن مطالب فجة وسطحية، بل كانت تحتوي مبادئ وأفكاراً ومطالب. إذا كان تأسيس الإسلام هو ثورة الشرق، على حد تعبير هيجل، فإن الفتنة كانت ثورة في الثورة، أو بالأحرى كانت قد أشتت الواقع الإسلامي بدنيانية لا مثيل لها في تاريخ الإسلام» (ص ٣٢٥)

على هذا النحو لا مسؤوليات تقع على شخص أو جماعة أو فريق دون آخر في وقوع العسنة واتساعها، لأن الأشخاص والجماعات، تبدأ لهذا التحليل الطويل هم أدوات هذه البدنيانية، التي توزعهم في جهات متواجرة وترسم مصائرهم. ليس ثمة نبرشة أو اتهام، ولا حتى عير تماطيل. أي شيء من هذا القبيل لن يجده القارئ في كتاب جعيط وبشكل خاص فإنه لن يجد في تبرير الوجهة نظر لاجعة، أو تفسير أو حتى مقاربة لأحداث لاجعة. كان الفتنة قد استغرقت الفتنة. حتى لو قلنا إن الواقعة كانت الحدث المركزي الذي أطلق العفائد والمذاهب والفرق والاتجاهات، فكل هذه دخلت لاحقاً في سياقات ومسارات ومصائر مختلفة عن سياق الفتنة. □

نتيجة أيضاً. يتطلب الأمر هنا توقفاً، كما يفعل المؤلف، أمام مزي صيفين وضع المصاحف والأمة التي لم تجد سوى المرجعية القرآنية، والتفسيرات المختلفة لمعنى عبارة «والحكم لله». بين ما فهمه القراء وبين ما فهمه علي من ذلك. كذلك يتطلب الأمر إعادة النظر بموقف كل من أبي موسى الأشعري، الذي وقف على الحياد أصلاً، وبين عمرو بن العاص. إن التحكيم لم يكن لمصلحة علي بن أبي طالب، دون أن يؤثر ذلك على موقعه وقوته وتحالفاته، ولكن معركة البروان، التي كانت مذبة حقيقية بحق والقراء كانت حدثاً مركزياً لجهة مركز الإمام في الكوفة، وظهور حركة الحوارج

ن. مقتل الإمام نفسه ووقعه شت مذبه بهيه اسمه، إلا أن حجر مثل أن لا بد من اصادة السطر فيه وحضوره فهو دواعي منجبه وجهه سي يستند. وهذا سعي دون حزم في التسلل إلى أحسن من على رأي اعطى حليلة في الكوفة، وحده عن ردي يتيى يستند لتشال معاوية. إلا أنه فضل وحيدة الأمة عن نقائلها، هنا أيضاً إعادة نظر بموقف الحسن من وجهة نظر إيجابية

## يفسر المؤلف الفتنة بالفتنة نفها

إن وقائع الأحداث معروفة: من النعمة على عثمان لأنه «بذل وقَّير» في السنة المتبعة، إلى مقتله. إلى مبايعة علي في المدينة، البيعة التي لعب الدور الأكبر فيها الأنصار. مفادرة عائشة إلى مكة ثم إلى البصرة مع طلحة والزبير، وخروج علي من المدينة إلى الكوفة، ثم المواجهة في معركة الجمل التي سبها اعدامات لثلاث من المشاركين بمقتل عثمان من أساء القتال. إن معركة الجمل لوتت بكبار الصحابة، ووضعت زوج الرسول أم المؤمنين بمواجهة ابن عمه وصهره ووالد أسفاده. إتنا إزاء مصائر، أكثر مما نحى إزاء مصالح محددة وضيقة. وفي هذه الواقعة أو الوقائع اللاحقة سيبدى علي من التسامح والرفع ما يتطابق مع صورته في المصادر، إلا أنه سيبدى الحزم أيضاً

إن معركة صفين صعبين وضعت المتناظرين المسلمين جميعهم وجهاً لوجه، وهددت وجود الامبراطورية الإسلامية. فقد اجتمع في موقع واحد أكثر من مئة ألف مقاتل، وقد وضعت صفين أبناء القبلة الواحدة وجهاً لوجه، والبرقت عن جراح عميقة، ولكن دون نتيجة حاسمة. بل كانت النتيجة طلب التحكيم. الذي انتقد بعد أشهر ولكن دوره الوصول إلى

صدر حديثاً

# الأخضر والقصر البلوري

نشوء النظرية الجدلية في العمارة  
رفعة الجادرجي



الأخضر والقصر البلوري  
رفعة الجادرجي

SHAD EL-SAYED BOOKS  
دار الشاذلي للكتاب

56 KNIGHTSBRIDGE  
LONDON SW1X 7NJ  
Tel: 01-245 1905  
Fax: 01-235 9305

# خجل الروائي وجاذبية السياسي

محمود حيدر

كثيرين . إن كانت رقعة فهي قليلة الانتشار . وإن كانت عامة فهي قليلة الغيرة .  
لم تدخل حقول المعنى بعد . ما زلنا قرب وسائل الوصول إلى المعنى . منفذنا في زمن صار لوسيلة بلوغ الهدف القيمة نفسها التي للهدف . فلم يعد سواد الناس ، ناهيك عن النخبة ، يُقِلُّ على الدعوة والشعار السياسي كما كان يفعلها ويتملأها في مراحل صعود الرومانسية الدورية وأواخر الستينات حتى أواخر السبعينات .

وهل أيّ ، كيف يؤدي الدكتور منيف مهت؟

قد يكون التنوع في أنماط الكتابة ، أو التشقق بين أجزائها من بدايات القلم الموسوعي . ولست أشك في هذه الصفة لعبد الرحمن منيف الذي أغنى الثقافة العربية بكونه رواية عميقة وعالية الصلة الفنية . إلى كونه استأذناً وخبيراً نطقياً ومن أوائل المناضلين المؤسسين في حزب البعث . ربما تكون رغبة عبد الرحمن منيف إقامة صلح بين الرواية والكتابة السياسية . على اعتبار أن لا اختراق بينهما ما دام يعبران من شخصية المبدع وطائفة بعضان إلى غاية مشتركة واحدة هي : كشف بلايا الأمة ثم اكتشاف هوامل جبهتها وهوامل تحفاتها التاريخي . وكان على الكاتب أن يولي وجهه شطر السياسي الذي له في دواخل ذاته حجمة كاتمة . حتى إذا اشتعلت الحرب في الخليج راح ابن البلاد والذي أحلته الحلمة إلى السياسة لكي يقول كلامه صريحاً مباشراً من دون لوم ولا ترميز ولا إشارة

ولشدة تجذبه للسياسة يذهب إلى درجة جعل الرواية بالنسبة إليه نشاطاً أشمل ظروف النشاط السياسي الأصلي . ففي مقاله جريدة «الغاديان» الانكليزية قبل بةة عام ١٩٩٠ يقول : «لاني كروائي وإزاء التفتيدات الكبيرة والحظيرة ، ولاني لما جاور في الماضي ، وجدت أن معالجة الوضع القائم حالياً تقضي من أن أدرس تاريخ هذه المنطقة ، وأن أتابع تطوراتها ، وأن أؤكد التكماسات . واعتباري من أبناء هذه المنطقة وأحد ضحاياها ، ويسمك دراستي لاتصايدات النطق ، وصلي لسنوات طويلة في هذا الحقل ، ولأن لم أجد بعد الصيغة السياسية التي من شأنها أن تعدد أو تساهم في التغيير . فقد وجدت الرواية الصيغة الأكثر ملائمة لقراءة المجتمع قراءة متأنية وموضوعية وثيقة أيضاً ، وهذا ما دعاني

للاجتماع ، والخطاب السياسي تنظيره . لا بل مزوج مكشوف لتشيد عبارة للجمع بصفة إرادية ، رهوية . ولست أشك ، الكاتب ، أقسام تولدنا مع الخطاب السياسي فيها هو صاحب خط روائي . وهو بلغ مراده حين انضم إلى طائفة المساجيل حول مذنبات الفكر السياسي العربي . فالتحولت للدولة التي لحقت بالعقد الأخير من القرن أطاحت بمضاهيم وغفولات هي نفسها مفتاح السجالات والحوار والتناقض ومتاعم الكتابة . من الوحدة العربية إلى النمط إلى اليسارويكا وتوزيعها العربية . فخرط الخليج آت في وقتها ولم تعد موضوع نقاش ذا قيمة بعدما وضعت الحرب ورائها

وسرعان ما ظهر عيب أن ترى إلى الخطاب السياسي فيها هو معطى تعالي لا حلال حول صفة . ويقول أنه مضى إلى الكتنة السياسية كس يعني تأثير الخبز لإستدكار كما لو أن اللغة السياسية ترمض لفسحة خاوية في الحقل الثقافي العربي . أو هي استجابة لمراة النخبة المكتوبة بصحراء الحزيمة . ذلك أن النص السياسي خلاف النص الروائي . مباشر . حل مرض الرؤية . مربع الاختيار ونتائجته تعرف حالاً بتيدي الحزيمة .

في العصور المضمومة في الكتاب تمثل للكتابة السياسية التقليدية . تلك التي تشع بين تيارات الفكر العربي هذه الأيام . وهي ذاتها التي وسست مراحل الثقافة السياسية والأيديولوجيا العربية منذ بدايات الميزانم والتراجعت اللاحقة بالفكر القومي ، ثم بعدها يزمن الفكر الماركسي على تنوعاته المختلفة . وإن كانت المسألة ، ثقافية بالدرجة الأولى . فعن لنا أن ننصير حسن أدائها من قرائه وتقليديته تلقائقة - بحسب جورج ستانيسا - تلف دكاشاً على حافة تقويض .

الديموقراطية أولاً.. الديمقراطية دائماً

مجموعة مقالات

عبد الرحمن منيف

المقدمة العربية للدراسات - بيروت ١٩٩١

■ يرغب عبد الرحمن منيف أن يحتل صهوة الكتابة السياسية ، بعدما كان ترتجل عنها الزمض مضى . «الديموقراطية أولاً» . الديمقراطية «الساء» مؤلف سياسي بمجمل المعنى . فيه يسمي ليكون راثياً للحوارات التي شهدتها البلاد العربية في غضون السنوات المنقضية . «ناظراً في حلقها ، عللاً نتائجها ، مبعثاً مؤثراتها أو موجبات العمل ووسائل الفعل في غصنها» . وكل هذا من موقع المثني للأفكار وشعارات وقضية سياسية

والدكتور منيف ، على رغبته ، يحميها بعيرما ترمذها وعرفها أي دواي بارها لتحتل هو صانع شخصه وأشيائه وهواله . تاركاً للقراء متعة الالتذاذ بالنص أو الاشاعة عنه . وللمتقبلين يتأولونه مثلاً يشاؤون ويرغبون . وهكذا ، يجدناه في «هذه الملح» وما قبلها . وهكذا ، على ما أحسب ، يجد هو نفسه وكيونته في الحلمية وشيقاتها أسلووان في الكتابة . شغيفتان للكاتب .

من الرواية - الملحمة إلى الخطاب السياسي كأنها هو يمثل صورة الثقافة العربية الإبداعية في حيرتها بين جاذبية المستقبل وسهيتها لإستدكار ما مضى . والخطاب السياسي فيه من الاستدكار الماضوي ما يكفي لإشهار الحصاص للرواية . كأنه ضدها ولو لم يعلن . لأنه ليس من لربنا ولا من طعمه ومقاصده غير مقاصدها . وهو قل ما أخذ سبيله إلى الناس إلا قاسراً مرغياً . وفي بلاد العرب التي قدست غلاطيات المنف غزوز هائل لتأجيلها . فإننا كانت السرواية ، على العموم ، توصيفاً

خجل الروائي  
من السياسي  
فتركه يخوض  
في الزمن  
العقول



وعلى هامتها ضد «نسيان الكيفية»، أولاً يندر وجود الرواية اليوم أشد ضرورة من أي وقت مضى؟

سالت الديمقراطية الكاتب الى دفتها ومر عادى وسط صقيع الصحراء. ولم تدعه يلمسها لو يشير اليها في ثياب التحليل الروائي. فانه في حاضيتها ابهاراً جعله يظنها بلا وساطة وسيط حتى اللغة عادت الى غزول الانشاء السياسي الاصيل لتلغف بمفردات كانت لنا فيما مضى. احتفظت بحجيتها البلدية وما هي ذي تصود لتغشى قيم العصر. هكذا ضرورة عندما الصحراء القاحلة تستبد بأعصر الحرية الشاب في الواحة الضئيلة. وهي ضرورة عندما النظام العالمي الجديد يستبد بها تبقى من جزائر الحرية في طير بقعة من العالم. ثم هي (الديمقراطية) واجبة الوجود حين تصير ذات خصوصية لملائنا حين كنت في الغرب من أن تكون قيمة حضارية وإتساقية مجردة وإتيا وسيلة لتغطية الاستبداد والقهر ومنطق القوة.

(عصية الديمقراطية) عند عبدالرحمن منيف مستمدة من ثألية استبدادية يعيشها يومياً يوم في طول أفضى العرب وعرضها. وهي تنشدني من أقصى المألوس من سلاطين النفط وطفوسية القمع لدى النظام العربي.

عمر أن العصية على مرارة تبئها. لا نلت أن نتغلب على لسان الكاتب والديمقراطية إذن، ليست حلاً سحرياً، انها الشاغل أو الوسط الذي يرسم العقلاية (ص ٢٨). الديمقراطية ليست مطلباً سهلاً وهي بذاتها ليست حلاً كاملاً لكن اعطرها ما يواجهها ان الكثيرين من يتناولونها بها غير متفهمين بها بل هي الكفالية، أو انهم اذا انتصروا بها نظرياً فانهم لا يمارسونها أو هم يمارسونها بشكل خاطئ. كما أنهم مستعدون للتساهل كثيراً بمفهومها وحدها حين تعني الآخرين. وهذا التساهل في الفهم والممارسة أحد أهم الأسباب التي تشجع الحكماء على حرمان الجاهل منها. ثم يدعو الكاتب الى كفاح شاق ومستمر لاثبات ضرورة الديمقراطية الأمر الذي يقضي انتزاع هذا الحق بالتدريج وتعزيزه باستمرار الى وجوب الديمقراطية كمعطى حضاري انساني ضم الكاتب مفردات اضافية لتعزيزها كمفهوم مثل، الحقيقة النسبية - الاعتراف

كذلك تعيش الماضي فيما تتوسل باروخ المستقبل. وتلك مزنة تيار واسع - وإن في الثقافة العربية المعاصرة، يقرأ المستقبل بحروف الماضي وسكاته وواصله وعطائه. لا غريبة، إذن، حين تجد نفسك، وأنت تابع تداعيات الأفكار ضمن أجواء الرواية. وهذا شيء ياقول ما أنت فيه حين تتوقف عند العلامات الأساسية لأحوال الوضع العربي. ولذا فلا مناص من التضامن مع هذه الرواية.

وتجمل الدعوة لتعد المثقف الصامت فضلاً عن المثقف المحي لتيار النظام العالمي الجديد. أو ذلك المسوق للذهنيات الامتثال لتيار التاريخ. شأن كثيرين من منظري العمل السياسي العربي هذه الأيام، يأمل منيف استعادة أجواء عيب أو تسليمة وسط حساب الأفكار والأيديولوجيات وتدابير القيم. لقد حاله أن يتوسل تيار التجمل حل حساب الانزمام والانتباه والولاء لفضائنا الأمة الكبرى. ومثل سواء من المثقفين العرب المتأخرين بشدة للثقافة السياسية راح يستريح دوراً كانت لثروته مثلاً في تقاضيه. وقد تعزز فكرة المثقف الطليعي، والتجمل الاستشراق، آخر ما تبقى لنا بعد أن نأري المستقبل، وانفتحت أي راس من شأنه أن يرتق وعودتنا بها هو قبحل نحننا من جديد العالم؟.

ولشدت عشتي على الرواية. أكاد أحسب أن يلتجئ الدكتور منيف الى الخطاب السياسي لأن الرواية أسست في عالم لم يعد عائلها. أو هي لما تعدتني ما يزور اليه، حيث أن الزمن السياسي العالمي يضغط الى الدرجة التي لا تسمح للبداع أن يلفظ اختلاجه. فإذا الحياة قشيت الموتى كما لو أنها على إيقاع ما شلعه ميلان كونديرا من أن «هذه التفتيش يقرض الحياة الاساتية ضد الأعداء حتى قصص الحب الكبرى تنتهي بتغلبها الى هيكل من الذكريات الخفية وتنامي المجتمع الحديث يعزز هذه اللعبة بشكل وحشي: تنقلص حياة الانسان الى الوظيفة الاجتماعية وتاريخ شعب ما الى عدد من الأحداث تنقلص بدوره الى نصير متحزب. - وإلحاح الاجتماعية الى صراع سياسي. ثم يستطرد ليقول: لكن إذا كان سبب وجود الرواية يقوم على جعل وهام الحياة تحت إقارة مستمرة

الى كتابة معدن الملح وبأزماتها الخمسة، لكي تكون إحدى القراءات التي تساعد في مهم مجتمع في مرحلة حاسمة من مراحل تطوره (ص ٢٢٢). ثمة، إذن، اعتراف للرواية بقوة الفهم والاحاطة بما لا يستطيع دارس التاريخ أن يحيطه. ومع هذا ففي مواجهة متنازلة تنظير في التاريخ والسياسة. هكذا بصورة مباشرة، فورية وعلى قدر من الخطأية المرددة في بلادنا منذ فترة سحيقة. كان الروائي يجول في السياسي. فانكنا الأول عن الشغل الحادي، الطويل، الشاق، ليدع للثاني، الخوض في الزمن السياسي المتحول. على ما به وفيه من لمسات مبهمة، لا عقلانية، تغل، والضباب والانعزال والتعادم الروية.

لنزل أية حال، ما بين أيدينا .

جمجمة مقالات اجتمعت في كتاب هي تدوين لأحداث حصلت لبلدان مع ابتداء التسعينات. الفترة التي شهدت دراما مثقلة من التحولات، هوت في غضون دول وجمعات ومفاهيم وأفكار ومفاهيمها وحلت القوة كمصدر وحيد لانظام الحياة. وهذه التحولات بقدر ما استقرت والمواض العاصي، استحدثت الحصة على الكلام والكتابة والمحاكمة.

فسنرى أن مجموعة الكتاب لا تنأى عن هذا المناخ. فلقد كتبت فيما الأحوال العربية تشداهي. وكان من الطبعي لمثقف كبير كعبد الرحمن منيف له تمرد على السياسة - افريقية العريقة أن يبيع بالكلام الصريح. ويضع من جهته على قضايا منها ما هو مكرر في أدبيات المطومة افريقية العربية التقليدية ومنها ما هو راسخ وراسخ وغير شوي كقصبة الديمقراطية.

ترك ما حرص الدكتور عبدالرحمن منيف على اصفافته تحت عنوان مجرسته «الديمقراطية أولاً». الديمقراطية دائماً، فلسنا نرى لزوماً ما بعدما فاتت زمن الكثير من موضوعات أفكارها. لا سيما تلك التي تصل بتواريخ الحوادث الماضية - دروس معركة بيروت - اليريسويكا عربياً. وسوى ذلك حتى نحن وأنت نقراً بعض المشكلات والدراسات المتعلقة بالظفر وحرب الخليج

## مقالات تجلك تعيش الماضي فيما أنت توسل المستقبل

# كل هذا الوهم كل هذي الحقيقة

جنان جاسم حلوي

تطور الحدث ونموه، واصفاً وخشياً بدقة حلة (جسور) أولاً، ثم قرية (طابوق) تالياً في نواحي مدينة كركوك/شمال العراق. وجنور حلة مجدولة بطقوس وريشة بشرية أصيلة، وبعينته، بقدر تنوع الأديان والقوميات والطوائف بها كأنها مصفاة تصفي ثم تكتف السلولون البشري لاصموم العراق فجنور/المكان يضم تاريخياً غالبية تركمانية وأقليات كردية وعربية وأشورية ويزيدية، أما قرية (طابوق) فهي المكان الجبلي الريفي، والريز للمقاومة الشعبية، ثم فرميتها

صُور العزاي مشاهد روايته براءة ودقة غزلاً أحداً والتمية عايشها هو، أباؤنا، أجدادنا، ونحن، نانسجاً سروراً شعراً بجاعاً، أصحى السقائع بعداً أسطورياً، ملوفاً يعتنق النص، حرازة الحياة، وراعية الموت. خلال أزمان امتدت من أواسط هذا القرن، حتى الانقضات العسكرية الدموية بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، سقوط الملكية، وإعلان الجمهورية العراقية أبنا حقية موشومة بالصراع السياسي، بين القوى الحزبية (أصولية، شيوعية، بعثية، قومية) وبين السلطة الملكية، برئيس حكومتها بوري السعيد ومن ورثه الاستعصار الأنكليزي، ولاحقاً بين تلك القوى الحزبية حين استلمت السلطة وبين الشعب

من حلة جسور ينطلق الروائي مع شخصيات لكل منها حكاية في أصلا: حكاية جنور/كركوك/العراق، لكل شخصية عروالها وميزاتها المتباينة مع إعداد الشخصيات الأخرى دون تناقض أو تضاد مما يشكل الكل كتلة شريفة، حقت ورست مدرجة ما حراً منها من تاريخ العراق إبان تلك الحقبة، وغالباً ما يعتمد الروائي على السخرية في المقارسة ما بين السياسي والاجتماعي، لحظة يصبح كل حدث نافع أو

## أسلوب يمزج بين الواقعي والسحري، التاريخي والسياسي

### آخر الملاتك

#### رواية

#### فاضل المزاي

رياض الريس للكتب والنشر - لندن ١٩٩٢

■ الشاعر والروائي العراقي فاضل المزاي، قدم ملحمة وروائية، حياثة بعوالم متنوعة، نافذة شخصيات حقيقية ووهية، متألقة بأسلوب جذاب، مرهف، مزج ما بين الواقعي والسحري، الحقيقي والخيالي، التاريخي والسياسي، الحيني والاجتماعي، وعبر قصص مشوبة لشاهد سيمية نادراً في الرواية العربية. تقدم هذه الرواية للقصير نائب وأصغر المقام، من لسرورد حربي والعربي فحسب، وسيا بالاسك شمشونه أكبر، بزج قصصه، فمترع منأته، في صراع مع نفسه، مع صديقه، ومع السلطة الحاكمة، والقوى البعية. . إن خصوصية رواية (آخر الملاتك) تكمن أيضاً في الرصد الدقيق، الحلي، والوصف الدؤوب الأخاذ، لحياة الفرد العراقي: لأحلامه، طموحاته، انكساراته، أوهامه، بقياته، ضعفه، قوته، وموته، والروائي يصور دوماً الإنسان البسيط الذكي والشجاع، على إضحاك حكايات مشوطة، وشوارة الأحداث النشقة عنها أحداث؛ تزج إلى مناح أعمق يلمسها الحرافية، السياسية، التاريخية، والدينية، وفي تولد مستمر، متقلب، متغير، يتأرجح في قلب الأحياء الشعبية العراقية (مدينة كركوك) العانة بشخصيات لا تنقطع عن الحدث، بل تكون هي صلبه، إذ تكوّن أو تكون منه، ليغمي البطل الفرد في حالته (بداية رواية) معللاً جامعياً.

منح الروائي المكان سيروته وتؤثر وتتأثر

بالآخر بقطع النظر عن نسبة القوي بين طرفين - الحوار والحوار دائماً كجداً رئيسي من مبادئ الديمقراطية.

رغم التشكيك على واقعية النظرة إلى الديمقراطية فهي تظهر في غايات الدكتور منيف كمثل يرد له أن يحقق للخلاص من ظلام الزمن العربي واستبداده. وكأي شعار ليديولوجي يكتب حيوته الكفاحية تحت وطأة الاستلاب. هكذا النضال من أجل الديمقراطية. وربما الخطر المحقق مفهوم حضاري كمفهوم الديمقراطية هو استعناته إلى كائن أيديولوجي. لأن استحالة كهله تستعمل منه طقساً تأملياً لا يلبث أن يضع وسط زحام الجاهل التي لا تلبث سوى أن تدوي مطمئة تحت مقام استناد ما.

النسبة وحدها الصحية. إن في طور النضال لسيادة الديمقراطية أو في طور نموها شيئاً فطرياً إلى أوليغارشية متوحشة وهي تمارس معة الملك داخل أجهزة الدولة.

حذا لو أنشأ الكاتب بيان جمليد هن الديمقراطية، ولم يتنا بمجرة تلميحاً على مواشها. لكننا ونقتل، فتحنا وإلهها حواراً هادئاً عضلاً على طول المدى. يرى إلى الديمقراطية كمفهوم تاريخي وصحاري من الفترض أن يغير مساره الطبيعي في بلادنا.

والديمقراطية لعل وهي. وهي النخب قبيل الجمهور، لأن تشكل لمعارضة الديمقراطية يقتضي تحلاً شمولياً هذه القيمة وليس فقط تقيلاً طرماً موشوفاً لا يلبث أن يتحول إلى نقيضه حلاً تشويي للمعارضة على شيء يسير من مواقع السلطة. والنظر إليها بوصفها ضرورة فلا مناص من استيعاب وهي الغرورة كونها تؤلف سباجاً أثناء ومانعاً من احتمالات الانحراف أو التحول إلى حالة استبدادية

وحى تصوير الديمقراطية قيمة مفهومة راسخة في الوعي العام، سنظل نحرص مع الدكتور عبدالرحمن منيف على خط الأمل والمراة لأنه إزاء حيز الجاهل وهبوطها وإشغالها للصحف السياسي، الاجتماعي تتحول الديمقراطية إلى أوليغارشية صافية. يقول برودون: يود الجنس البشري أن يكون حكوماً فيكون له ذلك. انني أختل من بني جنسي. .

إنه الإبداع أولاً وإنشأه وبه تكون الديمقراطية أولاً ودائماً. □





السياسي الصلب، يكتب أكثر من بعد في الرواية، قصص الشخصيات موسومة أكثر فاكتر بالخرافة، رغم واقعيته الشديدة

إن بطلًا على غرار حميد تايلون ليؤمن بالواقع ومركته أكثر من غيره، مدغمًا إلى قلب التكوينات الجديدة، بل وقائدًا لها، إذا سحت له الظروف، وما هو يدعوه ويشارك في العمل الطائفي الذي قاد اضطراب كاروباني السبيلي ضد الشركة الانكليزية، وذلك هو يعمل جاهدًا وأبصاره على اعلان الثورة، في جبال قرية (طافوق) وحسب تعاليم ماونسي تونغ، ثم حسب مضاهيمه، فيلثف مؤلفًا غامضًا به عن الثورة والثورات، لكن كل شيء يغسقى فيض ربيع، بعد أن يرفض الشيوعيون التصاوم معه، وتذير الحكومة له ولرفاقه مكيدة، متعقلهم إسرارًا وتؤزل الانتماضة إلى الاجهض السري، رغم محاولة أهالي جفوق ابتزاز الثالين، غير أن الأولاد قد فلت، فتشكل الشرطة من جديد بأهالي جفوق، وتكون الجريمة قد حلت مع القتل والموت

في تشابك التفاصيل، وتراكم الأحداث فحصل إثر آخر في الرواية، ليحصل من الشخصية الروائية بعد ذاتها عاملًا أساسيًا، ينمو ويتطور ويتغير ويؤثر ويتأثر بالحدث، فتمتد إلى خارجه، فالأحداث (الطغل والحل) تحدث بلزومها السر المضمي سياق واحد نحو القدر الشرقي. أؤكد أقول أن (آخر الملائكة) هي رواية القدر الإنساني الذي قصه الروائي صيرورته متمهًا إلى عصر الوعي المعرفي الخالص والمسطحي الناتج من المخيلة الشعبية بعينية شاعلي، رأي للمحدث ومشارك فيه صاغه العزازي في شخص الصبي برهان عبدالله والمثل بمعنى ما لمصير الروائي ذاته الذي عاش جفوق: مكان الفكر، المعايير، الملائكة، الحن، الترويات، والسوت. برهان عائش وبشاده مذابح كاروباني بحق الجبال المصيرين، ثم المخررة الأخرى بحق أهالي جفوق، حين رفضوا خطة الطريق الذي تريد شفه الحكومة والشركة عبر القعة التي يمتزجون بها. وبرهان أراد مصرًا أن يتعلم ويصرف، فكان يسأل كثيرًا فلم يجد سوى الكتب بلدا لها، بعد أن ألقته امر الأشباح الجالطة في الأمكنة المغمضة، وكل ما يسمع عنها من قصص عجبة غريبة، حتى يعيش هو ذاته مع الملائكة التي تراصه في رحلة

باتت جالطتها في العراق معروفة: السجن أو التعذيب، أو الموت، أو التخي. فمن تفاصيل سيرة حميد تايلون، تنشق المفارقة، إذ تصاعد الصراع بين الأصوليين برمرهم الملا العادري، والشيوعيين من جهة (مع صراعها التاريخي بين القوى السلطة) العملية للاستعمار البريطاني الممثل والمحدد بشركة خط العراق، فيلتبس الحدث/الصراع بسياسي سياسي وأسطوري: الأول جنسي يستغل الملا القادري والشيوعيون قضية طرد حميد من الشركة، لصالح دعاوهم السياسية ضد الحكومة والاستعمار دون أن يكون حميد (حقًا) أي علاقة بالأمر، إذ أن قصته برونها لا علاقة لها بأي وأمر سياسي، إنما طرد الرجل لأسباب شخصية بحتة إثر مفاوكة إحدى الانكليزيات (هيلين) وزوجة ماركس أحد مهندسي الشركة، وقد كان سبب سيده، رسالته أصبح حميد أشبه «بالصوري» إثر التظاهرة المخلقة التي طلمت دمي لعصه ضد واقعة الشعب المصرية، ساهم بعض المظاهرين بربطه بسبي فرج وعاد الأسير ضمن متولين له «سجور الله» بعد حيل حذوف وحفظ، «فدلا رعد السوء» ويصلط المظاهرين، وتلوح الألسن بشكر الرب، ويحمد الذي كان كأساس في ضم المخررة هذا التداخل بين الأسطوري وبين الواقعي

## ليس هناك حقيقة سوى الكذب والتبويه

سيط مسبباً لتعقيد سياسي، لا يزي في الهبة، إلا إلى الحراب والموت شخصية (حميد تايلون) مدسوخ للعامل البسيط، المتمدن، والشائري، يدخل عصب الانتماءات الاجتماعية، يخفي، ثم يظهر مرة أخرى، غير أنه يظل يمثلًا للنفس المعقوي، الصادق والذكي في التعامل مع ما جرى ويصير في جفوق، وأحياناً تدفعه التطورات المعوية، إلى واجهة الحدث ذاته، ولا تعقد وتغير من كينونه الأخلاقية/الاجتماعية، إلا قضية سياسية عريضة... مد تعرضه للطرد من الشركة بسبب هيلين التي غازلها، فأعدها جورج تايلون وسمي لذلك بر (حميد تايلون)، إلى التدراسة فنيًا، وبسطة في النفاذ التي تدافع عن حقوق الحال، ثم الدفاع ودعوتها إلى اضطراب عالمي شهر أعفت عجزه واضراب كاروباني، حتى اعلانه الثورة العلانية، وقيامته لها قوة وأصرار، في جبال قرية طافوق، تلك الثورة التي آلت إلى القتل وانتهى هو في سجن نفرة السليمان الصحروري

شخصية حميد تايلون: هي ضمير شعبي لا يعني بمصالح القوى الخريفة المتصارعة بقدر يشبه الجهاد على الحقيقة، والعدالة، سوى أن الكذب والقوة يتصهران على الحقيقة، والإنسان في فرد، قلقة، عتاده وصراعه ضد الظلم، يحط وراه سيرة بطولية

صدر حديثاً

# اليمن الجنوبي

## الحياة السياسية:

### من الاستعمار إلى الوحدة

## علي الصراف





ذات صباح حتى قيل أن يعرف الملك تماماً حقيقة ما حدث، كان درويش يهول يعرف من تجربته مع البشر أن ثمة مأساة سيحدث وأنهم يمكن للسر أن يفلت موته، عندما يكسب، قد ولد قلبه على ملاقاته، أما الموت السليبي يمكن أن يباغت المرء فإنه يسبب الأسى، إذ تظل هناك دائماً مشاوير ناقصة: كتابة رسالة ما، قراءة فصل آخري في رواية، اعتذار عن خطأ، إعلان عن حب ومودة، رحلة إلى مكان ما، ثمة دارق دائماً بين الآمال المطفئة والآمال المولجة، وما كان لأحد أن يترك هذا الضاروق الدقيق أكثر من درويش يهول العائد من لقاء الملك (ص ١٦٢) كذلك فإن الروائي يسخر من المصاولة الحماقة التي تتحول إلى وهي جمعي تاريخي (ساي/بيني)، إنها سخرية مبررة من تاريخنا المكتوب، المعروف، والمنجز، بل وتكذبها لذلك البرغي الخائبة عن رحمة الاختنفة والإيديولوجيا المبررة، حين تصعب قصة موت رجل مصادفة، قصة مثلها مثل أية قصة كبرى في التاريخ، ذلك أن زنديقاً حذو، كدأاً مدساً على الحفرة اسمه قور قور يفتل مصادفة أثناء الثورة ضد الحكومة شركة نفط العراق، فيصير شهيداً وولياً يؤم مرقدته الناس من كل أنحاء العالم، بل ويؤذي قور قور (بعد موته) حركة فجاجية أشبه بمهجرات الأنبياء، كما تصعد روحه على حصان أبيض إلى السماء، على درجاة نور وفجاج، ومفاس مثل البراق فتخرج هذه المجرة الحرفية، واقعاً سياسياً فكرياً واجتماعياً أكثر (خرافة؟) منها.

.. يسخر أعالي طرطور إلى سرقة جنة الوالي (الزيف) لدننه في قريتهم، تطاردهم الحكومة، تسترجعه، وبني له مزاراً خاصاً ثم ينجي شاه إيران بأياً تعيياً للمرقود تقريباً من مسلمي العراق؟! فيصار الملك سعيد ملك السعودية يوليى الفرج عريه هدية، كان قد أمهلهما سافاً في حديقة قصره، يسلمها ويتلعها كأعظم هدية للسلمين! أما الشيعيون فاعتسروا قره قول واحد من شهدائهم الأبطال. وهكذا تتحول جطور إلى علة عطيفة يفضدها الناس، وتردهر فيها التبرارة: تجارة الشفق الأسنى، حتى راح يرهان يمتحن حرفة كتابة الرسائل للماطقات، كما استغل بعض الشبان سذاجة النساء ليضاجعوهن في أسمة قصبة، تحت تأثير سلطان الجي والمفارت والسر

غليضة، فتعرف أنه بات يحض منفي في أرجاء الأرض، يشده حين جارف لكاهه الأول، جقدور/كركوك/العراق، حيث الحفظة اقروا، ووضح إذ لا تزيغ سوى تاريخ الصحابة (ص ٣٦٦).

مع بروز شخصية حصر موسى كمعصل أساس أحر في الرواية، تتلاحق الأحداث متسارعة مدابة نحو الموت محضر موسى غشاً ما ليت أن زاور مهنة تجارة الأسلحة المهرية، ثم فشل، فاعتكف مع الدراويش في التكايا لفترة، لكن وسياً ما عهد عليه وأتمعه بجوسب البحث عن أخويه المفقودين في روسيا، إبان الحرب الروسية/التركية، قبل عشرات الأصوام، يروج خضر، صوب للمجهول، قطعاً الأصاوغ الروسية وماهي إلا سنة ويعود مع أخويه المسين إلى كركوك، بواسطة منطاد، فيصحب خضر موسى الرحلة الحمالي ناطقاً بسمى مجبور بل والمحاور الأساس مع الملك والمسؤولين.. ليس كل ذلك مهياً (في الحقيقة) إلى أن تعرف حضي موسى على شيخ غريبه أثناء لحظة تجلجج غنيته عن واقعه، وبين جلدون معار، سحرية حلسمه، هو الأمم، لأن اسم الشيخ كان (الموت) الذي ما يفتك براقق حضي موسى إن شاء رحت إلى يلداد، لقائمة الملك وإشاعه التقاء الطريق المزعم شقة غير مقبرة حقورة ونداهي التمردد هناك ضد الحكومة والانتكاز، وتجنب التسلط بعد ذلك. إز رمز قصصي، رفع مستوى السرد ذاته إلى تاريخ معلوم، نوه بسيادة نهاية الحصر الملكي العراقي، وتكون بالجزائر، الدمار، الفشل الذي رافق التطورات بعد ذلك. إز رمز لموت الأخذ اسم «درويش يهول» كدلالة ديبية/عيبية/تراثية، وحل هيئة إنسان يرافق خضر موسى، وولده مجري، الشاعر الخالم، وبنية مقابلة الملك فيصل الثاني، ليصبح ترميزاً عيبياً دالاً على حلول زمن الموت الشامل في العراق، منذ سقوط الملكية (١٤ تموز عام ١٩٥٨)، وحتى الآن.

ذلك ما يحسى به الروائي، بعد لقاء الملك (لدرويش يهول - الموت -) وخضر موسى) والشاعر: هذه هجري:

«وكان ثمة أسى قد داخل قلب درويش يهول، من المراءة التي أظهرها الملك، فقد كان يعرف أن تلك المراءة لى تدوم سوى أعوام قليلة، برامة سوف يجزئها الرصاص

الكشف والبحث عن لفر الحياة، الوجود والوت. يرهان كان حلاً عظيماً، وشاعداً أولاً وأخيراً على الحشراب الأبدى الذي حل بديته، فصار ضميره المتزور، الشائق تحت جنح ظلامها المقيم، عروساً بثلاثة ملائكة، مرافقاً ثلاثة شيوخ خرافيين، غير مزيين، يدلونه على المستقبل، وما يجتبه التيب، وما تميمه أسرار وخفايا الناس. لكن الوهم الذي عشت فاسل رأس يرهان سرعان ما انتفض وانكشف، بسبب واقعية ما يحصل، وقوة ما يجري، وفداحة ما يصير. فلم يكن هناك (حقيقة) سوى الكذب والتسويف، وما للملائكة إلا شياطين، وما القصر السحري الأسطوري الذي يلتقي فيه ملائكته مير فراغ ووهي، لتنفى الحقيقة، ويظل الواقع هو الآخر، والأرخب، مع غفوض عميق بفرسه الزمن، كما يفرض النهاية. يدخل يرهان عبدالله بناتة أسطورية، تستقبله للملائكة، تتوده إلى حيث الأسرار ويسأل أحد الملائكة: ما الذي جاء بك إلى هنا يا يرهانه (ص ٢٦٥) (..) يقول يرهان: «وجئت أبحث عن الله ليقول لي معنى كل شيء، لماذا يوجد الإنسان إذا كان محكوماً بالموت؟ لماذا يفسد الزمن كل شيء؟ لماذا يخلق الله كائنات يتحداه، إن كل ذلك يبدو أشبه لعبة لا هدف لها» (ص ٢٦٦).

وبعد أن تعرف المدينة في العلم، بسبب التمرددات المتواصلة ضد السلطة وضد الاكثريين، يصحى الاضطهاد، القمع، العذاب والموت هو الساء التي تظلل الناس بالحرب، الحوف، الهزيمة والخذلان

كان كل شيء قد ضاع فعلاً، وكان الحياة تراجعت من هذا المكاس المكتظ بأشباح القتل، وحيالان الجرمية

لكن يرهان لم يفقد الأمل، «الأكثوية لا يمكن أن تنصر على الحقيقة مهما اتكثرت» أسلحه (ص ٣١٠).

وصال اختفاء الشيخ الثلاثة الزميين الذين رافقوا يرهان، في رحلة الحياة والموت والصراع، يقول في نفسه: «لقد اختفوا هم أيضاً، أي تصح يمكن أن يقدمه هؤلاء الشيوخ في مدينة تزف دعاء (ص ٣١٠).

فراح يرهان يكي حانقاً عيبياً وبأساً من وكل هذا السوم.. وكل هذي الحفيفية (ص ٣١١)، اللذين اقتلاه (هذي الحقيقة) بالدمار الروسي، «وذلك الوهم» بالألواج والوحدة، «لهرب فجأة، ويختفي بصورة

## يسخر المؤلف من القوى السياسية التي تزور الحقائق من أجل مصالحها



ويتكلم، بكل حي، ليقند الموت هو البطل الأرواح في العراق، والحروب الشامل هو العصور الكليّة التي تصوّر جفراً/كركوك/العراق وريسا العلم انها مشاهد قلة كائنا من يوم قيامة متجبل، يوم تعصف الحروب السديرة ويتخلل نظام الكون، ويتحول ما تبقى من الناس الى كائنات مذعورة أقرب الى الحيوانات الاليفة في الجحشور، يكون الحروب، القتل، الحروب، وسفك الدماء أبدياً، كلياً، مطلقاً، ومروماً ساعتها يظن الناس أن برهان العائد اليهم هو (الفاب المتنظّر) فيتعرض لحدوث القتل من قبل الغزاة، لكنه وفي اللحظة المناسبة يطير، يصير ملاكاً حقيقياً هو (أمر اللالكة)...

... هذه الرواية أثبتت بالنسبة التي تتحقق كل يوم في العراق. □

ويصير الملا زين الصابدين ملوياً عاماً للمراق، فيكتز الذهب والمدايا في جزار، تحت نحلة لا يعرف أحد مكانها، ويقوم مساعده عزيز شيرون (المتنبي سرّاً للحزب الشيوعي العراقي منذ زمن بعيد) بتسليم ما يهله من هدايا لا يمكن امتصاصها مثل البيض، الحراف، السكر، الشاي، الرز الى الحزب الشيوعي، حتى ان قيادة المنطقة رفعت توصية الى اللجنة المركزية من أجل منحه ميدالية النجمة الحمراء، حال استلام الحزب للسلطة.

ان المزاوي ليسخر أيضاً من دعاوى كل القوى السياسية التي تستغل كل الضلعات، وتزور الحقائق من أجل مصالحها فقط، وأعدائها الصلبة الأتائية المملنة وغير المملنة، وتحت ستار تحرير العراق من الاستعمار الانكليزي، وساعضة الصهيونية، واستلام السلطة لأقامة العدالة والحرية. الخ هذه التناقضات أدت بجفراً الى الحروب: فالغزاة هي سبب التطور الأخلاقي، كما أن السلبية والسياسيين الانتهائين أضحوياً في ترتيب مجازر لا حصر لها إضافة الى نعتن اللحمة الاجتماعية المدنية ذاتها بين أهل جفراً إرترانشافهم الى قنتين واحدة تغالب الملا بأصافه الكسر الى أربعة قره قول التي رفعت صده دعوى، والأخرى تعتبر هذا المال مال الملهوس.

وأخيراً تتدلع ثورة ١٤ ثور، ويتم اعدام الملك فيصل الثاني، ونوري السعيد والوصي عبداللّه، ويتجه النظام الجمهوري نحو الديكتاتورية، فيكبل الشيوعيون بأعدائهم، ليعود ويتكلم بهم الزعيم عبدالكريم قاسم، ويرتكب الجميع مجازر بحق بعض حتى انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣، حيث يقبض البعثيون العراقيون، الشيوعيون العراقيين في مجازر دموية مروعة، طالت كل أنحاء العراق... تدمر جفراً، وكركوك، ويقوم الموت جباراً وتنزوي الحياة، تصطبغ بلاد السواد بلون الدماء، فيتمزّل خضر موسى، وفيه حمري، ودروش يهول الدنيا، مقيمين في برج عالي بنسوة للتمزلة، بعيداً عن الشر المستحل، والأشرار العاصين، والجريمة

## جمع الواقع والتاريخ

### ساعة الجاهل

واد تنوقف عند غربة الرواية عن عنوانها، فليس لأن التصور التاريخي السياسي الذي يقبل على القضاء أينوي غير ذي شأن في مسار الأحداث، وإنما لانفتاح العمل ككل الى التمتع بيسد الصراع المدني الفلسفي الذي أحدثت رسالة وماني، أو ساهمت باستخدامه خلال مرحلة انتشار الدين المسيحي في بلاد ما بين النهرين في القرن الثاني للميلاد. مما حدا حينها بنسف الموروثات الوثنية التي رسخت قديمتها في أرض بابل، مجتمع الكفة المجوس، وسكوا بها لحياة مصالحهم واستمرار تحكمهم برباب الشعوب والملاك على حد سواء.

وفي هزلة الى مطلع الرواية الذي يقدم بشكل أو بآخر لفنها، يمكن توضيح الهيكلية التي يقوم عليها البناء الروائي، كما يمكن تحديد الوجهة التي يسعى سياق النص الى تأكيدها.

يبدأ الطالع بالجملة التالية: وصل التفصح

Les Jardins de Lumières
Roman
Amine Masmali
Collection J-C Lattès 1991

■ في محاولة لترجمة الانطباع الأول الذي تتركه رواية أمين معلوف الأخيرة وحدائق الضياء، تستوفسنا الغربة القائمة بين العنوان والمحتوى، مما يشكل أسواراً تعزل هذه الحقائق الموهبة عن النتيج السري التاريخي الذي اعتمدته المؤلف. فنهيد أمين معلوف لرسالة وماني التي تتناولها الرواية، جاء موصفاً متجماً بالفاصل، مما علّنا بانفتاح النص على الجوانب الميزة من تعاليم وماني، وظلقة مذهبه القتالة مبدئي النور والظلام، لتحديد ماعية الخير والشر الكائنين في كل صم بشرية، وبالتالي في العالم. إلا أن التدرج في قرامة الفصول حصر هذه الجوانب في إشارات باهت على هاشق التأثير في مسار البنية الروائية.



من التبل، حيث يمكن الانحدار بدفع من التيار أو الصمود بمساعدة الأشعة، دجلة هو هر ذواتها وحيدة. ضمن هذا الاتجاه الوحيد تندرج الصيغة الروائية لـ «حدايق القصيدة»، وتشكل المستوى الذي تتمثل فيه معظم الرسومات السردية، كذلك يصعد مسار العلاقات التي تحكم شخصيات الرواية، بما يحول دون أي لقاء بينها.

نظام السرد يجرى عبر هذه الشخصيات الواحدة منها خلف الأخرى، ومن يعجز عن الالتحاق بهذا النظام يبق على قارعة النص أو يموت، فيها يتنازع جري الأحداث.

نبدأ مع «باتيغ»، والد «ماني»، ووجوده هذه مطلع النص هو المهدد للحكائية في الصدفه في اتنا لا نختار أبادناه التي أصغت «باتيغ» دوره، وسببت لـ «ماني» حرمانه من أمه، والتحاقه به «بستان النخل» حيث أمضى والديه فترة انتمزاجها عن العالم الخارجي، ولا يعود السبب إلى قناعة «باتيغ» بسيد البستان، وبالمطريفة الصوفية التي يعرضها على مريدته، فيعلمهم بلقاء لظهور من النار، ويلزمهم بإرتداء الثياب البيضاء، ويحرم عليهم شرب الخمر وأكل اللحم ومعاشرته النساء. فضيحة «باتيغ» هي شخصية مستسلمة، عاجزة عن تحمل وطأة التفكير والتحليل والشك، ولذا كان من الأسهل عليه الالتحاق بسيد البستان، وتغيب دوره الأبوي، كذلك ويمد حجر «ماني» للبستان، خلق الوالد أثناءه وتبع ابنه، بحيث انتمسكت أبنه العلاقة الأبوية/البنوية، والتي لم تكن موجودة في الأصل، فاتحصرت مشاركته في التشكيل البشري لشخصيات الرواية، على مواكبة «ماني» ومن تبعه عاجزة. أم والد «ماني»، ولكننا ثابت في الأطار المكاني المتواجدة فيه، فلم نملك إلا صمتها وموتها حيال عجزها عن الالتحاق بالانجاء السويدي الذي يتحكم بسلطان الأحداث. «والكوس» هو الشخصية الثانية، بعد الأب، التي راقت «ماني» عبر فضول الرواية، بدافع من شموهه بالانتماء لـ «ماني»، التزم الاتجاه الوحيد، رغم وعيه عدم مشاركته فيه، ويتخذ صدقته «ماني» محكومة بأعداءه أي تبادل وجداني، فهو يعيش بصديقه مع اعترافه بجعله التأم له، لنبقى العلاقة بينهما أسيرة تيار بارد. حتى تلك الساساني وشابوره الأول، الذي منح «ماني»

حاميته وساعده على التبشير برسائله، عجز عن إقامة علاقة يميزها تواجد حلقات تلحق الاتجاه الواحد، لو تحرك المستوى السري إلى اتجاهات متناقضة أو متنافسة، رغم صباه لذلك. وفق هذا المنظور عمل أمين معلوف على تأسيس نغمه، قسم الزمن الروائي إلى قسمين، زمن الخاضع والولادة وزمن التبشير.

المقدمة التي تندرج في سياق القسم الأول تعرض للعلاقة الفكرية السائدة في المجتمع البابلي فجر انتشار الدين المسيحي، حيث يحل عدد من الألفة نقطة مركزية واحدة، تتكوب حولها مستويات فكرية متنوعة وشرائح اجتماعية مختلفة، في سعي للوصول إلى يقين. يبدو هذه المرحلة كأنها شكل من أشكال الخاضع العنيف والخاسم نحو ولادة إيمان جديد. ولا تتم هذه الولادة إلا بالقرير. لذا يتر «باتيغ» كل حين يصله بالأمم للماني ويتبع سيد «بستان النخل»، وهو زاهد نصراني أسير «التياب البيضاء» الرواية بعد ذلك يتنحى القسم الأول من الرواية على «بستان النخل» قلبه يجلب «ماني» عوة وهو في الرابعة من عمره، ليقبى حتى الرابعة والمشرين، غربياً صليفاً، ونداباً أهراد الأحذية يتلى «بالسكة والحجلة»، يثير قادر على الانتباه حتى إلى أبيه «بالفرزاقية» بيدة أية جرس نحو أفراد الأخرى، مستنارة «والكوس» الذي يشكل علامة ملونة ضمن هذه للجسورة البيضاء، ليله إلى الحلية خارج البستان، ويكرهه على ارتكاب المخالفات ويحصل المقام، وتصبح «ماني» على مشاركته في مغفاته. في هذا الأطار، تتوالد الاشارات لتحديد اتجاه «ماني» نحو مفاهيم خاصة، تغاير تعاليم الأخوة، فتستل برقة «والكوس» خارج حدود البستان، ويكتشف فيسطة موهبة في الرسم، فيرم جدارية ضخمة براءة عذراء، وحين يجتم الصراع في نفسه بين ما أنتشى عليه وبين ما يشده في العالم الخارجي، يغلبا يظهر توله على صفحة مياه دجلة. فيحسم هذا الترام صراع «ماني» لصالح العالم للماني المحرم بتوله: «سلام لك «ماني»، سلام لك «ماني»، ومن ذلك الذي يعتني بإلكه، ويستمس «ماني» لترواه، يسلمه رهام أموره، يكتبه في منظر ساعة الصفر ليحمر وتطلق في الدنيا حلاً رسائله، بشرأيا. بحلول ساعة الصفر ينتهي الزمن الروائي

## نظام السرد يجر جر الشخصيات الواحدة خلف الأخرى

الأول، ويبدأ الزمن الروائي الثاني لـ «حدايق القصيدة»، فيحصل «ماني» رسائله التي تتوسع كل المقدمات، زراشيت كانت أم بؤنة أم مسيحية أم يهودية. طلالاً أن الحلف منها هو هداية الإنسان إلى التور وابعاده عن الظلمات، ولتشر هذه الرسالة، يتدفق «ماني» بتوجيه من ترواه نحو الهند، في رحلة ينحصر معها بالغاء الزمن الروائي الأول، وتوجيهه يجرى الصيغة السردية نحو الجسد التاريخي السياسي الرواية. تشكل المحيط الأول التي قيد «ماني» إلى السلطة، لتصبح البنية الروائية أسيرة الشكالية علاقة السلطة بالدين، وتبرز هذه السلطة في ثياب الكهنه المجوس، يديرون مصالحهم بإدارتهم للسلوك، فيظهرون جوسيين، اتضاعين، مؤمنين بالانجاء الوحيد طلالاً هو يصب في خاتنهم، ولأن الانجاء الوحيد لا يحصل بوجود مناوره لهم وإن كان مسالماً، جيشوا مكابدهم وتوسلوا في النهاية إلى تكريس اتجاههم وتعلق «ماني» جنة على باب المدينة.

وقد أتى طغيان التصور التاريخي السياسي على ما عداه في القسم الثاني من الرواية، إلى إثر التسواحي الفكرية والتشافية والفتنة لشخصية «ماني» بحيث لم تأخذ مداه في التباين والفتن، في قدمت إليها في جمهورية ملتبة تم اعدادها في القسم الأول، ونذكر منها موهبة «ماني» في الرسم التي شكلت في التاريخ القديم عجلة محزة، لأنه أدخل الرسم الصيني على التصوير الفارسي، ووسم الملائكة والشياطين كما تشير المرسومات، إلا أن معلوف غفل عن التركيز على مدرسة «ماني» الفنية، كذلك غفل عن ربط اسم «ماني» بحقل الطب، ولم يتعرض هذه الناحية إلا بأشارات سطحية لمجتمعا المستنقعة عن أن هاتين الميزتين دوراً ساء في التأسيس البنيوي لشخصية «ماني» ولدمه

انطلاقاً مما سبق، لا بد للتعامل مع نص «حدايق القصيدة» من التوقف عند حدة ككل التي تراقب الصيغة السردية لزاوية ككل. وتستغل هذه العملية أثناء مرحلة الانتقال من الزمن الروائي الأول إلى الزمن الروائي الثاني، بحيث يمكن لكل من الزمنين أن يكتبي بنغمه ومسطره ودلالته ليقفل حبس رؤية حاصلة لا تحتاج إلى أكثر من العتوة والاعلان لكتمل. ذلك أن «ماني» بعد هجره لـ «بستان النخل» هو شخصية مولودة للنز،

شفقة مسبقاً واعتماحاً يتيح له الاستحواذ على سامعيه، كذلك صمته، فهو يجبر الآخرين على السكوت. ولتكوير هذه المسحة الرسولية، رسم أمين معلوف لـ «ماني» مزيداً من صفات الرسل الزاهدين وزيدته، إذ لم يكن يمشي إلا تحت ألحاح الشجر ليتجمع حوله المستمعون في حلقة تذكرنا بالسيد المسيح وباتلامذه. إلا أن التشابه بين «ماني» والسيد المسيح من خلال الوصف جاء متلافياً مع تعاليمه التي اقترنت من الزرادشتية أكثر مما تطابقت مع الديانة المسيحية، وفي النص اشارات كثيرة تؤكد منحى رسالته، دون أن تصنع من صمادها وإلهامها.

تبقى علاقة «ماني» بالمرأة موضوعاً غامضاً في الرواية، ويتوكل هذا الغموض نتيجة البز المعاطي العنيفة الذي تعرض له «ماني» حين انتزع من أطرافه الأثري وهو في الرابعة من عمره (الأم والريبة)، ليُربي وسط مجتمع ذكوري يجرم أية ارتباطات بالأنثى، مما تسبب بسيطرة حالة من الوهن النفسي على رفاقه وغرائزه. وفي متابعة تفاصيل التمييز نجد أن تكون شخصية «ماني» أقل حل من هذه العلاقة في زاوية متحمة ومليئة. إذ بعد رفض «ماني» القصاص «كلوي» ومشاهير، رغم عاطفته للكبيرة نوحها، بحجة الوفاء لتعاليم جماعته وصدافته لـ «مالكوس»، نراه يبتاز ريفه لوسط فحول والده وصديقه واستغرابها. ولكن يعود المرء الطاريء لم بلغ التساؤل المطروح حول التباس الصلافة، التي لم يعرف عنها بالزوج بل تلمس أمشالاً لتندرج في إطار طبيعي، ما يدفع إلى التساؤل أن حاجة «ماني» إلى المرأة لم تكن تمتد إلى الإشباع المعاطي للعشش إلى الأمومة المتورقة في لأرضه. إذ كان «ماني» يكتفي من ريفته بفسر جذبتهاها ويرسم وجهها على قوسها وفوق بطنها كأنه بذلك يستمد طوره البشري.

وتستخمم بأن اشارات نص وحيداً للفتاة، لا يتوقف عند الجوانب التي ذكرنا، فمحاولة أمين معلوف لجمع الواقع والتاريخ في حركة واحدة تنهج إلى القاري، تستدعي العصاة المشاهير البعيدة للتحول دون قطع الصلة بموضوع النص، ولو تجنبت هذه المحاولات أي شكل من أشكال التورط في حوزات السر مما قد يؤلف بنية حلزونية لفقد العمل الروائي التاريخي ناسقه التقليدي المعروف عنه. □

لذا تأتي دراسته محسنة ومهي، صمته على الاستجابات التي يوجي بها الوصف، فقد استدعي «ماني» في إطلاقة أولى إلى مسرح النص ليخضع لتشرح ملامحه كما يبين ومعلوفه (ص ٤٢، ٤٣): «في وجهه يمكن بالتأكيد اكتشاف اللامع الناعمة، الرسولية، الخاصة بوجود الأطفال. أنها، يتوقف النظر أول ما يتوقف، عند حاجبيه، فهما عريضان، سوداوان، بلقيان ويظنسان ليتشكل أهل أنه كحاجب ثالث. ثم النظرة، مستقيمة، مباشرة، ومع ذلك صاحبة بمشاعر مكفوفة وبأسئلة لا متناهية. ومن ثم تقدم بعد لحظات لا كفص ميت، وأما بطريقة جلية، كما لو أنه سحب خلفه ثوب التشرقات».

ويبقى الوصف هو التصريف الوحيد لـ «ماني»، عبر فصول القراءة، ففي لقاءه الأول بـ «كلوي» يفسره هذه الأخيرة إلى «مالكوس» بقولها (ص ٩٠): «قلت لي أنه يقرأ كثيراً، ويملك حلاً جيداً وثلاثة حواجز وسأنا عوجاء». فسيت أن تجرله إلى أنحس، ليتهام القوياء، سحب ساقه، لسانه القاسي، ريباً هدف آبر معلوف من التذكير على الحاجب الثالث والساق المعلقة، والضممت، إلى إقصاء مسحة رسولية على شخصية «ماني»، وتلك لغيب على المسحة عبر دلالات أخرى. فالظفرة التي يوجي بها شكل حاجبيه لأبد أن تكون أسرة، وللشبي التي تسببها الساق المزعجة مستنمعة بلا ريب

متفرقة على بدايات جديدة، فالتفاصيل التي ألقم بها معلوف الزمن الروائي الأول، لم تشكل أية مفصلات بنية لتدريج النص في الزمن الروائي الثاني. أما بالنسبة للشخصيات المرافقة لـ «ماني»، فلا مساحة فعلية من جانبها في تحريك معجلة السر نحو النص التاريخي السياسي السلمي احتوى الرواية. في هذا الشكل الأحادي الاتجاه، وتحت وطأة البز المتواصل لمعظم الدلالات التي تطل اشاراتها عبر المنيح الرضي العام، يشغل عنصر الوصف موقعاً مبرزاً في وحدائق الضياء، إذ يمثل هذا العنصر صامية التعبير في سعي للإضاءة بواقعية تاريخية وجغرافية وإنسانية تتركز عليها الرواية.

وقد نتجج أمين معلوف في الوصف على الصعيد الجغرافي بحيث تحكم بالمعبر الذي انتسب إليه وحدائق الضياء، ورسم للنص جبرائيل بدقة يمتد في الطلال الأظلم المكناني للسندلر قبساً من حصارته، وحسب القاري، على إمانه اكتشافه بصفحة من التاريخ متجدداً بواقعية لا تلوح منها رائحة الجليف، إلا أنه عجز على الصعيد الإنساني من الالتزام بجله الواقعية، فطنى للتخيل على وصف الشخصيات وتصورها شخصية «ماني»، ريباً للنص في المصادر التي تسند كتابته، أو لرفضه من وأمين معلوف في استعمال كل ما يسيء إلى الصورة التي عمد من خلالها إلى انصاف «ماني» وتوضيحه عما خلق به من إجحاف عبر العصور.

## زمنان روائيان في رواية واحدة


صدر حديثاً

# من نافذة السفارة

## العرب في ضوء الوثائق البريطانية

نجلة فتحي صفوة





36 KINGSBRIDGE  
London SW14 7JL  
Tel 01 245 1905  
Fax 01 235 9005

# علة الموت أم علة أن يكون المرء شاعراً

حاجم مردان

الزمان، والذي نعيد القول في أن الشاعر  
حول احتزائه أو تحميده لاعادة لحظة الموت  
الى ثمر مطلقها فاستغافت حشرة تنكسر في  
صدر الشاعر يهبها بالسؤال المحرقة هي  
الله اعرف اني لست بياكي تعطي سر  
وذاك لكي اسأل ابن ابراهيم كي اعرف  
كيف تفسر هذا الكون وفق هؤلاء.

يستخدم غسان مطر كل أشكال الشعر  
للتعبير عن مضمون واحد تقريباً، أيًا بتلايس  
من يستذكر اشياء لا تشبه إلا نفسها ولا تنكسر  
فيبدو الحزن ملوثة بكاء، كل دمع يعني  
فقداً يختلف من دمع يملوهو أو ينحدر من  
بعده، كان الحزن الذي فيه يشبه ما بقلب  
العالم العنصري، إذ دمع وحدانية الحب عبر  
المصور إلا أن الكلام، سبب الشعر، لا  
ينقطع فيه. كذلك حزن الشاعر الذي في كل  
مرة قصيدة يتخذ شكلاً جديداً مساهمة  
للمعنى التي لك بالشاعر وفجرت فيه  
الكلام، وهو على دراية تامة بما يأتي، بل يلف  
على قاعدة تجريرة في معالجة الشعر ليحسن  
التعبير تماماً عما يتلب الشعر، فلا يجد  
ارتداداً في القصيدة عندما يلجئ الى الشعر الى  
عمود الشعر ولا تجارة السائد حين يرسلها  
مقفلة ولا هاتئة مبهمة حين يتراها. ومن أمثلة  
وحداثيته الحب لا ينقطع شعر غسان عن حزنه  
وإن كان الحزن واحد عبر العصور.

لا شك في فصائد مجموعته الثلاث بين  
مضمون وشكل، الحديث عن الشعر يجزئ الى  
الحديث عن الحزن الذي هو فحوى الأول  
ويرشد بل مقصراً.

بل لا تنص للشاعر إلا للاحتياج وراء أسئلته  
القديمة، لكن القصيدة تأخذ مسحة الرشد  
في اکتبال عذتها وقد حُفَّت حدة الصراع قليلاً  
وأطعمت الأشياء الى جوهرها ليجلج بالدمع  
والشعر والنبهة. تنضح شئب المجموعة  
الشعرية الثابتة في القصيدة الهلالية الى روية  
الشاعر، أم لارا، مصاصي، بهشتان،  
والدحسول في ذاكرة المديانة، ومن العوان  
تستدل على فصح جديد يدها الشاعر حيث  
اننى الغرض من وصوله الذاكرة اسما هو  
تفحص غير دقيق لآلة مطبوعة كان اسمها  
الذاكرة، تكاد هي الأخرى نسي أو تمحل  
لولا ما تركه القلم الهادي قبل انكساره أيضاً،  
يستعين الشاعر وكما أسلفنا بما جرى لتسديد  
المسح وحله الصليب على طريق المحلولة في  
نغم بين التكليل لم المسبح وأم لارا، يستمد

يبحث الشاعر  
بحثاً مجنوناً  
في جوارير  
الآلهة عن  
معنى الموت

تستف حقيقة علاقة غامضة يفهمها أو  
يفسرها الشاعر وحده، بين انقطاعه عن  
الشعر وحياة لارا.. أي القصيدة التي رث  
غسان قولها تجسدت عصفورة للشعر  
فأحسن السكوت وحسن شعر بخلولها  
جهز كل الشعر لرحمة التجسيد وتميد لارا،  
أم الشعر، وقد فشل في مهمة التجسيد أمام  
الى الله كل أسئلة الوجود لتبقى هكذا دون  
جواب. ٢١

لقد تجمل الشعر حتى الآن، وهو أمل  
لذلك، مهمة الفطاح عن عسان الانسان  
والباب بفنان الشعر، كان القافية ارتفعت  
بال مصاصي مع الأمهات برن جوارير  
عبر عبيد المصور فجدد في المسبح، مريم  
الصبيح، يتكلم في الأعراس فطيفة وفي  
المجموعات الثلاث تقريباً تكبر ما يكون  
المرء مثلاً بأفلس ما تقتضيه الحياة الأرومة وترو  
وشهاده، وكان الصوبل أصلي ما يكون في  
وعزف على قبر لارا، المصور مجروح  
والقصيدة ذبيحة في فحوى من الدم، حتى  
يسأل الله منذ فائحة الكلام: «أيها الله، ماذا  
فعلت؟ لماذا تشبعت في وقت اكتملت».

ويكأن نشأ في معنى الوجود وبحثاً مجنوناً في  
جوارير الآلهة عن معنى الموت عندما يأتي بلا  
معنى، من حيث لا يتوقعه أحد أن تمتد يد  
المترن بحزمة بكل أسلحة الفناء لتختطف  
عصفورة، كم يثير الموت غنا من السخرية  
الموجعة! وما كان أعنى الفتاة بحاجة لعناء  
حل هاتيك الأسلحة لاختيالي أطشى  
الطغفلة.. هناك، حقاً، تكمن مشروعية  
السؤال، الذي استغاه الشاعر وصاغه في  
أوجع حيرة، بل وإصادة النظر بجميع  
النواحي، أن يكون في شرائعها شيء ما  
حدث؟ والشعر وحده من دون كل المعون هو  
الذي يطرح مثل تلك الأسئلة، لأنه العارف  
أن لا جواب سوى ما يتيقن الشعر في نفس

ناشدة لعصفور البكاء

شعر  
غسان مطر  
دار الفكر للأبحاث والنشر - بيروت ١٩٩١

بعد مجموعته الشعرية، وعزف على قبر  
لارا، وهو ما سأل على دم القصيدة، ينتج  
الشاعر غسان مطر عودته الى الشعر، وقد  
انقطع عنه منذ عام ١٩٧٨ حتى عام  
١٩٩٠، بمجموعته الثالثة بعوان «ناشدة  
لعصفور البكاء»، إذ نجد صاعداً رسمياً لا  
يستأن به بين انقطاع الشاعر وعودته، لكن  
لا يسأل الشاعر عنه خصوصية مبرت الشعر  
لا يعرف كمها حتى الآن، وعند الشاعر مطر  
حادثة تؤرخ لعودته، هي استشهاده وحيدته  
لارا في حادث انفجار أثناء الحرب الأهلية،  
هو الذي زلزل كيان غسان مطر الانسان، إذ  
استضاف على هول المصيبة أمزج سعيداً،  
فكانت روح الشاعر بانتظاره. ظلت ترمو  
حواليه طيلة اثني عشر عاماً تنقص قليلاً عن  
عصر الحرب وتقترب قليلاً من عصر القفيدة  
لارا، هذه التواريخ وما تحويها من مغزى هنئ  
للشاعر الكثير، بعدما انقطع طويلاً عن  
قصيدته، فأصدر مجموعته أتمى الذكر في  
عام واحد ١٩٩٠، وألفها بالثالث في عام  
١٩٩١، كان الزمن ما عاد في صالحه (ومنى  
كان الزمن في صالح الشاعر؟)، فخلقه  
لصلحة الشعر في محاولة اختزال الزمن  
الضائع، إذ الحسارة فيه تغاس بعداحة  
المصائب الذي ملوكة من ثلاث جهات هي  
أعبار وحيوات وكتيبتات.. عر الحرب التي  
فتت وطن الشاعر الذي طالا غناه وفتنى به،  
وحياة لارا التي أهدتها الحرب وهي فتاة الشاعر  
وعنوان أبوة الحياة القصيدة التي عاشها عسان  
في وقتها لارا، وكتيبتة الشعر الذي لا تعرف  
ماعية وجوده وأسرار اختبائه أنه غير أنا



بضرورة صفو الشعر وقد حبط قاعه ليخرج كل ما فيه، ليتخذ غريقه دون جدوى، بها تجمعت بين يديه، على شاطئ الحسنة المحتاج، أمصداف ومجارات، كسود كوز بصفتها ليصرف تاريخ الشرق وهمل الليل ذاكرة، عاد الشاعر إلى صياغة أسئلته لتبدو اجاباتها أشد استحالة مما كانت عليه.

لم يكن دأب الشاعر غسان مطر في عجمواته الثلاث البحث عن الغائبة، وهي ملازمة لجميع قصائده تقريباً، إذ رغم ثغته الواضح من مادة الشعر لغة وتفعيلة وتصويراً، إلا أن قافيته تأتي بتسايب يبدون من شدة حيكته، أن الشاعر ركب كل هذه القصيدة ليجتمع تلك الغائبة، مما يجعل القارئ يعيد قرائتها إذ يطبق له الكلام وقد تفرقت معه فالشاعر يعتمد تركيز التخلل الدرامي للقصيدة في جانبها بالرغم من التبعيد المقصود بين لافية وآخرى، كان الشاعر على ثقة بقوتها بحيث لا تنفضها عن القارئ وأدنه منها تأخرت وهذا يدل على صعوبة لدى الشاعر بابعة من ملكة شعرية وبدرة لموية مبنية تشير إلى ثقافة الشاعر الرفيعة ويؤكد من أدوات التعبير، إذ نعدم تماماً الكلام المحلول قسراً أو الغائبة الملقاة إنا سلاسة القول إذ ليس حياً كما يقال لواحد فقط لا يصح معه التمس، مقرأ في قصيدة وشهوة: «يرث الأرض أطلساً الراحلون، / ومن يرث الراحلين / وهذا الغواش الشهي؟ / وما كنت أسأل لو أن في مقعداً / في مزارع الرجيل، / أو طلعى لديه الغناء فيمضت ناعياً، ساعماً، عرياناً، حين يعيش في القلب الكلام وتزحف العبارات مثل حجارة لغني وحيل: / أو فسروا في قصيدة «رجل: / وخيل الحرب أشرة مقبوسة» (إذك مرث عليها الريح / تزلق تم تنكسر، / فكيف مضوا / وما في الليل غير شهيق المذبح؟ / هل عرلا / الصدى حسراً / ووق حيرت عرو؟» وعسان لا يتوز إلا للشعر إذ أحرته صارت جزءاً من حياته ومن ثم شعره، بقول في قصيدة اكشال، آخر قصائد مجموعة «دافنة لمصنوع الكساء»، «الزمام الذي كان حلجلة / صابر مشددة لعداء، / ولعلنا بعد عجموتين مرث من موكب شعره لم نكن عتينا، كنا كاتنين للصمت في جلال الحزن، وفي الثالثة سمح لنا الشعر أن نسبه، ولعله أمدى معرفة لنا في سملحه. □

نرى / والصلاة التي لا يرقأ لها الله / والكلمات التي لا تقال؟»، تشرى كم الحزن متصفاً في نفس الشاعر إلا أن حاله ما يحوط القصيدة، يرقف الشاعر الكلام غلل ما تفتي من التشيع يلامس أسر أسره المكتشفة إذ يأتي الشعر من الخلق الآخر لوجعه، قلبه ونظر ملأ ولا يجده يشبه غيره ما يزيد من وحدته، وكان انعصر العالم من حول هذه أماله حمله يشحن النفس بهذا القدر الخائل من العزلة تشعره بعقم الآخرين، إذا استقر به الأم وهو يستنجم بقية من يقين قد لا يكون في حقيقته إلا وجهاً آخر لذلك، نحال إلى غلبة تستنجم أبعادها من صور غوطة في المعز منافعها ما نحدث يقول كل تصور إلا العنبر الذي جعله غداً مطر حصان طروقة يدخل مدينة أعداء، هي ملكة الموت، ويعني عن الأحياء فتلهم الأدي في سر أفعول هذا المجهول، الحبيب، الحبيب الغريب، الموت، مردود دون كلام عسكرة. وأن الموت هو الحقيقة الوحيدة في هذا العالم

حين شعر غسان مطر أن القصيدة عادت صارتها الأول في القصيدة، صلب النظم فيها على صيغته، صلب النظم ككاهل مهددا أحرته عليها تام قليلاً، هو يوزننا ويرثها حتى تخرج تماماً من غرض الرثاء الذي عهداه في الشعر، أن يكون الحزن، برغم سرورته، مادة جديدة للشعر فيستولد من ذات الحزن ذاتاً للشاعر أخرى حين يخل عليه الحزن يخرج أنه ويفلسها إذ تتجلى له عبر غسان فريد حال من أبنية هذه الأنا التي طالسا لها في الشعر.

تقتصر القصيدة في مجموعته «دافنة لمصنوع الكساء»، على مشهد واحد يدون الشاعر عليه مرثياته أو غايا أشياء شهدت حربه الأولى، يرث عليها ما فقتت إليه من تعاقب شكرها أو هو يرد ميراثها أيضاً، ولكن شاركته الوحوم وتم نوزع عليها كاهلها أحراراً، وكأنه كاهلها، يقول في قصيدة «طل: / والكلام شهية»، «وما راد ما ييسا بساء، إذ السر الذي تنكشت أسناره يروح أخيراً لكن دون اعلاش الشاعر عنه، لكنه يقول تورئة: / وهاج في الحديل / وواظ صلت الحماة»، يصير الكلام تليماً لعناء، إسدالاً لنتر بعدما أطارت صوله حاله المعاة، أحس

## القصيدة في المجموعة تقتصر على مشهد واحد

مشهد واحد

عنوانه من ثقل الصليب الذي تحمله حزنًا عن الصاعدين إلى السماء، يقول: «سلام عليها / وود صار بين يديها / الإله قبلها / دما بكته / وأنت على موته حرباً / أتفتد؟ / صابر القتل لهما». في القصيدة التي تليها، وهي أطول قصائد المجموعة وسيلة باسمها، نلمس استكانة الشاعر إلى تأمل يستمد أعياه مما يمتثل في هذي الأعصاب أو الأحرى مما ترسب في قاعها من إحسان بالحسرات، قد لا يعوضه حتى الشعر، بل بالتكر الذي آمن أن الموت ليس ذاتاً حقاً. . . والشاعر يقس حسارته بالممر وتجاريه وانكسارته وكل ما أحاط بحياته من ظروف وبشر من أناس سدها لا يعلمون ميثم مساعدتهم، وآخرين حرائي ويعرفون ألف ميثم لأحراهم. . . انه التناقض الفاضح، ذلك الحزن الذي دهمه وكاد يحطيه لولا مبدعة الشعر، فكان شيعه ومن معه في شراكة الشعر بالقهر، يقول الشاعر: «وأيا الطوبى اسجدوا عينا / ودعوا قلبكم يشهي / وابدعوا بالكساء الذي / حين لا يشهي / يشهي»

تتبع لدى الشاعر غسان مطر العبرة، إذ لم يبق للحزن سوى «دافنة لمصنوع الكساء»، حتى يشعر القارئ، أن الأبد لا تسحب خلف ظل الحزن البسائي رغم غياب شمسه السوداء، إلا أن لشرقة الذكرى هي ما توفيق في نفس الشاعر إحساس مرارة في الحلق والروح وما يبقى يحض شعره، تنكش لديه استار الرؤيا كان الله أخيراً قرر أن يرث لكن كائن قال: لا جواب / وظلست، كما هي، الأسلة إلا أن أجوبتها هذه لثة ذات صلباً لكن متلفعة بأدوات استعملت لا شهي. إياها عنة الوجود لدى الشاعر ولتجان الموت الذي من شدة فتكه في العيس الشاعر جعل أحد الشعراء، الانكسار يطلق صرخة في وجهه قائلاً: «وأيا الموت، إنك ميت لا حالاً،» فيرثه شاعر من الخواص، هو مصراع من صفات قائلها: «والسوت ميثم إذا ما ناله الأتيل»، وشاعر المرء، أي علة الموت لم علة أن يكون الإنسان شاعرًا؟؟! وغسان مطر رغم خصوصية معالجة موضوع الموت لديه، إلا أنه لا يشتد القاعدة الفلسفية في السؤال عن معاشته، عبر فهمه هو وإيهام أسئلته، إذ يقول: «أين لغني المصنوع التي لا





# آية استثناءات لم يلونها القهر العربي..؟

شريف الربيعي

تابعة لدولة، أو حزب، أو مؤسسة مالية صممة والمشكلة هنا مضاعفة، إذ لا يفهم الملوك الحقيقي للمشروع حدوده البدئية في توجيه جريدته أو مجلته، بل تراه أحياناً بسبب من التحيز أو التنفوس أو الغرور أو كلها معاً يسلم صفحات الثقافة إلى أناس غير أكفاء، ومن هنا تنشأ مضاعفات مرضية كالأورام التي ليست من طبيعة الداء الأصلي وإتباعها الفطور السامة عليها. وهكذا فإن على الكاتب في مثل هذا المأزق أن يراعي ليس السياسة الرسمية العليا، بل أيضاً آمزجة أهواءه ورؤساء التحرير أو المشرفين على الصفحات الثقافية، ويخطف في علاقاتهم الشفلية إذا كان يطمح في ضمان سبيلة دائمة لانتاجه عبر صحفهم.

وتكرس الأهتمامات داتها وفي صياغة متحد إلهامها العلم على لسان الناقد المصري صبري حافظ: «لأن السمة الأساسية التي تسم بها معظم هذه المسابر الثقافية هي الغلبة والشذية من ناحية، والاصابعية وتكريس الذات أو مجموعة من الدوات المتمتدة رسمياً، والتي تتساقط رؤاها ومصالحها الثقافية والأبديولوجية مع السلطة السياسية القيمة على المجلة أو المصلحة لها من ناحية أخرى. فمعظم الصفحات الثقافية في المجلات والجلاتات هي مابز لأملاء شال الآات أو تكريس تنمية الثقافة للمؤسسة السياسية». ويكتب الروائي عبدالرحمن صيف عن قانون الأشرار، فيقرر الأوضاع الخاص للصفحات الثقافية بالشكل التالي: «أن الصفحات الثقافية في أي دورية عربية تنحصر لاعتبار من ثلاثة: التطف، الموقف السياسي، العلاقات الشخصية، ولا بد أن يكون واحد من هذه الاعتبارات ما يعطي تلك الصفحات لونها وبهجتها، وتالياً مقاييسها وقبحها. وإذا كانت الاعتبارات السياسية أو العلاقات الشخصية ترك الأثرها في هذا الصمور واليوسية في الصحافة الثقافية، وتجعلها بحدية عن التأتير، ولا يبين من خلالها الواقع الثقافي أو التصاير الثقافية الحقيقية، فإن اعتبار الخط أشد وأصلح ولا يعني ذلك تربة القوى السياسية من العصب

اتنا، في العالم العربي، اقتنعا بانفصال الصحافة عن الثقافة فأفردنا للثقافة صفحاتها الخاصة، وتركنا الإعلام يصول ويحول على جمل صفحات صحفنا». أما الشاعر أنسي الحاج فيقول: «ولكن هناك أيضاً ضرر كبير أنزلته الصفحات الثقافية التي أصبحت صحافة (تصنع) وصحافة (عثرين)»، هو الإرهاب أحلت إرهاب (أصحابيا) عمل السلطة المستعفة، سلطة الكلمة والضمير، سلطة الحان واللحمة. وهناك ضرر آخر هو التزوير: تزوير الإقفاء، وتسوير التصوير، وتسوير بقل الأسيار من النصف إلى الشخص». ومن أسيانية وقع مستوى الصفحات الثقافية وهي ديوية للإبجيانية: صابح طلي التهجيز يري الكتاب السوري: «بعض هؤلاء... لا يتحكون ومع مستوى الصحافة الثقافية إلا بظير النظر، للصفحة والصفحة عاماً، وهي: الخطوة للصفحة، بيشرة دون نظام سياسي سائد يقيم شرعية وجوده على احتجاز الثقافة والإعلام في الوقت نفسه، وفي ذات السياق، الذي يهزب على وتر المسألة، يقول الشاعر العراقي بلند الحيدري: «وصفحاتنا الثقافية... وشي في التعميم أيضاً، وشي من التأس الممل لها، هي أبا وسل متغني الوطن العربي، تماي من ضربين من القهر: القهر للنظم الذي يفرضه سياسات الأنظمة وجرم العساكر وأحذية العشار وعمى الأحزاب. والقهر المبد الذي يفرض كل الواقع العربي». ويرى الكاتب السوري سمع الله وتوس اته: «مطلوب تعميم التضحية. تعميم الجهول. مطلوب تحزب الذاتية. مطلوب تدني مستوى الموايل الثقافي. مطلوب ألا يكون هناك حوار، وألا يكون هناك سجال جندي، وألا يتبلور قيم ثقافية بتانة في هذا المجتمع. وأن يكون الطموح للصفحة مثل هذه القيم متعذراً أن لم أقبل مستحيلاً». ويضيف إلى هذه السياسات أكبرها جميعاً مصادرة الحرية وليس غلبها غير قهر وليس اختياراً، وهو الرصد الذي يصغر عنه صوت الشاعر السوري شوقي بغداد في: «العلم» وإن معظم المودرات التي تصدر في الوطن العربي

■ يخرج الذي يقرأ ملف مجلة «الماء» وصحافة بلا ثقافة وثقافة بلا صحف، يباطع بفيد أن المجلة التي برع تشاراً «أبداع الكاتب وحرية الكاتب» نصبت معاً في كسوا في الموضوع، وأنها فقلت ذلك معتقدة وروياً قائمة بأن الموضوع مشرع على هواه فضائع ثقافية، لا تخرج في الغالب عن دائرة الأهماء. موفرة أكبر قدر من حقائق الأداة للصحف الثقافية، أو لصفحات الثقافة في الصحف العربية، وأحب أن أعتمد أن الناقد حسنة البية وان مدعها من وراء ذلك عبارة ظواهر صارة والأفتاح على وهي أكثر ملامسة للعدالة ولم أقل أكثر تحملاً لسيادة الحرية وصيانة حق الرأي.

لمحت عنوان بارز آخر في المجلة عن «شهدت ما كتبت» شهداتهم يتقدم أكثر من خمسة وعشرين كتاباً عربياً يشهداتهم حول «سلبيات» الصحافة الثقافية: يبدأ الكاتب المصري أحمد جودة كلامه بتحديد مهمة تلك الصفحات بقوله: «ومهمتها ليست ثقافية بقدر ما هي (أصلاية) وتنويرية وإخبارية، وعليها أن تعرف بأن المستوى الثقافي للعديد من الزملاء الصحافيين لا يسر أحداً، فكيف نطالبهم برفع المستوى المهني لصفحات الثقافية التي يكتبون فيها أو يشرفون عليها». ويقول الكاتب المصري أدوار خراط: «والأسط، مثلاً، يومياً أو يكاد، في الفنون التشكيلية في صحفهم» (الحياة)، ندرة أو قلة تتناول فنانين تشكيليين من بلاد غير لبنان والمغرب، وأسأل لماذا تعرض على بعض الكتاب مساحات تكاد تقي عليهم سواها (في تفصيل) الموضوعات - أو حتى القصص - على قدر الثقافة (مثل (التزوية) هذا بالطبع إلى أن هناك داتاً عظومات وكلها وأفكار من سوع (والناوب) الذي يمنع ذكره أو مسه من قريب. وأنواع الرقابات، سياسية، خاصة، وثقافية، عامة، براعها الكتاب، عالساً، تنقص حتماً من قيمة ما يكتبون ويراعها الحرورون، داتاً لفتشه إلى حد كبير أو قليل ما يقاله. ويرى الكاتب اللبناني الباس عوري المشرع على الصمعة الثقافية في جريدة (السفير سابقاً) والمثلت





وضيق النظرة وتغليب الآي، واعتياد لغة القبيلة، وأيضاً مسؤوليتها عن جزء مهم من السبلات التي تسم الواقع الثقافي الراهن نظراً لسياستها السابقة، حين اعتمدت المتعة والكسب مقياساً، ويسأل الناقد المصري فاروق عبد القادر: هل يستقيم الظل والعود أمعج؟ ويقول عن الصفحات الثقافية في صفح المعارضة والحكومة وفي مصر تحديداً: «أهم ملاحظتها أن أي منها لا يصدر عن تصور واضح لمفهوم الصحافة الثقافية، أو للود الذي يجب أن تلعبه في (تقليد) قارئها (وتوسيعه) وتقديم وجهه نظر متكاملة له في شؤون الواقع الثقافي اليومي: نواقصه وأوجه التسليح والغلوغالية والارتجال فيه. يرتب على ذلك أن تصبح جزءاً من عملية ترزيف الوعي التي تقوم بها أجهزة الإعلام على الوجه الأكمل، وهي التي كان يجب عليها - وهذا مبرر وجودها - أن تتوجه نحو كشف تلك العملية، لا الاندماج فيها إلى الدرجة التي لا تصبح عندها متنازلة عنها».

أما الشاعر العراقي فاضل العزاوي فيشير إلى أن الصفحات الثقافية: «لا توجد مستقلة عن لينة حتى تكون قادرين على تقديمها كظاهرة تنمك عروباً وإمباتها الخاصة بها وإياها شكل عمل البيت ذاتها، وهو شكل سياسي قبل أي شيء آخر. ولذلك فإن أي نقد يوجه إلى الصفحات الثقافية بمعزل لا عن الشروط السياسية للثقافة، ولكن الأجنبية أيضاً سوف يظل نقداً ناقصاً. لأن لكل صحيفة موقفها من نسط الثقافة التي تقدمها، أي أن حرية المحرر الثقافي مرتبة إلى حد كبير بالحرية التي تتيحها له الصحيفة التي يعمل فيها. ولكن عندما تكون حرية الصحيفة نفسها ناقصة، فإن ذلك ينقل بالضرورة إلى الثقافة أيضاً. في واقع الحال أن كثيراً من الصفحات الثقافية تذهب إلى أبعد من ذلك في الهوامز وراء الدعاية،



نافخة الروح في كتب وشعراء، لا يمتلكون آية قيمة حقيقية في حين أنها غالباً ما تغفل عن الإشارة إلى الأعيال الأكثر أهمية وخطورة في تطور الثقافة العربية، وفي بعض الأحيان العربية يجرى حتى (شتم) الكتاب المبدعين، من أجل عدم تذكير الناس بهم».

ويركز الشاعر اللبناني محمد علي شمس الدين على علامتين تسيطران على بعض الصفحات الثقافية وهما: ١ - التسييرية... حكم من ديتكسوت كتاباتكم فوق نلتة في الجريدة... وحوله أشباهه يصفقون بلا روية. ٢ - الشللية... فقد تحولت الصحافة الثقافية عندنا أحياناً إلى صحافة عصابيات، ويتبادل خدمات (مدحاً أو قدحاً)... والألسبب هنا متعة، في النتيجة، الصحافة الثقافية عندنا جزء من بيئة الثقافة. حاملة ثقافة هي، وصناعة ثقافة معاً تمكس وتوجه».

ويورد للشرف الثقافي على صحيفة والحياة اللبنانية مصطفى زين رايه في سياق تجربة عند أكثر من خسة عشر عاماً في الصحافة الثقافية فيقول: «والطريف في الأمر أن الكاتب كثيراً يشرفون على الصفحات الثقافية البلدية، ويكرسون كتاباتهم بشؤونها، ويدافعون عن نقاعات لبياء البلد مقابل الآخرين... وهكذا نجد منابر واسعة الانتشار تعمم سياسة ثقافية ضيقة، مدعياً أنها تمثل العقل والفكر العربيين، مرة باسم الرئيس ومرة باسم التقديس، وأصبح تصيف الكتاب على أساس جنسية أو دينه أو عائلته مقياساً تقنياً... ولا تقتصر الرقابات على منع انتشار الفكر بل على تعذيب الكتاب».

ومرة أخرى بواسطة الكتاب، إلى التجريبين على عدم الكتاب أو ذلك بحجة أنه ضد القيم الدينية أو العربية. ويقيم الكتاب اللبناني نصري الصايغ ملف والناقد متسلاً: «ماذا يعني المنبر الثقافي في ظل طغيان الرأية فردية قاتلة، لا تتمتع بأدنى درجات الحس والفهم الديموقراطيين، حيث يتم تزوير القول، بالاتقاع الفردي، القائم على استثناء الذات فقط، في أقصى درجات موقفها المضاد للآخر... لدى هؤلاء، الآخر القليل، هو الآخر الذي يشبه أو يجب أن يقيم مع الذات علاقات ما. أما الآخر المرفوض، فهو الآخر الحقيقي الذي يتميز بذاته لا بسواه، أو بذات صاحب (المنبر الثقافي)».

تعمدت أن أقطع من كليات الكتاب العرب للشاركتين في استثناء والناقد حول «والصحافة الثقافية» تلك الآراء الصريحة التي تضع سبلات العمل الثقافي في الصفح العربية، فالذين غمضوا عن إيجابيات في عمل تلك الصفحات إننا أشاروا إلى ماضٍ ترحوا عليه وشادوا يروح التسامح فيه. على أن الكلام عن استثناءات في عمل الصحافة الثقافية وعمل قلتها يمكن أن تكون أو تشكل حواراً مع الواقع، فإن

ذلك الحوار جاء مفصوح الوقع من خلال كل تلك الإشارات التي لم تتوفر على روح استثناء، ولم تهمس به كسر، فالذين كتبوا كانوا من العالم العربي الواسع، وكانوا بأراء مختلفة، ولكنهم أجمعوا على رأي واحد موحد يذكر ويذكر سبلات «الصفحات الثقافية» ويذكر من عصفها الناكسة عن الحرية والإبداع أو عائلتها أن تكون أحياناً له (الإبداع) في جو الحرية المفترض، فقد حضرت صفات القهر بشكل رقابة وتزوير وشللية وارتزاق ومطوعة صاحب المطبوعة فرداً أو مؤسسة، وتعت تلك الصحافة بأنها صحافة عصابيات أو أنها خاضعة لمرجعية فردية أو على طريقة وحك لي لاحق لك، ويظهر في تلك الصفحات وبأسلوب عملها «ديناصورات ومسخوخ»، حيث التفتد في تلك الصفحات ترويعي أو أجبر أو متشيع، وإن لكل دولة شعراؤها وكتابها، أو على هيئة الأنيام الخاص كقول الناقد فاروق عبدالقادر: «لأنني تولدت روايتي، لمجاهل جمال البطاني وأرتزاق في صفحته، ومن صفات الأنيام ومفرداته المائلة في فضاء السبلات، أيضاً حلول التشخيص الأشمل، فقدان الحرية ومصادرتها وطمعان القهر على التعبير، ثم الحديث الدائم بلغة الشكوى وصرعها الحساس الدعوة إلى الديموقراطية يقول من يمسر القول، ثم يجد لقلوب مكثاً ينشره من دون رادع من رقابة أو غرض».

والآن من يستطيع أن يجد نفسه ونتائج خارج دوامة تلك الشكوى ولؤلؤ الطبع بدم الجلال سواء كان منظوراً ومثلاً بيئة رقابة ساخرة ما كان بيئة أخرى من ذلك النوع من الصقع الغلف بسوفان الإغراء على شكل مكافئة تأخذ التعبير بحرية عن هم وهم الناس وصولاً بغرضه إلى الإبداع للتوحي حين تكون الحرية شرطه لتنجيز ويتجمل بصورة تأثير وتفاعل واستمتاع. إن المشاركة في لوعة الشكوى تسع، فيصدر تلك الصفحات المشكوك من وعرضها وإن كان يفتن للشد والمؤذي، وحين تسامت في البداية عما إذا كان هذا الاستثناء فحاً نصته والناقد للكتابتين في إطار سؤالها عن «الصفحات الثقافية» كنت أعني بالقطب أن حجم تلك السبلات التراكمة لا يعني أحداً من القارئون عن تلك الصفحات من مسؤولية الإثم، ولكنه إثم من النوع الحساس، إذ هو في أحيان كثيرة لا يظهر شكواه، انسجماً مع القناعة أن الظل لا يستقيم والعود أمعج، أو الشعور المتبلور من قهر الحاجة بطريقة الأكل على مائدة معاوية حيث تعزني الدمية، وحين لا تكون لا تلك ولا هذه من مغربات في التذمر أو قبول التواطؤ نطل نبث عن استثناءات تراص الحوار وتبني سؤال الحرية، ولكن السؤال يفتح عنه عليها بلهجة مسخرة، ثم لغة استثناءات لم تولوها أبحار القهر العربي... □

# هل سقطت الأقنعة؟

فريد بنا  
سورية

موقف شبه موحّد من القضايا التي تواجهها يعرف ما له وما عليه في تلك المرحلة.

ولكن ويخط معاكس نجد أن الكثير من هذه القضايا ليس مطروحا أمام فكر قسم كبير من الجماهير العربية وتلك الأسئلة المتعلقة بالقضايا التي أصبحت تهددنا بشكل مباشر ويجب أن تكون حاجتنا اليومية غالبة - للأسف الشديد - عن الكثيرين. أخذ كتمال مقالة السيد فوز، بالطبع لا نستطيع أن نعمم انطلاقاً من مقالة واحدة ولكن الاحتكاك بالأجواء العامة ومطالعة مقالات الصحف العربية (الكثير منها) يمكن كلاً منّا من ملاحظة وجود تفكير مشابه لدى فئة واسعة من جماهيرنا العربية خصوصاً في المشرق العربي.

فترصدنا لموقف المفكرين العرب والبالغ والتدب الذي لا أساس له يدل على ذلك، فهل يجب أن نتنظر أكثر

من عشرين عاماً من التراجع المستمر خصوصاً على الصعيد الفكري لنسج ونسب؟

ثم نأخذ على مفكرينا عدم تباهمهم بالتغيرات الجارية التي حصلت على صعيد الواقع العربي. وقد تكون تلك الواقعية هي التطور الأهم الذي طرأ على مفكرينا وأقربنا في الفترة الأخيرة ولعلها المكسب الوحيد الذي نحقق لنا. ثم إن الكثير من هذه التغيرات - التي قد يعتبرها البعض إيجابية - لا أرى فيها أي إيجابية بل أرى في بعضها قسمة سلبية إن لم يكن على مستوى الحاضر فعل مستوى المستقبل القريب. يحق لأي مواطن عربي أن يتساءل أين الديمقراطية التي نتحدث عنها في مصر والأردن وهل حققت أو ستحقق الديمقراطية الشعبية؟ وأين توقفت

هذه المقالة ليست نقداً بشكله الكامل - لكن عبارة عن مجموعة خواطر اجتاحني بعد قرائتي لمقتاتين في النافذ العدد ٤٣ كانون الثاني/يناير ١٩٩٢. المقتاتان لكاتبين سوريين الأول مقيم في فرنسا السيد هاشم صالح والثاني يعيش في سورية السيد فوز مزمل.

لحظة من التناؤل لا أستطيع إنكارها انتابني بعد قراءة مقال السيد هاشم، ففي هذه الأوقات التي نعيشها - مهما اختلفت الآراء في تحديد ما يجمع معظم المفكرين العرب على تسميتها بالعصيبة - ببعض من الأمل عبر عنه كاتبه بعبارة (ظهور زمن الفكر) حيث نستطيع التناؤل بإمكانية ظهور ذلك الزمن من تلك الأوضاع الصعبة المتراكمة التي عشناها ونعيشها، ونفعل بالتالي بمواجهة أنفسنا ومواجهة الواقع بأسئلة تردنا كثيراً في طرحتها، أسئلة تتجاوزها الخطوط الحصرية الحساسة التي أقيمت حولنا، وسامنا في أفاقها. من المؤكد أن هذا التناؤل ليس استنساباً، حيث لا يمكننا القول بأن هناك الكثير من الواقع التي تؤيد استنساباً بل هو أقرب ما يكون إلى الاحساس الداخلي الذي قد لا يجيب في بعض الأحيان. ما يدعم هذا التناؤل ذلك الفهم المشترك - الذي نستطيع لمسه لدى معظم مفكرينا - لما حدث مؤخراً وما يحدث الآن، تلك الصدمة الشاملة التي ولدت لدى مفكرينا شعوراً واحداً وفيها واحداً نستطيع أن نلخصه بتلك التناؤل:

١ - فهم أغراض الاستراتيجية الأميركية المرتبطة بإسرائيل وطبيعة العلاقة الأميركية العربية من خلال ذلك الفهم.

٢ - ادراك التغيرات العالمية وبدء استيعابها واستيعاب تأثيرها السليبي على الواقع العربي، وبالتوقيت نفسه ادراك ما يترتب علينا من نتائج مختلفة نتيجة سيطرة القطب الواحد الأمريكي في العالم (بالنظام العالمي الجديد) حيث قد يكون من الممكن الاستفادة من بعض هذه النتائج مستقبلاً.

٣ - الفهم العميق للواقع العربي الحالي بعد الأحداث التي تعرض لها مؤخراً وفهم الوضع العربي الداخلي وأهميته ودوره الحالي في احاطة أي تقدم. وبالتالي نتيجة ذلك الفهم المشترك تولد لدى مفكرينا

ديموقراطية الجزائر؟ وماذا خلقت؟ وإلام سيؤول ذلك الوضع في الجزائر؟ ولعل السؤال الأهم: من هي القوى المستغلة لتلك الديموقراطيات تلك القوى التي يقرضها واقتنا العربي المريض وما هو هدفها وماذا يمكنها أن تقدم كحلول لمواجهة هذا الواقع؟ بل كم عظيمة هي درجة الإحباط التي نشعر بها نتيجة نجاح تلك القوى في الوصول إلى تلك المواقع وإن كان ذلك نجاحاً جزئياً. ثم أين نحن من التضامن العربي؟ أين دول الاتحاد العربي ودول اتفاق التضامن العربي؟ إلى متى نتنظر؟ فنحن بحاجة إلى نتائج على أرض الواقع فإن تلك الإجابات؟ سؤال يدهي عطر على ذهن كل منا: أين إسرائيل من كل هذا؟ وهل من الممكن حدوث خطوة إيجابية دون أن ترتبط من قريب أو من بعيد بإسرائيل؟

متى نفهم ذلك؟ متى نفهم تاريخنا القديم والحديث لنعرف ما أوضاعنا ونحدد موقفنا ونسجنا استراتيجيتنا لعلنا حتى اليوم لم نعرف بعد عدونا الحقيقي وصديقنا المرحلي الذي يمكن أن يساعدنا، ولم نعرف بعد استحالة تحقيق أي تقدم ونحن على وضعتنا الحالي. الفهم التاريخي يحتاج لدراسة التاريخ والأهم من ذلك فهم الواقع الذي نعيش، فليس هناك أسراً من عدم فهم واقعنا الذي لا أظن أنه سيكون في يوم من الأيام أوضح من اليوم، ولكن لا بد من فهم الماضي لفهم الحاضر.

كل هذا يدعونا إلى التناؤل باخلاص هل سقطت فعلاً جميع الأقنعة؟ ومتى نستطيع أن نواجه الذات والواقع بجدية وإخلاص؟ متى نستشعر بذلك النزف الداخلي الذي يقضم مضاجعنا يومياً؟ هذا النزف الذي بدأ يشعر به مفكرينا، متى نستشعر كمواطنين عديدين بذلك النزف الذي يبلقنا في كل لحظة من لحظات حياتنا اليومية، وهل نستشعر به؟

لكن بعلمنا التاريخ أن أي تغيير يحدث يعتمد على فئة قليلة فاعلة مفكرة من الناس نستطيع أن نؤثر بقوة في الجسائر لتفعل معها، ولعل نقائنا يتناقل من استطاعة تلك الفئة أخذ مكانها المناسب ولعب دورها على غير وجهه حتى البهالة. □

صدر حديثاً

مذكرات حليم الرومي

حليم الرومي



## حتى لا يتبعها الغاؤون

ثائر يوسف عودة  
سورية

«عصر ملوك الطوائف والملل والنحل» كما يسميه الناقذ العارف باليأس كمال أبو ديب<sup>(١)</sup>.

وللتذكير أقول - يا سيدي رئيس التحرير - إني لست رئيساً آخر على مجلتكم - مجلتي، فأننا اقتضت القرائين والظالمين مفتي لاسيادهم وكذلك المهذبن جداً، لكني أحاول الانضمام إلى تلك الكتبة التي تمتد من معشلات أنصار: ١- ٢- ٣- ٤، إلى معتقل (طرط) وأنا مع النعرة والتقصص في الفن الموقظين في سياق اللون الترجمة والتي تقطر صدقاً وحرارة تجربة، ولازلت أذكر - إن كنت تذكر يا سيدي - تلك المجلات والأبحاث والدراسات والإبداعات التي حفلت بها المجلة مع نهاية النظام العالي القديم، وأزمة الخليج والتي جعلت مقص الأهل العربي تمتد إليها في أكثر من موضع دونها رافة، ومازالت نقرأ - على سبيل التمثيل لا المحصر - مع نعيم عاشور في مقلات وأحرف الوطن العربي المجدد<sup>(٢)</sup> تلك القائمة التي تحمل وتبكي ابتداء من قلع العينين، والخسوف وأطباء السجائر بالأحاديث وانتهاء بهدس البرافد الحورية في الجسم ومن ضمنها القديان والمهال بكل تأكيد.

يقد بحرف محقق الحديث الأولي عن «ساقا الشهوة» هو عدم تثبيت هامشية النكف العربي وتفاها كما يراها السلطان ولحكاهم بأمره وأمر الله ويجهد لتأكيدنا، وبكثاني أن تنظر إلى تعامله مع زبائنه الصحافيين ومؤسسات المجازة لتطبيق أو السب والشتم حال طلب منها ذلك.

أما الجاهل المسموح والمغني عن ممارسة دورها عبر الزمن العربي فقد أسقط في أيديها، لأنها كما يقول محمد عفيفي مطر:

«الشعب تحت عراء العار يرتجف!»

قد يسلّم الزئف الماثون في زمن ذبوبة الصحف.

فلنقذ هذه «الرائدة» - يا سيدي رئيس التحرير - عاقلة على نقاء العائلة وسلامة نسلها فقد تبعها أيضاً كل الششورين على مسامير الحارطة الكبيرة، والمهوسين «الغضبانيين» غاؤون - صغار - يتعزهم. □

(١) هذه العبارة في الأصل للشاعر مسيح القاسم وهي بصرفيتها: «كأس وسكي في جنة الشهوة»، الناقد، العدد (٢١)، ب أغسطس ١٩٩١.

(٢) من مناقلة له في العدد نفسه الذي نشرت فيه القصيدة «عقولنا»، عندما يكتب للمرة الثانية، تجربته في عالية «الم» للتذكير.

(٣) كمال أبو ديب: نهاية عصر الثورة: بداية أي عصرون، ١٥، العدد الثاني.

(٤) «اتفاق»، العدد (٢٢)، آذار، مارس ١٩٩١، ص ٧٧.

يوماً، وبعد هذا التأوه اللازوشي - ولا غرو فالعرب مشهورون بولعهم في التعذيب ونجح أنفسهم وإراقة دماهم خاصة على اليد الأميركية - الصهيونية - تصويب عليه إحدى قاذفات النظر «الباتريوتية» فتوقظ وتعلن للعالم بأسره أنه «انتصب أمامك، بين فخذيك، شهوة مقدسة»، وتتبادل بعد هذه الوجبة الفكرية والتي تعدّ صرخة في عالم «ديروغرافيا» الحدائق: أكلنا عاتى اسرؤ في عالمنا العربي - وما أكثر ما نعاتيه - من عدم انتباه البشرية إلى عضو المسكين ويتساءل بآنا كي تتعاطف مع هذه العظلة التي تطوق في إشكالياتها مشكلة الشرق الأوسط، وتتدافى لاجتماع مجلس

الجنس الشرقي فتشجب وتنسكب وتدين الظلم الذي حكى به، وتؤلب البراري المظلم الخبيث<sup>(١)</sup> ولم لا؟ فالرجل ينقسم ويشتق القسم «إلى قسمها»، وكانت عانة امرأة عربية ولكننا بحاجة لسام شهادة صالحة تلك «العائلة» الذين التزف الأخر من التزف الأخير التزف، لا ريب، ستطمان مستطام مع شهوة «القصيد الحديدي» فنحن كرهنا وألقنا التزف الأخر وبحاجة إلى «كأس وسكي في جنته»<sup>(٢)</sup>.

والقضية في شفيتها المحزنة هي أن تكون «ساقا الشهوة» على بعد صفحات قليلة من الأرض تحت جيوش الروم تجرّف، وفي جملة عجول كثير منا أن يتلفها دون أي تحزيب وسعي جاهد! لذلك ونشعر مع كل مرققة باتزيلا الظلام الثقافي ساعة يمتد ذلك للنفس «الأهمل» إلى الحروف التي تصب في حانة التزف الأخر.

فهذه المجلة - يا سيدي رئيس التحرير - مجلة «الكتيبة النبيلة» كما يركد المخلص محمد عفيفي مطر<sup>(٣)</sup>، مجلة من يعاهد ويقسم به «أدانة الحبر» محار (نا) ألا يخلد (نا) وهي رائدة: تجربة عائلة الأم المشترك، ويقف في أن أسأل: لم يدرك في بقاظة هذه العائلة المهوسون بأعضائهم الحديديّة والحشينة وحبايات الموهول كانتا الأفران؟ فيتطاولون ليقولوا بجانب من صهرهم بوقفة القهر والشرذ...، وأني لهم «المهوسون» الهامات التناروق! وفي ظني أنهم رعا

«إفراء في القصيدة الشاعر محمد عفيفي مطر: الأرض تحت جيوش الروم تنجرف»، «القصيدة منظر مصري، ساقا الشهوة»، مجلة «اتفاق»، عدد ٢٢، كانون الثاني/يناير ١٩٩١.

■ قد لا يصلح ما ساقوه من قراءة تحت باب وناقد ومتنوّذ الكبر والفي، فأننا لا أتق بعد نص معين، ولا عند ناقد عمد يتلفنا بكسه الشرقي ومهمو الفكرية التي تشمل العام في الزمان الثقافي والفكري العربيين، ولكنني - وقد يستغرب ذلك وقد لا يصلح للنشر أيضاً - سألق بعد مفارقة طريفة وعزينة في أن معاً.

وتمكن الطرفة - أولاً - في أن الشاعر المسجون محمد عفيفي مطر يشأ قصيدة تنوح من تألف حروفها ووجع كلباتها وصورها الرائحة جدران القمع والسجن الروماني المعلقين بفخر على باب كل سلطة عربية: «فارخ إلى شفتي دامي المحتال» وأعطى كلبا انتشرت بين السلاسل والجلاد قافية.

ما بدلفنا إلى الشعور بأن الشبح يفيض بصدق الحالة واكتئاب التجربة - ولها ما من تجربة - فكانت القصيدة حقا «من طبيعتها ألا تكتمل» وأني ها ذلك مادام الجلاذ والمجلدون ياقين دونيا أي تبادل بالأدوار ومادام الزمن العربي سادراً في بقله ويتنكح المفضوح.

أما الوجه الآخر للطرفة فيمكن في قصيدة «ساقا الشهوة» الشهية التي تتمتع بإشارة تنوق تلك التي يصبّرها لنا الغرب بمجلات وأفلاماً مسبوقة وبنوعة حتى تشعر بأن صاحبها يحمل قضية عالمية خطيرة ويكرى يجرد بالانسانية أن تشبعها بحثاً تقريباً نوعياً للنزوح الأمي والقومي وللخولص من آفات العصر الجديد من مجامعت وتكتيات ومجازر وتكسبر عظام وإبعاد وشطب لوجود أمه أربها التاريخي الحضاري، وأي «فوكو» يجرّ فيها يجرّ «الصري» بأركولوجيا الهامة المتقدمة.

وتبدأ القضية من هذا العضو الحديدي الذي طمرت نصفه الرمال ولم تلتفت إليه أية طائرة «فاوكس» أو قاذفة B 52 ١٨ ويغتر أكثر ويكتسه من العضو الصدي. وقد ازدادت حشرجاته وألامه لكثرة ما ألقى عليه من قذائف تنوق تلك التي خدمت «والعامة»

## نقطة نظام

أحمد السقالي  
القرب

لياهم.  
والغريب في الأمر أن الاهتمام بهذه النازلة يكاد يكون مجانباً حين نقرأ مواضيع هذا العدد سطراً سطراً جملة جملة حرفاً حرفاً فكرة فكرة... فلا نجد لموضوع الجنس ذكراً لا من بعيد ولا من قريب.

وكأنّ الناقد في عزٍّ وأن يعجزوا ٩٠ يرسم غير النساء المتريعات في الصفحات الداخلية، أو أن المجلة تقتصها من الأنوثة... كلاً إياها في حللتها وديانتها ولبسها وملابسها تحقّق هذا الطابع من غير تزيّج إلى جانب ما تحلقه من طابع الذكورة والمحولة المثقلة في أفعالها الجريئة المدفوعة والمتعنه من غير تكلف أو تزيّج.

لكي أوضح أكثر اهتمامي، صدر عدده الناقد هذا في شهر رمضان - خطأ الزمن - واضطرت معه إلى إقصائه مرات ومرات عن عيون الأب والولي والفقير ونسأت الأخ ونسأت الأخت... نظراً لارتباطاتي العائلية في مجتمع العائلة المثقلة، ونحن في مجتمعات وناقداء عرب وأسرايع - خطأ المكان - لنا مشاكل وعادات خاصة - من بينها مسائل الجنس - ونعامل معها بطرق خاصة.

ومهما يكن من أمر، لا يمكن - على الأقل في أرونتنا - أن نحدث ثورة جنسية قبل ثورة اجتماعية سياسية. وفي نظرنا أن الانفج في قضية الجنس هو موقف قاصر، ويصعد عن تيّر إلى لطرح نظري معين هو الطرح الأوروبي الرائج أو الفرويد ولاكالي حتى لا نقول أنه الطرح الذي يتأمل المسألة الجنسية كما يتأمل النخب المهندي صرة بطشه حسب تعبير فلاويير ليشتن لينين.

إلى مجرد مهمتهم □

الأيضونات الثقافية: إلى أنهم! والمفكر المقشدر رياض نجيب الرئيس ولكنه سؤال صغير تناسل فتعخص عنه السؤال الكبير.

يتعلق الأمر يرسم خلاف العدد من وناقد.

ان جميع رسومات أغلفة وناقد السابقة مثيرة للإعجاب والتقدير - لا تيّت أيادي الرسامين - إذ تتضح بهجاء الألوان وحلاوة الذوق. ولكن ما أثار انتباهي، واستحسني وسهل عليّ المرور إلى الفعل... هو لوحة غلاف العدد الأخير (عدد أبريل ٩٢) حيث واجهت من طبقات وبيوت ونوافذ وشرفات مُقَوَّرَنة تشبه رسومات أروقة أحياء القاهرة القديمة على أغلفة وروايات نجيب محفوظ مثلاً كـ «زقاق المدق» أو «حارة القط الأسود وغيرهما كثير». وأمام واجهة البيوت.

المقارسة لذلك، يبدو رجل عسري إلى جانب امرأة عارية وسطاء، عارية تماماً مثلاً تدخل المسألة بطلاة عارية زبطاء على أحد الممثلين في فيلم بورنوتراي خليج.

وعدد وناقد هذا حين يتنصب بهذا الشكل على الكشك أو في الفيوتينا، يتحول - كغيره من المجلات غير العربية - إلى امرأة تغمز وتحرك أشياق المارين تحت

■ تتخرط الأفلام بطريقة عفوية في عملية نقد كل ما هو ردي. قصد تقييمه وتقويمه. أنه سلوك سليفوي نموي لا يتبرّر إلا بكون الطبيعة خائشة للفرغ نائرة لكل ما يشدّ فيها. وبها أها (الطبيعة) نسخة الله أو فيض الماهي. فإن نشدان الجبال والكنايل في الأشياء والأفعال والأقوال، هو حوالة طوطولوجية من قبل تحصيل أن الناس يتحوّن الجبال لأن الله جبل يجب الجبال.

هذه الاستحساسات الاستيكية/الأكسيولوجية هي من أحكام القيم، لا من أحكام الواقع. وهي ذات طابع تقديري لا تقريبي؛ لشدّ ما حاصرني لما اقتنيت وناقد عدد أبريل لسنة ٩٢، إذ منذ لسته (العدد) إلى أن انتهيت من قراءته - ومن عاودي قراءة وناقد من الدقة إلى الدقة - كان يبدو بداخلي نفس السؤال: مجلة وناقد، يامتاز، هذا المجدف الباقي في هذا الأرشيل الماغرة فاه من الماء إلى الماء... إلى أي حد هي نهي دورها ومكانتها لدى الناس وقراءتها الغيورين بصفة خاصة. فترجم لثقتهم أياها في مزيد من التطور الكمي والكيفي أساساً؟

إن هذا السؤال العاقي جداً، سيتضاف إلى هامش لارتساسات الغيرة حول مقال الصدرة ورماد

### السلسلة القصصية

صدر حديثاً



التابع

عبد الله عبد الله



مختارات

يوسف الشاروني



حرب شوارع

شارل شهوان



56 KNIGHTSBRIDGE  
London SW1X 7NJ  
Tel: 01-245 1905  
Fax: 01-235 9005